د. نجاة صادق الجشعمى

إشكالية وتمازج ملامح العشق المقدس والمدنس

نموذجًا

رواية "لو لم أعشقها"

رؤى نقدية

دراسات بقلم

د. نجلاء نصير مصر
د. خلود جبار عبيد العراق
د. داليا بدوي مصر
أ. نهى عاصم مصر
أ. معتز العجمى مصر
أ. سحر فاخر الجابري العراق
م.م. زينب نوري لعيوس العراق
أ. محمود عبد الواحد عوضين مصر
أ. أسمهان سعودي الجزائر
أ. سعاد جلال الجزائر

د. أمل درويش مصر
د. نزار شبيب العبادي العراق
أ. أشرف دسوقى على مصر
أ. شاهيناز الفقى مصر
أ. سالمة المغربى مصر
أ. فاطمة عبد الله مصر
أ. بسنت حسين مصر
أ. هويدا رجب موسى مصر
أ. سناء نويوه الجزائر

الإهداء الأول

إلى أبى الكاتب السيد حافظ

مصحح التاريخ وكاتب حروف الجنون بالعشق اللامشروط تلك الحروف تحتل مكانة كبيرة في حياتي حروف تجعلني أحلم تدخل المسره إلى قلبي حتى أو كنت بطاقة قلق عميق تعجز كلماتي أن تعبر لك عن مدى العرفان والجميل الذي بدر منك تجاهي فحرصت على كتابة هذه العبارات ليس كإهداء يسترعي اهتمام القارئ لكن عبارات تمتاز بشهية ورغبة منسوجة بذائقة ولادة كاتبة وناقدة من الظلام إلى النور فبكل الامتنان والعرفان وهما خطان متوازيان ولا ينكسران إلا إذا انكسر أحدهما...

الإهداءالثانى

إلى ذاتي وأنماط حياتي ودقات قلبي وسموي
ورفعتي فرحتي وحزني ونرجسيتي
وإبداعي إلى قمري وقنديلي وإلى صمتي وقت الضوضاء
الذي يخترق مشاعري
إلى شمعة حياتي التي أنارت حين أوقدت أصابعي شموعًا
للآخرين من أجل أن يطلع الفجر

فأنتِ فاطمتى... فجري الذي بزغ

مقدمة :

رواية " لو لم أعشقها " نموذجًا للكاتب " السيد حافظ "

ربما يكون العنوان يطرح لنا قضية عشق أو مجموعة من القضايا تحت مسمى " العشق " بتناقضاته ومسمياته ويتطلب من الباحثين والنقاد والدارسين في هذا المجال بذل مجهود بفاعلية الصبر والدقة على وجه الخاص وليس العام في العنوان " لو لم أعشقها " لو تثير كثيرًا من الاحتمالات هنا العنوان دلالة من دلالات الغوص في أغوار النص الروائي لأنه يستنطق العنوان بل مفتاح أساسي للفن شفرات النص ليتسنى للقارئ الأكاديمي أولًا والمتلقي استعماله في التعرف علي أسرار وخفايا وطلاسم الرواية وتبسيط عناصرها فالكاتب في رواية " لو لم أعشقها " حين كتب العنوان وهو العتبة الأولى للنص الروائي يراوغ ويخادع القارئ المتلقي ويتمشى بالسرد لكن هنا يقفز السؤال من هي المرأة التي لم يعشقها ؟ وإن عشقها ما الذي سيحدث له؟ وهل لو احتمال آخر لأنها أداة شرط .. هل الاحتمال الآخر الرمزية الصورية للمرأة ؟ تأخذنا الرواية إلى أبعاد وأغوار أعمق من العشق كما سيتضح لنا من خلال السرد للرواية والتحليل بملامح العشق وإيزاحات المبدع وإبداع المخاتلة والمراوغة لمعالجة قضايا المجتمع

المشحون بالقلق والخوف والظلمة والنور والحلال والحرام وعلاقات تضادية تتطارد مع بعضها عكسياً عبر الزمان والمكان في عالم محدود ومشدود ومأزوم في ضبابية الأديان والجنسيات ما بين العقاب والثواب والجنة والجحيم فالرواية "لو لم أعشقها " في مخاض عسير ولد من رحم أخمص الليل الكالح نص دغدغ بنسيج خيوطه الشمس فتخضبت الرواية بالعشق وصنعت أنساق وبدائل وبلاغة مفعمة بالرمزية والاستعارة والمفارقة متداخلة في الوقت ذاته مع التنوع في صياغة الخطاب السردي ثم يتماشى معنا الكاتب متعاقب الخطى وينتقل بنا إلى الإهداء ويباغتنا ما بين العام والخاص الإهداء الأول للزناة والأهداء الآخر إلى من صُلب على الورق وتعذب من قبل خصان الأدب الموهوب المهمش إلى الكاتب محمد حافظ رجب شقيق الكاتب ثم يتوضأ الكاتب ليشرع في سرده للخطيئة ما بين الورق والقلم والهمزة والياء أنفق عمره هباء... تظهر العلامة الأولى كصور فنية واستنارات لغوية استخدمها الكاتب توظيف تناسقي وتناص مع آيات القرآن والتكرار لجمالية السرد فمنذ العلامة الأولى (وأكثرهم الفاسقون) ثم تتوإلى العلامات (وأكثرهم لا يعقلون) (وأكثرهم الكافرون) إلى أن تصل إلى النهاية العلامة الثلاثون (أكثرهم محرضون) وينتهي الكاتب بالجزء السابع من السباعية

بسورة الناس (قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس، من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس) صدق الله العظيم.

ما هي كنوز الجنة التي مُنحت إلى فتحي رضوان ؟

أربع كنوز من الجنة منحها له الشيخ في المنام هي (كتمان المصيبة ، كتمان المرض ، كتمان الفاقة ، كتمان الصدقة) نتساءل ماذا فعل فتحي وما الذي كتمه غير البكاء والرجوع للخطيئة. وبكى فتحي جاءت تهاني بالمنديل وقالت له : سلامة عقلك لا يوجد أحد أنت تحلم . أعطاه المنديل أمسكته بيدها. وقالت: الله رائحته جميلة . اشتريته من أين ؟ والعطر الذي به ما أسمه؟ ما هذه التناقضات يا فتحي رضوان تعاني من الخطيئة ووجع الروح فيخيل لك النور وأنت الظلام يغشيك .. يعترف ويؤكد حبه إلى تهاني وهو الحب الوحيد الصادق والحياة المستمرة والوطن حب الأسرة والوجود (حب تهاني) و (لكن) الاستدراك يفشي حقيقة فتحي أنه مصاب بالهوس الجنسي حيث يقول:

أنا أحبك يا تهاني ولكن قلبي يفيض حبًا يكفي نساء كثر ..

ويستدرك ثانية بـ (لكن) ويقول :

لكني للحين لم أفهم سر الخيانة في العشق... تهاني حب والنساء الكثر عشق ويؤكد فتحي رضوان أن عشقك فوق

الطبيعه بلا منازع يا ترى عشق من يكون هذا بلا منازع ؟ هل عشق امرأه ما أم عشق مصر الذي تجانس وتخالط مع جينات فتحي رضوان فعشقها حد النخاع...؟؟؟

ترى ماذا تقصد تهاني بكلمة الله يقويك هل هو إيحاء على أنها تعرف أني أقمت علاقة مع حياة وتدعي البلاهة .. أم أنها تسخر مني واللبيب بالإشارة يفهم..

الكاتب يقرأ ما كتب على الورق في مخيلته الأدبية فنًا رائعًا كأنه وصف حياته وصفها على الورق وقدمها للقارئ كحضور وشخصيات تفاعل وتعايش معهم فالكاتب هنا يلعب على المشاعر والأحاسيس ويشبك طاقته الكتابية مع الشخصية فيكون شخص واحد وفرد من العائلة في الرواية فهو الذي يجذب القارئ والناقد باستخدامه الأدوات والوسائل والأحداث وتصاعدها باستمتاع .. ثم يردد الآية (وما إبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء).. كيف يكون التقرب إلى الله في لحظة المعصية والإنغماس في الخطيئة كيف استطاع فتحي أن يقيم الصلاة وهو عازم على الإنخراط للشهوات والجنس .. فيقول: كنت أصلي و رأسي يدور في موعدي مع حياة .. ويسأل نفسه الأمارة بالسوء ويقول :

ترى لماذا أصلي ؟ لأني أخاف الله .. لأني أؤمن بيوم القيامة لا يمكن أن يُخلق الكون عبثًا.. ترى هل ستحتسب هذه الصلاة لي..

هذه مجموعة من الرؤى و القراءات النقدية للجزء السابع (لو لم أعشقها) من سباعية الكاتب السيد حافظ.

الروائي المبدع بامتياز استطاع بهذه الرواية أن يتفرد وأن يبدع بأفكاره وينسج لنا فنًا جميلاً حمل بين طياته أحزان الوطن والأمة العربية محاولًا معالجتها بطريقة فنية لذلك ارتأيت أن أجمعها بين دفتي كتاب للتوثيق أولًا ثم للتنهض دليلًا على إبداع وحداثة السرد في الرواية أدبيًا وفنيًا من حيث الحبكة والبناء والأحداث والشخصيات والزمان والمكان وتبادل الأدوار وكشف المسكوت عنه ومقاومة الشر بكل أنماطه وتجلياته والإدعاء بالفضيلة والخوض في غمار الرذيلة والعلاقات الحميمية والتواطؤ لترسيخ الفساد واستفحاله بأنماط مختلفة من أجل الرغبة الجنسية وإثبات الفحولة الذكورية وتعميق وترسيخ الفضيلة في عرض أنماط سلوكية صوفية وأخرى نمطية منخرطين في الرياء والإدعاء بأن الله غفور رحيم وتحت هذا الشعار يفعلون ما يشاؤن فرواية (لو لم أعشقها) هنا كانت تتحدث عن سلوكيات وأنماط اجتماعية من جنسيات متنوعة جمعتهم ظروف العمل والغربة

والنزوح والاضطهاد والخيانات والتهميشات الرواية (لو لم أعشقها) تمثل صرخة متمردة واحتجاج جمعي من نفوس متمردة على اللاوعي لدى الشخصيات التي داست الأقدار والأوطان والحكام والعادات والتقاليد على رقابهم فأصبح منهم أبطال ومنهم المهمشين المنبوذين ففي البلدان يعانون من غباء التمييز الطبقي ويقاتلون من أجل أحلامهم بالأوهام في ظل الهيمنة الكارثية للطبقات الدنيوية المنحطة فنرى الكاتب السيد حافظ يغوص بزاوية أكثر عمقًا ويركز على الصراع القائم في المجتمع الشرقي وهو إن المرأة رمزًا أكثر من أن تكون كائناً تابعًا للرجل وأن تكون إمتداد له فتفني نفسها وإنسانيتها وتفقد أمامه شخصيتها وتكيف نفسها فقط لرغبة زوجها كأن لا شئ لها سواء إرضاء الزوج عنها فتقضي نهارها في إعداد الطعام والقهوة والشاي وجميع ما يحتاجه هو مع تهيئة نفسها لرغباته الجنسية دون مراعاة ذاتها وأحلامها الشهيدة .. وتتعدد صور المرأة عند السيد حافظ في رواية (لو لم أعشقها) ما بين دمج المدنس الدنيوي الماثل في ممارسة الجنس مع المقدس المتعالي الماثل في الحب الحقيقي والحب الإلهي.. فالله محبة وهو أصلاً عبارة عن فكرة ميتافيزيقية عن الحب.

هنا يصبح الموضوع جوهري أي ما هو المقصود بالصورة المجردة المقدسة والمادة المدنسة؟ هنا نستوقف ونتردد كثيرًا بالإجابة لكن من خلال رؤية الكاتب في هذه الرواية وتقديم النماذج للشخصيات فإن المقصود هنا من هذا التوظيف الربط بين الخالق والمخلوق بين الله والإنسان بين الحق والباطل بين الفضيلة والعهارة.. فكل هذه تناقضات تدل على أن الله كخالق متعال والإنسان كمخلوق دني أرضي إنطلاقًا من مبدأ المشاركة في صورة الحب اللامشروط لله وحده دون جدال ومع نمط الحب الانشطاري الذي يجمع بين شقيها النقيضين في النص الروائي أما من حيث الخطاب الشرعي والعرفي يتكاملا ويتشاكلا في الخطاب التحليلي الروائي فمن حيث حدود المقدس والمدنس والمعلن والمضمر والمفهوم والممارس كل من النقيضين يتجاذبان في حياة الإنسان ويصنعان السعادة والشقاء، الجنة والجحيم، الدنيا والآخرة، التيه والضياع الحقيقة والنور التأزم والانفراج.

إذًا من حيث التتابع والإندفاع نحو الحرام المتمثل في العشق المدنس هناك مفترقان من حيث الجوهر والطبيعة فالذات المدنسة تعي ذاتها في الاختلاف وتتابع وتندفع في الدنس وفي كل الحالات لاشباع الرغبات سواء بواو العطف أو واو المعية لترتقي الشهوات بتاء التأنيث وواو الجماعة.

أما حب الجسد في الرواية (لو لم أعشقها) فتتمثل بما تملك المرأة من مزايا جنسية مغرية للذكورة فيصبح عند الرجل نموذج للحب المتعالي الدنيوي ولعل في نظر الرجل هذه الصورة المجردة من القدسية بل رغبة متشبعة بالأنا الذكورية والتسلطية الرغبوية في لحظة استسلام المرأة لشهوته الدونية بينما يأخذنا الكاتب السيد حافظ في الرواية (لو لم أعشقها) صورة أخرى للمرأة المقدسة.

المرأة النمطية والمرأة السلبية والبرجوازية، وتعدى السيد حافظ إلى الأعمق بالغوص ما بين الثابت والمتغير والمقدس والمدنس حيث نثر وكشف وعرى المسكوت عنه سياسيًا في واقعنا العربي، وهذا كان واضحًا في مظاهر خدام وخدمة وطاعة الحاكم وظلم المحكوم فكما أن الكاتب يتفرد بالمفردات والترميز والجمالية في الحبكة في السرد والتخيل كذلك من حق القارئ أن يستمتع بالقراءة لكي يتخيل ويمتزج ويتفاعل مع الحكاية والشخصية ويتعايش معها أي في كثير من الأحيان يتنفس الكلمات ويحب ويعشق الشخصية ويبغض الاخرى وكذلك الناقد هو قارئ متميز متمرس يحتاج إلى أدوات وأجراءات لتضيئ له القراءة النقدية وتضفي جمالية للنص الروائي فالناقد النبه يمتلك الحس الجمالي والفكر والدقة ليحاكي النص الروائي برؤية نقدية جمالية حسية وإظهار

جماليات الفن واللغة وتبلور الأفكار وعوالم الجمال وإظهار النوايا من غير الاتجاه للسلب واو القصدية بل الانزياح عن الكلاسيكية والتماشي مع الحداثة والتعددية من حيث الدلالات للمستويات اللغوية والأدبية والفنية في مجال النقد البناء المنفتح على التجديد والتشظي في النص الروائي وهذا ما يؤدي إلى تمظهر القاعدة المألوفة في تفنن الكاتب في التأخير والتقديم والحذف يلجأ الناقد غالبًا إلى الربط بين مفهوم مضامين وأفكار الكاتب وأسلوبه بأنه انحرف عن مسار القاعدة العامة وبين القديم الكلاسيكي وبين الرومانسي والعشق والحب بتناقضاته المدنس والمقدس واتجاهات الأدباء صوب قضية المرأة وبين لغة الكاتب التي تميزت بالخروج عن المألوف أي انزياح إلى قضايا اجتماعية تخص المجتمع من حيث التأثير والتأثر والانغماس في الملذات المشروعة والمحرمة من وجهة نظر الدين والعرف والشريعة والقرب والبعد من الله إله الجميع روحيًا أم ريائًا.

فالحياة معزوفة موسيقية تُعزف على أوتارها فتتفاعل مع عزفها ما بين متعة الفرح أو الحزن ولد تكون معزوفة هادئة تبعث لقلبك السعادة وقد تكون صاخبة عاتية لا تتماشى مع ما ترغب لذلك تضطر إلى تغير المعزوفة الموسيقية هكذا هي

الرغبات والعلاقات أذواق فكل عزف له ذوق وجمال وحلاوة فالحياة ليس صورة في سجل ليد العائلة.

الحياة بجمالها وقبحها بأحداثها الجزئية والكلية الحياة فن والفن ذوق والذوق إحساس والإحساس شعور والشعور وجود الآخر وإنجاز كذلك الكاتب هنا يصور لنا بمخيلته الأحداث ويدونها بكتاباته فالعين هي التي ترى والاستبصار هو الذي يقرأ فالنص السردي هنا في رواية (لو لم أعشقها) يستأذن القارئ ليستقبل الترددات الموسيقية للمعزوفة العشق الذي لا وجود له أطلاقاً فقط رغبات وعلالات متشعبة متشابكة ما بين هذه وتلك العشيقة سهر والعشيقة حياة والزوجة تهاني التي تعلم ولا تعلم رغم ما أنها ترتسم السعادة لكن قلبها يعزف أهات التعاسة والخيانات المتلاحقة من فتحي رضوان نغمات رغباته الجنسية تتراقص على ألحان معزوفة الخوف والملك في نبضات قلب تهاني.

أغلقت سماعة الهاتف .. نظرت إلى تهاني مدعيًا بلاهة الظاهر

- لازم أروح الجريدة الساعة الواحدة بعد الظهر.
- اليوم جمعة
- عارف .. لكن الجريدة لا تعرف العطلة أبدًا
- طيب الله يقويك

ماذا تقصد تهانى هل هى معى أم ضدي .. وأنا وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء يؤكد الكاتب هنا على الجنس إذ يستشهد بما قال فرويد ويقول :

هل الجنس هو نقطة ضعف البشر وهل أنه المحرك الأساسي للكون .. هل غريزة الجنس هي الأمانة التي حملها الله للإنسان كي يطور الأرض ويعمرها ويجعل الإنسان خليفته على الأرض .... هكذا في كل مرة يمارس الخطيئة والعشق المدنس يقترب من الله ويتذكر الآية والجحيم والقيامة مع هذا يذهب ويدق الباب دقة.. دقتين .. يفتح الباب للجحيم لغضب الرب للحرام بكل أنماطه بقميص النوم أو عراة على السرير أو يحتسي القهوة ويشعل السيجار أو في المقعد الخلفي في سيارة سهر أو في الأسانسير أو مع الخادمة.. وكما قلنا تعددت الشخصيات والجنسيات والعلاقات لأجل إشباع رغبة اعتقد بل وبكل التأكيد أن شخصية فتحي رضوان لم يعشق أي امرأة في حياته قط بل تعرض لخيانة بشعة مما أثار لديه الانتقام من المرأة في الإستيلاء والسيطرة عليها وأيقاعها في غرامه وعلاقات حميمية معه لأنه فعلًا يجب أن يعالج نفسيًا فاسم الرواية (لو لم أعشقها) من التي عشقها ؟ فتحي رضوان لن يعشق إلا الجنس والإثارة والتفنن في العلاقات الجنسية.. فالإنسان يتمرد على كل شئ حتى على الأديان والأحكام والتعليمات السماوية يتمرد على الفضيلة فيسير في درب الخطيئة متوهمًا

أنها تمنحه حرية المتعة فكان فتحي رضوان مريضًا بعطر سهر وسحر جسدها ، ضعيف الإرادة أمام شهواته لا يستطيع منع رغبته في الانسياق وراء سهر ، يستسلم دون نقاش للجنس فيذهب في أحضان الرذيلة والخطيئة ويبكي الله ما هذا التناقض يا ابن آدم حقًا منقذ اكتشف الخيانة ومارس هو المعصية مع الخادمة وأطلق لفظة الكلب الذي خانتني سهر معه وطلب مقابلة فتحي هو متأكد إن فتحي هو العشيق لسهر .. جلس الاثنان على المائدة فتحي يدخن السيجار ومنقذ أمامه يتلعثم منقذ. وإرتبك فتحي.

- أسمع فتحي
- خير ؟ كلي آذان صاغية ..غرد يا صديقي الغالي
- أريد أن أطلق سهر
- نعم ؟

ما أعجب هذه الشخصية خيانة مع سبق الإصرار والتغابي منقذ يهدد بالطلاق وفتحي يهدئ ويتصبب عرقًا.. هكذا الذكورة الشهوانية كالكلاب البوليسية رغم أن الكلب يرمز للتحقير والسخرية وحتى في الإسلام يرمز بالنجاسة والقذارة ولا يربى إلا للحراسة ولا يجوز أن يدخل البيت كما ذكر الله في سورة الأعراف (فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا) فما تجني من الكلب إلا السموم والأوبئة، وشبه منقذ بفأر المجاري كبير

الحجم قوي البنية لكنه لا يقوى على فعل شيء، هكذا هي الخيانات والعلاقات الملوثة تجمع المنحطين خلقيًا بأعذار ومسميات العشق والحب اللاوجود له أبدًا في مثل هذه البيئة وهؤلاء الأجناس من البشر يا ترى ماذا لو لم يعشقها ماذا فعل فتحي أكثر من هذا وما جنت على نفسها براقش.... وأخيرًا نحن أمام ملحمة حافظية مكونة من سبعة أجزاء وهذه الرواية (لو لم أعشقها) الجزء السابع والأخير..

أخذت على نفسى وعلى عاتقى مهمة صعبة أن أجمع كل ما كتب حول أعمال الكاتب الكبير السيد حافظ سواء كان فى المسرح أو التلفزيون أو الرواية أو فى الصحافة فهو مشوار طويل امتد إلى ٥٥ عاماً من الكتابة فى كل المجالات ولم ترتبط كل هذه الإبداعات والمقالات بأرض واحدة أو بدولة واحدة من مصر إلى الكويت إلى العراق إلى البحرين والى اليمن وقد كتب فى معظم الدول العربية مقالات أو صدرت له ابداعات مكتوبة أو قدمت له أعمال مسرحية للصغار أو الكبار والتف حوله الكثير من المبدعين الكبار والصغار يكتبون والتف حوله الكثير من الباحثين والباحثات فى أرجاء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج وكل واحد حاول أن يفتى أو يقدم ما لديه من أفكار أو أشياء لخدمة هذا الإبداع الكبير والإبداع ارتبط بمبدع أو يرتبط بمبدع والمبدع هو الكاتب السيد حافظ .

هذه الدراسات ليست هى الأخيرة حول أعمال الكاتب فقد آليت على نفسى أن أجمع له الكتب ومقالاته والأحاديث الصحفية المكتوبة عنه فى عدة كتب ومنها :

- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء أول ، جزء ثان)
- التنوع الدلإلى في مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج
- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل في الوطن العربى
- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة
- المشاكس "رحلة في رحاب الكاتب السيد حافظ
- السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين
- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب (جزء١ ،٢)
- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج أول ،ج ثان)
- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية.
- فرسان المسرح العربى "من أجل النهوض بفن المسرح"
- إشكالية وتمازج ملامح العشق (رواية لم لو أعشقها للكاتب السيد حافظ)

ولقد جمعت الزهور وجمعت الأفكار المستنيرة التى كتبها باحثون وباحثات من كل أرجاء الوطن العربي وقدمتها فى هذه الكتب ، وهذا الكتاب أقدمه بين أيديكم تكملة لمشوارى الذى بدأته فى هذا المجال منذ أربع سنوات لعله يضيف للباحثين والمكتبة العربية والعالمية المهتم بالأدب العربى بعضًا من الاستنارة وبعضًا من التوضيح حول هذا المبدع .

نحن أمام إنحطاط عالمي وليس فقط في الوطن العربي تمزق أخلاقي في بناء المجتمع والخيانات كثيرة على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والاغتصاب والانحلال

وزنا المحارم وغيرها من المسكوت عنه والمستور يجب بل الواجب يحتم علينا وعلى الجميع في الوسط الثقافي تطهير وإصلاح الكينونات البنيوية للباء السردي في الأدب بكافة أجناسه والفن واختيار اللغة والمواضيع التي تعالج الواقع الفاسد وطرح مثل هذه القضايا كما هي في رواية (لو لم أعشقها)

يقول الكاتب :

أنا مدن ولست مدينة ..أنا أنسف كل القواعد القديمة . وأبشر بجيل جديد يأتى . جيل يكتب ما لم نكتبه نحن . أنا أفجر الجنون والعظمة المتواضعة أمام الحرف .. فيأمركم الكاتب بالتوضأ بنور الكلمة وأن يصلي القارئ ليس بالسجود فقط ولكن بالروح أمام الكلمة .. فهو ليس غرور بل تمرد استنباطي حداثي ما بعد الحداثة حداثة ... كما قال وشهد الدكتور علاء عبد الهادي في اتحاد أدباء مصر أن السيد حافظ غابة إبداع وليس شجرة .....

د. نجاة صادق الجشعمى

الغواية وعتبات النص

قراءة في رواية "لو لم أعشقها " للأستاذ : السيد حافظ

بقلمي د. نجلاء نصير



يقول جيرا جينت: " يقول : " ربما كان التعريف نفسه للعنوان يطرح أكثر من أي عنصر آخر للنص الموازي بعض القضايا، و يتطلب مجهودًا في التحليل، لأن العنوان ، كما نعرفه منذ النهضة هو في الغالب مجموعة شبه مركبة، أكثر من كونها عنصرًا حقيقيًا، وذات تركيبة لا تمس بالضبط طولها"(١)

فالعنوان يعد العتبة الأولى التي تقع عليها عين المتلقي ومن لا يحسن قرع العتبات لا يمكنه الولوج للنص وسبر أغواره فالعنوان يعد "مصطلحًا إجرائيًا ناجحًا في مقاربة النص الأدبي ، ومفتاحًا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها(٢)

مما لا شك فيه أن البنيويين قد أحدثوا نقلة في الأدب الحديث وقد أولى علم النص والعلامات (السيميائية) اهتمامًا بالعتبات ومنها العنوان الذي يعد مدخلا هاما للنص " فهو ليس عبارة منقطعة أوإشارة مكتفية بذاتها، بل هو دائما مفتاح تأويلي ،

أساسي لفك مغاليق النص و عندئذ، حين يحسن المتلقي استعماله ، تتلألأ أمام عينيه كنوز القصة ونفائسها، وتنبسط تحت قدميه في طواعية أرضها الملأى بالأسرار"(٣)

وجدير بالذكر أن جيرار جينت قد تساءل عن مجموع العناصر التي تجعل من النص كتابًا ،أي تلك العناصر التي تساعد النص وتصاحبه في رحلة اكتساب الحضور والهوية الثقافية النوعية "(٤)

فعنوان الرواية "لو لم أعشقها "

لو: شرطية تدل على امتناع الجواب لا متناع الشرط ، لم : حرف جزم يفيد النفي ويحول زمن الفعل من المضارع إلى الماضي ، أعشقها : فعل ماض ، الهاء ضمير غائب متصل في محل نصب مضاف إليه.

فالمبدع يخاتل المتلقي بالعنوان فمن هذه الأنثى التي تمنى إلا يعشقها ؟

وهل العشق يقع على امرأة أم ربما تكون المرأة هنا دلالتها رمزية وتمثل الوطن .

وجدير بالذكر أن جيرار جينت قد ضمن العنوان في فضاء النص الموازي أو ما يعرف " بالمناص في حديثه عن أنماط التعالي النصي وصنفه في النمط الثاني وهو المناص PARATÉXTE يتكون من علاقة هي عمومًا أقل وضوحًا وأكثر

بعدًا ويقيمها النص في العنوان ،العنوان الصغير ،العناوين المشتركة ،المدخل ،الملحق ...وأنواع أخرى من الإشارات الكمالية أو غيرها ،التي توفر للنص وسطًا متنوعًا وفي بعض الأحيان شرحًا رسميًا أو شبه رسمي ..."(٥)

وقد قسم جيرار جينت الموازيات النصية إلى نوعين من النصوص :" نص فوقي وآخر محيطي ويهمنا في دراستنا للرواية ما أورده جينت عن النص المحيطي والذي يضم كل ما يتعلق بالنص وينشر معه في "زواياه مثل عنوانات الفصول وما يوجد داخل الكتاب ،وقسمه جينت إلى قسمين هما :النص المحيطي النشري ويندرج تحته الغلاف ،التجليد ،كلمة الناشر وغيرها من المعلومات المتعلقة بالنشر ،والنص المحيطي التأليفي ويضم اسم الكاتب ،العنوان ،العنوان الفرعي ،العناوين الداخلية ، الاستهلال ، التمهيد ،الإهداء ، الهوامش وغيرها مما له علاقة بالمتن ولا ينفصل عن الكتاب "(٦)

فللعنوان أهمية كبيرة في عملية التلقي وذلك لأن عين المتلقي "ستصب أول ما تنصب على العنوان "(٧)

فالمحيط النشري :

يتمثل في الغلاف الذي جاء باللون السيمون الذي يصنف من فئة الألوان الدافئة التي تبعث في النفس الراحة والهدوء ولوحة الغلاف للفنانة الكويتية منى الغربللي لامرأة فاتنة

تتماهى صورتها مع البناء الخارجي لبطلة الرواية سهر ،وتبدو للمتلقي عارية مما يدل على الغواية وأسباب ومقدمات العشق ويعلو اللوحة اسم الكاتب باللون الأبيض ويحد اللوحة العنوان باللون الأبيض بفونت كبير لجذب عين المتلقي ومذيل بجملة العلامة السابعة والأخيرة في إشارة لمحاكاة الدفة الثانية والتي تحمل أغلفة السباعية ، والرواية نشر مركز الوطن العربي رؤيا ٢٠١٩م

المحيط التأليفي :

الإهداء: "إلى هؤلاء الزناة ..الزنا بالعين والكلام والفكر و اللمس .."(٨)

فالإهداءيرسل للمتلقي بإشارة لاذعة أنه أمام نص أدبي سيناقش المسكوت عنه ويكشف ورقة التوت عن النفاق الاجتماعي والازدواجية التي يمارسها البعض والصراع بين ثنائيات ضدية المرأة والرجل ، الصدق والكذب ، الحلال والحرام ، الاستقامة والانحراف والمعاصي والتوبة ، الانتماء والهوية والخيانة ، المقدس والمدنس .

الإهداء الثاني :"إلى الكاتب الكبير محمد حافظ رجب الذي كان موهبة كبيرة بحجم الوطن فعذبوه خصيان الأدب وتعذب بعبء حمله مصلوبًا على الورق..."(٩)

فالإهداء الثاني بمثابة صرخة في وجه أشباه الأدباء الذين حاربوا الكاتب الكبير محمد حافظ رجب المجدد الذي هاجمه أقزام النقاد والأدباء .

الاستهلال : تناص مباشر

بيت شعر من قصيدة رثاء لأبي الحسن التهامي

طبعت على كدروأنت تريدها صفوًا من الأقذاءوالأكدار

فالحياة لا تكترث لما تصبو له النفس البشرية وتجري كما تشاء وقد أورده المبدع سهوا للمتنبي

طبعت على كدروأنت تريدها صفوًا من الآلاموالأحزان(١٠)

ويتجلى التناص المباشر أيضًا في قول شبل بدران : "الخير والشر ليس إلا نوعين من الخير "(١١)

فالحياة قائمة على الثنائية الضدية التي تعد المعادل الموضوعي للصراع في الحياة

ثم تأتي كلمة المبدع "حين لا يتوضأ الحرف يدخل نار البوح فيفضح الكون ..."(١٢)

في كلمة المبدع يعترف أن وطنه الكتابة وأنه عشق مصر ولكنه لم يعرف أن عشقها خطيئة فالوقوف في وجه الفساد خطيئة يدفع ثمنها من يحاربه ،كما تظهر في كلماته الغصة والحسرة في الألفاظ " خطيئة ، جنون ، أنفقت العمر هباء "

فالكاتب يحمل هم وطنه ولكن للغربة حسابات أخرى فهل كان يعاني من الغربة المكانية أم الغربة الزمانية أم كان حبيس الغربيتن ومما يدل على ذلك قول الكاتب : "كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس ؟" (١٣)

فهذا السؤال الاستنكاري يحمل في طياته رمزية القلق النفسي وعدم الشعور بالأمان .

عتبات الفصول أو العلامات كما أطلق عليها المبدع فقد جاءت الرواية في ثلاثين علامة تماهيًا مع أجزاء القرآن الكريم وكل علامة تتماهى مع القرآن الكريم في تناص مباشر فالعلامة الأولى "وأكثرهم فاسقون " (١٤) ليس هذا فحسب بل نجده يذيل الفصول بآية من آيات الذكر الحكيم

وحين نأتي إلى عتبة روح يضع

امام المتلقي تعريفًا للحب وقال بعضهم الحب مأخوذ من القلق لأن العرب تسمي القرط كما قال الراعي واقر..."(١٥)

تناص مباشر من كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم الجوزية باب اشتقاق الأسماء ومعانيها

كما نجد الرواية تتسم بالمشهدية فكل فصل عبارة عن مشهد أو مشهدين من مكانين مختلفين ،كما يفتتح المبدع كل فصل بالمكان والزمان وكأننا أمام سيناريو ، فالفصل الأول حوار

بين سهر وحياة فهما يتقاسمان عشق رجل واحد هو فتحي رضوان بطل الرواية

وقد وصفهما المبدع بقوله "هكذا تواعدتا المرأتان ..ساحرة جمال من الشام وساحرة جمال من العراق للنقاش حول أهمية من تتنازل للأخرى عن عشق فتحي رضوان .."(١٦)

فقد بدأ المبدع روايته بمفاوضات بين الغريميتين على البطل فتحي رضوان الصحفي فسهر البطلة المتزوجة من منقذ الشامي وأم لطفل صغير ، وحياة السيدة التي تعمل كصحفية وزميلة فتحي في الجريدة من العراق وكل منهما وقعت في شرك كبير هو الزنا

فتحي رضوان : الصحفي المصري الذي جاء إلى دبي حاملاً أحلامه وطموحه بين جناحيه وأتقن لعبة الكتابة ولعبة خيانة زوجته تهاني المصرية وأم ابنه .

وفي حوار جاء على لسان فتحي رضوان الذي يلعب دور السارد العليم حين تجسد ضميره كرجل يدق جرس الباب بينما كان يجلس على مكتبه ويكتب مقاله المعنون "مشروع الهوية والثقافة " فحين فتح الباب "وجدتً أمامي نورا شديدا ينبعث من رجل اختفت ملامحه في الضوء "(١٧)

وفي منولوج داخلي يناقش فتحي رضوان عدة اختيارات هل يكتب استقالته ويفر من العشق ، هل يعود إلى مصر ويطرح

قضية اجتماعية هامة وهي فضول البشر في المجتمعات العربية يقول :"مجنون أنت من غير الممكن أن تهجر دبي إلى مصر وتعود مرة أخرى إلى العذاب ..سيقولون عنك فاشل وعاد من الخليج مفلسًا أخذت أكتب المقال حصاد المهاجر المصريون يراقبون بعضهم بعضًا سواء في مصر أو خارجها ...."(١٨)

كما يسرد الحروب الأيدولوجية التي نشأت في المجتمع المصري يقول :"حروب مصر كانت حروب الأيدلوجية الدينية ، فالدين هو المحرك الأساسي في تحريك الشعب وهياج الجماهير ..."(١٩)

كما يلقي الضوء على التغيرات التي أصابت المجتمع المصري وشوهت الذوق العام بمصر يقول :

"نحن في زمن مضطرب مجنون ..اللهم نجنا من الجهلاء ..أتعود إلى مصر التي تعشق التفاهة الآن بعد أن كانت تعشق أغاني أم كلثوم أ؟ أما الآن الأغاني والأفلام ركيكة ...."(٢٠)

وأنهى العلامة الأولى بقول الله عز وجل" ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٤١)"(٢١)

فعتبات الرواية تحمل رمزية تتماهى مع الرسالة التي يريد الكاتب ان يرسلها للمتلقي فالعنوان أولاه ليو هوك (LEO HOEK)

الذي يعد من أشهر المؤسسين المعاصرين لنظرية العنونة من خلال كتابه "سمة العنوان " الذي حدد فيه تقنيات مفهوم العنوان ومعالمه التحليلية.

ويرى ليوهوك أن "العناوين التي نستعملها اليوم ليست العناوين التي استعملت في الحقبة الكلاسيكية ،فقد أصبحت العناوين موضوعًا صناعيًا ، لها وفقع بالغ في تلقي كل من القاريء والجمهور والنقد والمكتبيين "(٢٢)

فالعنوان "علامة لغوية ،تتموقع في واجهة النص ،لتؤدي مجموعة وظائف تخص أنطولوجية النص ومحتواه ،وتداوليته في إطار سوسيو ثقافي خاصًا بالمكتوب "(٢٣)

فوقع الآية الكريمة على المتلقي يجعله يدرك أنه أمام وجبة دسمة من الفساد والفسق البشري الذي يعد نتيجة لمقدمة اقترفها البشر .

استعرض الكاتب ثلاثين علامة وكل علامة معنونة أو عتبتها آية من آيات الذكر الحكيم ،كما يختم كل فصل بآية أو أكثروبعمل إحصاء للعتبات نجد أن المبدع تخير من القرآن الكريم أربعة عشر آية ورد ت فيها بصيغة التفضيل (أكثر) بينما استخدم صيغة التفضيل أكثر في عشرين عتبة من عتبات الرواية :

النتائج	السورة ورقم الآية	الآية	رقم العلامة
	آل عمران : ١١٠	"وأكثرهم الفاسقون"	الأولى
	الحجرات : ٤	"وأكثرهم لا يعقلون"	الثانية
	النحل : ٨٣	"وأكثرهم الكافرون"	الثالثة
	الزخرف٧٨	"وأكثرهم للحق كارهون	الرابعة
	الشعراء :٢٢٣	"وأكثرهم كاذبون"	الخامسة
	يونس: ٥٥	"أكثرهم لا يعلمون"	السادسة
	البقرة :١٠٠	"أكثرهم لا يؤمنون"	السابعة
	النمل : ٧٣	"أكثرهم لا يشكرون"	التاسعة
	الشعراء :٦٧	"وما كان أكثرهم مؤمنين"	العاشرة
	سورة يوسف : ١٠٦	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ"	الحادية عشرة "وأكثرهم مشركون"
	هود : ٢٠	"وماكانوا يبصرون"	الثانية عشرة
	الذاريات :١١	"هم في غمرة ساهون"	الثالثة عشر
	المطففين :٣٢	تناص قرآني "وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ"	الرابعة عشر "هؤلاء الضالون"
			الخامسة عشر "وأكثرهم معرضون"
			السادسة عشر وأكثرهم مستضعفون
			السابعة عشر وأكثرهم عاجزون"
	الأعراف :١٠٠	أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ	الثامنة عشر "فهم لا يسمعون
	المائدة : ٤٥	"فأولئك هم الظالمون"	التاسعة عشر
	الشعراء :١١٦	"لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ"	العشرون
	غافر :٥٩	إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ	الحادية والعشرون
	الزمر ٣٩	وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ	الثانية والعشرون
	الأعراف :١٧٩	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا	الثالثة والعشرون أولئك هم الغافلون

	يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ		
الرابعة والعشرون	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	البقرة ٣٩:	
الخامسة والعشرون : "وربك أعلم بالمخلصين "			
السادسة والعشرون	إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ	الحجر ٤:	
السابعة والعشرون أكثرهم لا يعلمون	أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ	البقرة ١٣:	
الثامنة والعشرون أكثرهم مغترون			
التاسعة والعشرون وأكثرهم عاجزون			
الثلاثون	لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ	الأنعام ١١١:	

من الجدول السابق نجد أن :

التناص القرآني بصيغة التفضيل (أكثر) ورد في عتبات الرواية بنسبة

$$\frac{١٤ \times ١٠٠}{٣٠ \times ١٠٠} = ٤٦,٦$$

بينما احتلت صيغة التفضيل "أكثر" ثلثي عتبات الرواية بنسبة

$$\frac{٢٠ \times ١٠٠}{"٣٠ \times ١٠٠} = ٦٠\%$$

وجديربالذكر أن العتبات لعبت بجانب التناص دورًا رمزيًا فأكثر العتبات غلب عليها : "الفسق والضلال وفساد العقل والكفر والجهل والجحود والغفلة والغرور والعجز والجهل "

وكل هذه الصفات تبعث على الغواية التي كان يمارسها أبطال الرواية ففتحي رضوان يمارس الخيانة مع كل من سهر زوجة صديقه منقذ الصحفي ،وزميلته الصحفية "حياة " رغم أن الله وهبه زوجة محبة "تهاني " التي تتفانى من أجل إسعاده هو وابنهما .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن لماذا استسلم فتحي رضوان لشهواته وسخر جسده عبدًا لها

يقول الرواي العليم فتحي رضوان مبررًا أفعاله : "إن دخولي في اللحظات العاطفية والإستغراق مع علاقة نسائية هو مجرد محاولة للهروب من الضغط اليومي ومواجهة نفسي أني فشلت في النهوض بالمجتمع نعم فشلت في لإيقاظ الوعي الجمعي أو الفردي ..."(٢٤)

ففتحي رضوان يسقط أفعاله على المجتمع والوطن الذي انتقد إعلامه حين أخبر المتلقي أنه يقرأ الجرائد العربية في الحمام "وهو المكان الذي يليق بها لكثرة الغث والكذب والزيف والتدليس ... وجدت في الصفحة الأخيرة في العمود الأخير كتب خبر بخط صغير (وجد الوطن ميتًا في ضاحية المدينة حافي القدمين وقد سرقت كليته وقلبه وقطع لسانه ونشرت أصابعه "(٢٥)

فلم يكن الوطن فقط الضحية بل " وجدتُ كل الناس تسير مقطوعة الآذان .. بل عميان وكتب بالسحب على السماء (الله ترك هذا الوطن لأنه زان).."(٢٦)

فالرمزية تتجلى في: مشهد سير الناس مقطوعي الآذان وعميان ، فالسلبية جعلت الناس لا يكترثون لنكبات الوطن ،ليس ذلك فحسب بل الله تخلى عن الوطن لأنه زان وإذا كان الوطن يزني فلماذا لا يجد فتحي رضوان مبررًا لأفعاله وممارسته الزنا مع النساء اللاتي يرى "بعضهن بناء وبعض النساء هلاك وكل النساء نجوم في السماء بعضهن تضيء وبعضهن باردات ومظلمات ومعتمات وعنيدات "(٢٧)

كما يبرر سر معاشرته للنساء "ربما لسبب مهم هو أني أقاوم الاكتئاب العميق الذي لا تراه الناس في وجهي عندي اكتئاب شديد وعميق من الوطن .."(٢٨)

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل فتحي رضوان نموذج للإنسان الذي يعاني من تشظي الذات والهوية جراء صدمته في وطنه ؟

أم أنه نموذج للإنسان المكافح الموهوب الذي حاول أن يشق طريقه في وطنه فحاربه أنصاف المواهب ولم يقتص له الوطن منهم ؟

هل يعاني فتحي محمود من ازدواجية ويقاتل ثنائية ضدية ويفع بين سندان لفضيلة ومطرقة الرزيلة التي أدمنها وهو يدرك أن عاقبتها النار ؟

هل صورة المرأة في الرواية متمثلة في كل من سهر وحياة وتهاني وشهرزاد وليزا وماريناا هي المعادل الموضوعي للازدواجية والنقاق المجتمعي ؟

فسيمائية الأسماء في الرواية تتجلى في توفيق المبدع في اختيارها ففتحي وزوجته تهاني السيدة المصرية الحنونة التي تعلم بخيانة زوجها وتصبر وتحتسب لعله يرجع لرشده على أمل أن يأتي إليها يومًا معتذرًا فقد تدعى تهاني : وهو اسم علم مؤنث عربي ،وهو جمع تهنئة والتهاني تبادل التبريكات والأفراح والمشاركة بسعادة الآخرين ولكنها لم تكن تشعر بالأمان أو السعادة مع فتحي الذي كان يكني نفسه بابن رضوان في المنولوج الداخلي ولا يشعر بالرضى عن نفسه ،فتهاني كانت المرأة الوحيدة في الرواية التي تشبه الوطن في تحمله لجحود وسلبية وتنكر أولاده له أحيانًا فتهاني متفردة في حفاظها على الرباط المقدس ولم تجر إلى الرذيلة كسهر وحياة وليزا ومارينا .

منقذ صديق فتحي وزوجته سهر الشامية

المرأة الجميلة المعجونة بالياسمين "(٢٩) والتي تخونه مع صديقه فتحي ، وشداد رجل المال والأعمال وصاحب المدرسة التي ستعمل بها من خلال أستاذها كاظم الشامي فسهر مادية تعشق المال ولذلك وقعت في مصيدة شداد بعد أن وظفها براتب كبير وأهداها الخاتم الألماظ والسيارة ، ولكنه لم ينتظر الثمن بل قنص فريسته بعد أن أثملها بمكتبه

"اتفضلي في صحتك ،عندما أفاقت وجدت نفسها عارية في أحضان شداد ..."(٣٠)

فكما مارست سهر الرذيلة وقع منقذ أثناء سفرها في نفس الشرك وزنا بالخادمة مارينا ، بل تعلق بها بعد أن أغرته ومارست معه كل فنون الغواية حتى استجاب لها وأدمن علاقته بها ورغم أن سهر حين عادت من الجبل ارتدت إيشارب وملابس محتشمة إلا أنها عادت لعلاقتها بشداد الذي بنى لها فيلا ضخمة بقريتها

حياة العراقية

الصحفية تشبه فتحي كثيرًا فهي امرأة لها نزواتها الخاصة فهي تستدعي فتحي في أي وقت وتنهي اللقاء دون وداع فحياة تتمتع بشخصية قوية ولذلك استطاعت أن تستقطب فتحي نحوها رغم علمها بعلاقته بسهر .

كاظم وزوجته وردة

كاظم يخون زوجته وردة مع ليزا الفرنسية ،معلمة القسم الأمريكي بالمدرسة ،وردة أم ابنته

كاظم مثل فتحي وقع في الرذيلة لكن زوجته وردة كتهاني زوجة فتحي.

شداد

رجل المال والأعمال صاحب المدرسة ومعرض السيارات "فشداد يأكل أموال كل الناس فقراء أو أغنياء ويشتهي كل النساء مطلقات ،أرامل ، صغيرات ..."(٣١)

راغب

أخو وردة أتى من فنزويلا ليستثمر مع شداد وقد قتل قاسم زوج حبيبته زهرة بالشام "ذنب زهرة أنها جميلة ومصيبتها أنك جريت وراها ..أنت لا تحب إلا شهوتك أنت قتلت قاسم زوجها ودفنته فساعة الجريمة هي ساعة الزنا "(٣٢)

حامد الصقر وزوجته شهرزاد

يعمل حامد مع شداد وزوجته لم يرزقا بأبناء فهما أبناء عمومة وهناك شائعة في الجبل تقول إن شهرزاد ساحرة سحرت لحامد وتزوجته تستقبل سهر في بيتها وتقدم لها النصح والإرشاد لكن سهر لا تسمع لنصائحها حتى تقع في شرك شداد.

فالغواية تمثلت في العلاقات المشبوهة بين بطلي الرواية الرئيسيين "فتحي رضوان وسهر " والشخصيات الثانوية التي لعبت دورًا في تحريك مسار الأحداث ولكن فتحي الذي تنازعه صوفيته انتهى به الأمر بعد فصله من الجريدة وعودته لبيت أمه أن اختفى أثناء زيارته وعائلته لمسجد أبي العباس المرسي في نهاية مفتوحة تكسر أفق التوقع عند المتلقي وتفتح النهاية على تأويلات متعددة عن مصير فتحي رضوان وبعد عشرين عامًا يذهب ابنه آدم الذي تخرج في جامعة القاهرة قسم اللغة الإنجليزية إلى دبي ويطلب فرصة عمل من سهر مديرة المدرسة .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل تماهى العنوان مع المتن أم لا ؟

فالأهمية التي حظى بها العنوان في الدراسات النقدية المعاصرة حيث عدته "مفتاحًا منتجًا ذا دلالة ، ليس على مستوى البناء الخارجي للعمل ،بل يمتد حتى البنية العميقة ويستفز فواصله ويدفع السلطة الثلاثية (المبدع -النص - المتلقي) إلى إعادة إنتاج تتيح لعوامل النص الانفتاح على أكثر من قراءة "(٣٤)

فالعنوان "لو لم أعشقها " تماهى مع ثالوث الغواية في الرواية الجمال والشهوة والمال فلو لم يعشق البطل سهر ما

وقع في براثن الرذيلة ويمكن تأويل العنوان :لو لم يعشق البطل الوطن الذي شعر فيه بخيبة الأمل ما وقع في براثن الغربة والشيزوفيرنيا والرذيلة ، التي أدت به في النهاية الضبابية إلى فقدان المصير والهوية .

المراجع

١- ينظر: السيموطيقا و العنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٥ ،عدد٣ ،١٩٩٧ص٩٧.

٢- ينظر: النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، د.عبد الله الخطيب فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨ ،ص٥٢.

٣- ثريا النص، مدخل لدراسة العنوان القصصي، محمود عبد الوهاب، الموسوعة الصغيرة، العدد(٣٩٦) بغداد، ط١ ،١٩٩٥.

٤ ينظر : نبيل منصر :الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ،دارلا توبقال للنشر ،المغرب ط١ ٢٠٠٧م ص :٢١

٥- جيرارجينيت : طروس الأدب على الأدب ضمن كتاب في النص والتناصية ،ترجمة محمد خير البقاعي ،مركز الإنماء الحضاري ،حلب ط١ ١٩٩٨م ص١٢٧

٦- كريستين مونتالبيتي: جيرار جينت (نحو شعرية منفتحة) ترجمة غسان السيد ووائل بركات ندار الرحاب د١ ، ٢٠٠١، ص: ١٠٨

٧- ينظر د. محمد فكري الجزار:العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م،ص ١٠

٨- السيد حافظ :رواية لولم أعشقها ص ٤
٩- الرواية ص : ٥
١٠ -الرواية ص ٦
١١- الرواية نفس الصفحة
١٢- الرواية ص: ٧
١٣- الرواية ص ٨
١٤- سورة آل عمران الأية : ١١٠
١٥- الرواية ص :١١رواية غبار الخاطر تأليف أبو الكلام آزاد -ترجمة وتقديم جلال السعيد الحفناوي ص٢٤٨
١٦- الرواية ص:١٢
١٧ – الرواية ص ١٣
١٨- الرواية ص١٤
١٩- الرواية نفس الصفحة
٢٠-ص ١٥
٢١- سورة الروم آية ٤١
٢٢-ينظر : عبد الحق بلعابد :"عتبات جيرار جينت من النص إلى المناص " ص ٦٥-٦٦
٢٣- خالد حسين حسين :في نظرية العنوان "مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ص ٧٧
٢٤-الرواية ص ١٣٣

٢٥- الرواية ص :٢٢
٢٦- نفسه والصفحة
٢٧-الرواية ص:٢٧
٢٨-نفسه والصفحة
٢٩-الرواية ص ١٩
٣٠- الرواية ص٢٠٦
٣١-الرواية ص ٤٢
٣٢- الرواية ص ٤٥
٣٣- محمد لطفي اليوسفي: لحظة المكاشفة الشعرية والإطلالة على مدار الرعب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط١ ١٩٩٢م ، ص ١٨

السيرة الذاتية

نجلاء عبد السلام محمد نصير

- **المؤهل العلمى :** دكتوراة في الدراسات الأدبية والنقدية
- **جهة المنح :** كلية الآداب جامعة الإسكندرية
- **البلد :** جمهورية مصر العربية
- عضو بالمجلس الدولي للغة العربية

أبحاث علمية منشورة بمجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية :

- قراءة في رواية السراب من الوجهة النفسية.
- الحب العذري بين توْبة بن الحُميّر ومُزاحم العقيلي .
- الرمز في أدب يحيى حقي رواية "قنديل أم هاشم " أنموذجًا.
- المفارقة في أدب الفيسبوك "سرديات لاهثة "للأستاذ الدكتور السعيد الورقي أنموذجًا.
- اللغة العربية درع الحفاظ على الهوية المصرية.

أبحاث علمية منشورة بمجلة سياقات:

- التناص إشكالية المصطلح بين القدماء والمحدثين "سرقات أبي نواس "أنموذجًا
- المستتبعات الاجتماعية والثقافية والنفسية في خطاب
- الجنوسة رواية "سيدات القمر" لجوخة الحارثي أنموذجًا (قيد النشر)

- بحث منشور بمجلة سرديات : الجمعية المصرية للدراسات السردية كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة قناة السويس
- سردية القصيدة في الشعر العربي القديم بين امريء القيس والأعشى.
- وغيرها من الأبحاث العلمية
- نجلاء نصير أديبة وناقدة مصرية، دكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية، من كلية الآداب جامعة الإسكندرية، لديها العديد من الأبحاث المنشورة بمجلة كلية الآداب العلمية المحكمة، مدير ملتقى الأدباء والمبدعين العرب، عضو بعدة منتديات ثقافية، حصلت على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية والشكر داخل وخارج مصر كعضو تحكيم قصص وروايات .
- ها دراسات نقدية وبعض القصص القصيرة بصحيفة تينسي نيوز التي تصدر من الولايات المتحدة الأمريكية والصحف المصرية والعراقية
- فازت بجائزة د.جميل حمداوي للقصة القصيرة جدا عام ٢٠١٤ كأفضل مشاركة مصرية

كتب منشورة

- أوراق في الشعر العربي
- أوراق في السرد الأدبي
- صندوق الأمنيات

دراسة نقدية

إعداد د. خلود جبار عبيد – العراق



سؤال :

كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس ..؟؟

السيد حافظ

المقدمة ...

سؤال إفتراضي وجودي

يخطر في مخيلتي ..

للكاتب الوجودي

جان بول سارتر .

السؤال :

ماهية فلسفة الأخلاق والذات !؟

وبما إن مصدر القيمة الإنسانية هي

الأخلاق!؟

فمن الذي يقرر الخير ومن الذي يقرر الشر !؟

ومن يصنع المُثل والقيم والمباديء !؟

هل هي الذات !؟
ام التجربة الإنسانية !؟
كيف دخل الشر إلى شعوب العالم !؟ ونقطة إنطلاقها الأولى
وكيف دخل الخير إلى شعوب العالم !؟
هل من أولويات البشرية توسيع رقعة الخير وتضيق رقعة الشر !؟
بين كل الدول الغنية منها والفقيرة !؟
وزرع قيم الخير بداخل الفرد والمجتمع
من خلال نظام تربوي تعليمي وتوجيهي !؟ ونبذ واقتلاع كل المسببات المدمرة التي تدعوا وتساند التمييز العنصري بكافة اشكاله !؟
هل المعتقدات والطقوس
هي التي تعبر عن طبيعة المقدس ومكانته وطبيعة !؟ العلاقة بين الأشياء المقدسة مع بعضها ومع الأشياء الدنيوية
ومن هم الأولين !؟
ومن هنا أود ان اشير إلى ان ....
للمكان والمكانة الإجتماعية إرتباط وثيق بالواقع والبيئة .
كما يقول افلاطون :
ان الزمن الفترة اللازمة لحركة الأجرام السماوية.
والمكان هو الحيز الذي تكون فيه الأشياء .

وكذلك أوعز ارسطو على أن الوقت : هو عدد من التغيرات مع الأخذ بنظر الإعتبار الحالة قبل وبعد تلك التغيرات .
ومن هنا يتضح لنا أن هناك عقل وقيم إنسانية تنطلق من الذات يترتب عليها إن الإنسان هو من يصنع الخير والشر .
وهو الذي يضع القيم وهو من يضع الشر .
وقد يخالف دوركهايم سارتر إذ يقول :
لا يكفي أن يمتلك الشيء أو الشخص مكانة عالية كي يتصف بالمقدس !؟ فمكانة العبد في النظم الإجتماعية التي مارست العبودية أقل من مكانة سيده ولكن ذلك لا يجعل السيد مقدساً!؟
كما أن الإنسان لا يتصف دائماً بالدونية أمام آلهته .
ففي بعض الأحيان قد يضر الإنسان إلهه أو مجسم هذا الإله إن لم يحقق للإنسان مطالبه.
وبذلك ندرك ان أدم اول من ادرك البشرية وتم أختباره من خلال الشجرة .
اقترب من الشجرة فأكل التفاحة سهواً ليقع في الخطيئة كإنسان .
ويكون رهين تجربة قومته شخصياً للنهوض مرةً وأخرى متحدياً للقهر والإغتراب المكاني وبقوة وطالباً المغفرة.
ولتكون خطيئته أول درس للبشرية جمعاء .
فكان هبوط آدم وحواء في الأرض .

للمرة الأولى كل في مكان مختلف عن الآخر
كما تفسر ذلك بعض الروايات ليجتمعا مرة أخرى ويكونان مجتمعات متعددة .
لينجبا هابيل وقابيل واختيهما زوجات لكل منها ليتولد الصراع بينهما وتنشأ الخطيئة البشرية الثانية .
قال تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"البقرة "٣٦".
من جانب آخر يعد نظام الطبيعة البشرية نظاماً متحركاً وليس ساكناً كما يفسر ذلك هيوم في نظرية المعرفة والأخلاق المجتمعية .
إذ تشكل النفس عند انجذابها مع بعضها حركة نفسية لافيزيائية . تحركها منظومة من المشاعر والأحاسيس تصدر عن النفس البشرية .
ومن خلال ذلك ندرك تماماً تأمل النفس البشرية يتسع ويتطور مع مرور الزمن.
نحو المفاهيم والمثل ولا سيما المعتقد الديني والأخلاقي الذي أخذ يتطور بشكل تدريجي منذ بداية الخليفة وإلى يومنا هذا.
إذن من هنا ..
ممكن أن نرجح بأن المكان ملاذًا آمناً للنفس البشرية والمجتمعات الإنسانية على مستوى الأديان .

ومن خلال ما يشكله المكان من جغرافية وبيئة وفضاء واسع وجدران. ترتبط بمثيولوجيا الشعوب وبناء الشخصية السيكولوجي الذي يشكل الدافع الأساس لتقارب الأرواح .

الروية ....

فالمكان في رواية السيد حافظ "لو لم اعشقها" يمثل ارتباط سهر الروحي بالجبل والياسمين وحكايات شهرزاد .

وقوة ومكانة محبتها للحنين إلى الماضي بالمقارنة مع كل ما هو مدنس أو دنيوي في علاقتها المسكوت عنها مع فتحي رضوان .

وخصوصاً إنها محاطة بتابوهات المحرمات وأنواعها الدنيوية.

زوجة مستلبة الإرادة تحلم بوطن حالم كأنه نشيد فرح .

ومن خلال طبيعة العلاقات الإجتماعية تشكل لنا زمان ومكان الشخصيات وسلوكها .

وترابط وإشكاليات اكثر من حادثة في مكان واحد .

فقد شكلت العلاقات المحرمة بين فتحي رضوان وحياة شرعا تكاملية اللحظة وإنسياقها نحو المجهول بإشباع الحاجة الإنسانية وسد نقصها المخزون في داخل شخوص الرواية .

وكذلك تمشكلت الشخصيات في جدلاً مشحونا من داخل وخارج اعماقها منتفضتاً على شلل الواقع .

إن ما يميز السيد حافظ في العلامة السابعة والاخيرة

ثورة البوح وصدمة المتلقي في الإحساس العميق والنابض بالحيوية في تشخيص مجموعة خطايا إنسانية متشظية ومركبة وخطيرة من أرض الواقع إلى واقع افتراضي مصبوغ آثر تشققات الماضي .

فالنظام الرأسمالي في المدارس الخاصة يعطي صاحب المدرسة الحق في تحديد الأجور كما يريد وكما يهوى .

من خلال من يتقنع بالدين الدين فهو المحرك الأساسي في تحريك الشعوب وهياج الجماهير .

وهذا يشكل جزء منسوخ عن ماضي الأمم والشعوب السابقة التي اشتركت في سقوط الإنسان والإنسانية .

فمنقد وفتحي جزءان من المكان والزمان المستلبين .

وفتحي ذلك الرجل المتعطش للنساءالفاقد للمكان والمكانة والوطن الحقيقي والأب والشرعي .

والنيل (نهر الجنة)

ليعود الزمن به إلى الوراء .

وهو سبب درامي مقنع

لعودة الشخصية لمصر واكتمال احداثها.

إن لغة السيد حافظ شكلت عصياناً مدنياً مدوياً بثورة البوح المجروح وقوة الكلمة التي تجلجل الوجدان

ويقشعر لها البدن .

اذ يقول :

كل مواطن في بلادي يحتاج كوب شاي ساخن وكوب ماء بارد ورغيف خبز وبعض الملح فقط.
وتتأمل شهرزاد
قصة سهر فتحاكي النجوم وتشكيها سهر إبنتها بالتبني .
ماذا جرى يابنت سالم يابنت الجبل والقرية
هل انت سهر القديمة !؟
هل السماء غضبى منك !؟
آه يا سحر ماذا تريدين !؟
اتريدين أن تتحرري من الزوج والأبن والأهل والوطن !؟
إن قواعد سلوك شخصية سهر فرض عليها أثناء وجودها في دبي كما أنها أخذت تتحول تتدريجاً من طبيعة دنيوية محترمة إلى دنيوية محاطة بظروف معينة وحسب حاجة كل مجتمع.
وأود أن ألقي كلمة شكر واعتزاز برواية السيد حافظ كتجربة إنسانية ومدونة سردية.
تشخص الواقع المعاصر وفي تداخل تجريبي مع أحداث الماضي.

شكراً مع التقدير والاعتزاز

السيرة الذاتية

الاسم : د. خلود جبار عبيد

- **حاصلة على درجة الدكتوراة فلسفة أدب ونقد مسرحي**
- **قدمت مجموعة من الأعمال المسرحية والتليفزيونية والسينمائية لمجموعة من المخرجين العراقيين والعرب والعراقيين المغتربين**
- **عملت مقدمة قدمت مجموعة من البرامج الإذاعية والمسامع لقناة المربد سابقاً وإذاعة السفير في البصرة وقناة الفرات**
- **مثلت العراق في نخبة من المهرجانات العربية والعالمية**
- **كتبت وأخرجت مجموعة من البحوث العلمية والمقالات والورش الأكاديمية**
- **حائزة على جوائز ودروع في مجموعة من الأفلام السينمائية العراقية والعربية**
- **مديرة معهد الفنون الجميلة للبنات في البصرة**

دراسة

ما بين عشق الذات والنساء والمال والسلطة

بقلم د. أمل درويش



تشكل رواية الكاتب الكبير السيد حافظ "لو لم أعشقها" الجزء السابع والأخير أو كما ذكر في صدر الرواية " العلامة السابعة والأخيرة" من سباعيته الروائية التي بدأت برواية (قهوة سادة قهوة قهوة زيادة) حتى وصلت إلى الرواية موضوع الدراسة.

هذه السباعية المنفصلة المتصلة؛ والتي تمتد فيها الشخصيات الرئيسية ليعرض لنا الكاتب من خلالها التغيرات التي طرأت على المجتمع العربي على مر عدة حقب زمنية مختلفة، كان العشق فيها ضروريًا وأساسيًا؛ ولم لا ! فمن منا يمكنه أن يعيش أو يتنفس الحياة دون الحب؟

حتى أن الكاتب نفسه قد استهل الرواية بمقدمة يقول فيها:

"وعشقت مصر بصدق ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة.."

إذن تختلف أوجه العشق ما بين عشق الذات وعشق النساء وعشق المال والسلطة، والملذات الأخرى في الحياة وصولًا

إلى عشق الأوطان، وعشق الإله.. وهو العشق الأسمى والأطهر.
وإذ نحن هنا بصدد دراسة تمازج ملامح العشق المقدس والمدنس في رواية "لو لم أعشقها"، يتحتم علينا في البداية أن نعرف معنى العشق كما صوره الكاتب الكبير في هذا العمل.
فنجد أن الكاتب وضع فاصلًا هامًا يتنقل من خلاله عبر فصول الرواية مستخدمًا له عنوانًا أساسيًا "روح"؛ فالعشق موطنه الروح يسري في أوصالها فيبعث فيها الدفء والنشوة.
وتحت هذا العنوان نثر الكاتب مختارات لمعاني كلمة " الحب" اختارها بدقة وعناية لتحيط بكل معاني الكلمة الروحية والمادية، لنجد بين أيدينا قاموسًا يجسد لنا معاني الحب بكل روافده الممكنة، وينقل لنا كل أسراره وخفاياه، وكأنه عالم مسحور يحتاج للبحث وسبر أغواره للإحاطة ببواطنه والتماس قبس من نوره.
لم يحدد الكاتب هنا ماهية هذا الحب، وهل هو ذاك الحب الملائكي الشفاف المقدس أم هو ثمرة الشجرة المحرمة؟
فحين ترى شعاع النور من بعيد.. لا تستطيع أن تحدد ما إذا كان مصدره قبس من نور الإله، أم هو فوهة من حمم جهنم حتى تقترب وتقبض عليه بيديك؛ فإما أن تسعد وتنعم بالدفء وراحة البال، أو تحترق وتتألم.

ثم نجد الكاتب قد استخدم لعناوين الفصول مقاطع من آيات قرآنية، جميعها تعبر عن أحوال نفوس البشر وتأرجحهم بين الضلال والنور.

وهذه أمثلة للمقاطع التي استخدمها الكاتب:

وأكثرهم فاسقون، وأكثرهم لا يعقلون، وأكثرهم الكافرون..

وعدّد من خلالها صفات الضالين الذين تمادوا في عشق الملذات واعتادوا ارتياد دروب المحرمات، فكانوا كاذبين، للحق كارهون..

ثم انتقل إلى مرحلة أخرى وهي: لا يعلمون، لا يؤمنون، يجهلون، لا يشكرون، وهي صفات الجاهل الذي يقابل الحياة بشكلها المادي ويعزف عن البحث والإدراك والمعرفة..

ثم تلاها بصفات الذي عرف الحق وتجاهله، والساهون، وهؤلاء الضالون.

ثم عدد فئات أخرى من البشر ممن آثروا الخنوع والاستسلام: وأكثرهم المستضعفون، وأكثرهم عاجزون، ثم انتقل إلى الجزاء لكل هؤلاء فهم الخاسرون، الغافلون، أصحاب النار..

أما المخلصون فكانوا أكثرهم لا يعقلون، لا يعلمون، وبعضهم مغترون، وعاجزون..

وهذا هو حال أبطال الرواية الذين يتأرجحون ما بين هذه الصفات، أما البطل فتحي رضوان فهو من فئة العاجزين الذين يعلمون ولكنهم لا يستطيعون تحريك ساكن..

ثم ختم الكاتب الرواية بعنوان وأكثرهم يجهلون..

في إشارة منه إلى حال الشعوب العربية المغيبة، التي يستشري فيها الجهل إلا القلة القليلة التي تحارب الفساد، وتفشل أن تواجه كل ذلك وحدها.

ونعود لأحداث الرواية وأبطالها فنجد البطل الأساسي فتحي رضوان خليل على الرغم من أن البطولة شبه جماعية_ هذا الكاتب البطل الذي لم يخضع أبدًا لسطوة غاشم أو يتملق لمسؤول، وأختار دائمًا أن يكون متفردًا ومتميزًا، ينقد نقدًا لاذعًا ولا يخشى لومة لائم..

هذا الكاتب الذي هزمه الوطن مرات ومرات ورغم ذلك ما زال يعشقه؛ فالوطن هو عشقه الأول والأخير، هذا العشق المقدس الذي تتجسد فيه أسمى معاني الحب، ولكن ماذا يوجد ما بين الشرق والغرب؟ ما بين الأول والأخير؟

بون شاسع من الجنون والحماقات، ومراهقة مشاعر لا تنضج أبدًا.

وربما كانت هذه هي طريقته في الرد على خيانات الوطن له بالمزيد من الخيانات..

فها هو فتحي رضوان يتحدث عن نفسه فيقول:
"نعم أنا ذو القلبين قلب مع تهاني وقلب مع سهر، وأنا ذو الأوتاد وذو الكفل وذو النورين وأنا ذو الشهادتين وذو العينين وذو الرأي وذو اليدين وذو السيفين وذو النور وذو العمامة وذو السؤال وأنا ذو اليد وذو القلمين وذو اليمين وذو الوزارين وأنا الكفايتين.

وأنا الحنين ولا أملك روغان الثعلب وأعرف غناء كل الطير وأعرف طير النار وسر الشعر وحمق الشعراء وأنا ذو الوطنين مصر التي تهينني كل لحظة.. مصر التي ذاكرتها مثقوبة وخيراتها منهوبة ووطن ثان كان فيه حلمي ليس له عنوان.."

وإذا ما نظرنا إلى هذا الكاتب الذي رفض خيانة وطنه ورفض خيانة قلمه وأبى أن يلبسه رداءً غير ردائه، لكنه لم يتورع أبدًا أن يخون صديقه ويقيم علاقة مع زوجته، ولم يتورع أن يخون زوجته رغم أنه رفض مجرد التفكير أن تقوم زوجته تهاني بخيانته حين طلبه صديقه منقذ ليصارحه بما يجيش في نفسه من شكوك باتت مؤكدة لديه، لكنه لم يجرؤ على مصارحته بعلمه بخيانته له هو وزوجته..

لا لشيء سوى أن المواجهات تتبعها الخسائر..

نفس المنطق الذي تعاملت به تهاني مع فتحي حتي بعدما تأكدت من خيانته لها مع سهر.

ورغم وقوع فتحي رضوان في الرذيلة مرات ومرات قبل الزواج من تهاني، وصداقاته مع الكثير من الفتيات حتى بعد إلارتباط بها، ولكن المجتمع دائمًا يغفر للرجل حماقاته قبل الزواج، وربما غفرها له بعد الزواج، ولكن ما لا يغفره المجتمع أبدًا هو حماقة الزوجة أو حتى مجرد الأشتباه بها والشك فيها.

ولكن عشق منقذ للمظاهر جعله يتنازل عن هذا الحق ويعلم بخيانة زوجته ولا يحرك ساكنًا؛ بل إنه قام بالمثل حينما واتته الفرصة وقت سفرها.

وننتقل في هذه الرواية إلى ملمح جديد من شخصية فتحي رضوان؛ فبمجرد ظهور شخصية جديدة في محيطه في غياب سهر بعد الولادة وبقاء شهرزاد بجوارها، مما أعطي الفرصة لحياة للتقرب إليه، لتنضم بذلك إلى باقة معشوقاته الكبيرة التي تضم أجمل الأزهار جمعها من رياض مختلفة.

لكنه لا يكتفي أبدًا..

فها هو يقول:

"لماذا نتهيأ للخطيئة والحرام أكثر من تهيئنا للحلال والفضيلة؟

لماذا تتوعك الروح قليلًا وتكسل في مزاولة الواجب الزوجي المقدس على الأرض وتنتظر الحوريات في السماوات لتمارسه معهن؟"

والغريب في الأمر أنه رغم عشقه لسهر، إلا أن ذلك لم يمنعه من إقامة علاقة مع حياة..

فهل عشقه لسهر ليس عشقًا للروح كما كان يذكر دائمًا وأنها توأم روحه وكُتب عليهما إلا يفترقان!!!!

إن عشق فتحي رضوان ما هو إلا هروب من هزائمه أمام الوطن، ورد فعل لخيانات الوطن له، ويراه دائمًا حقًا مشروعًا له، وأنه لا يرتكب خطأ..

فها هو يقول في أحد أحاديثه مع نفسه:

"يا إلهي أنا لم أؤذ أناسًا طوال عمري.. أنا لا أملك كفاءة المجرمين والسياسيين والمراوغين.. انتشر الجهلاء والأقزام في زماننا.."

ولكن من هي حياة؟ وكيف تفكر؟

هذه التي تصف نفسها بأنها من بنات الفكر والمطر، ومن بنات الماء وبنات الأرض..

هل يمكن أن يعيش الإنسان مندفعًا خلف رغباته، أم أنه يمكنه أن يتحكم فيها ويسيطر عليها؟

ثم ننتقل إلى نوع آخر من العشق، إنه عشق تهاني لفتحي رضوان..

تهاني مثال الزوجة العاشقة المقهورة التي تجد بقايا شفاه نساء أخريات على شفتي زوجها، وتشعر ببقايا عطر سهر وحياة على جسد زوجها، ورغم كل مشاعر القهر التي تتملكها إلا أنها ما زالت تعشقه، فهل هذا العشق من الممكن إدراجه تحت مسمى العشق المقدس؟

أم أنه عشق مدنس، دنسه فتحي رضوان بأنانيته وساديته اللا متناهية..

والسؤال هنا هل العشق يهزمنا؟ أم يزيدنا صلابة وقوة؟

هل يجعلنا أكثر ضعفًا، ونرضى بالقليل، بالفتات، ببقايا رجل مهزوم؟

رجل يحمل نزواته بين ضلوعه ويسير بها كطاووس مغتر..

أم رجل مهزوم جريح.. يحاول إثبات انتصاره في أي ساحة حتى ولو كانت ساحة العشق المحرم..

وإذا ما أخضعنا سلوك فتحي رضوان للتحليل النفسي يحضرنا ما كتبه سيجموند فرويد في كتابه الموجز في التحليل النفسي:

"وقد علمتنا التجربة أن من الممكن للغرائز تغيير هدفها (عن طريق الإزاحة) وأنها يستطيع أن يحل بعضها محل البعض،

بأن تنتقل غريزة ما إلى أخرى والعملية الأخيرة لا تزال غير مفهومة تمامًا." ص(٣٠)

ورغم كل ذلك حين تقترب منه تشفق عليه، وتراه يخفي جراحًا غائرة بداخله بين أحضان النساء يلتمس لها الدواء أو المخدر..

نعم، فحين تقترب أكثر من فتحي رضوان تجده شخصًا مهزومًا، يحمل هزيمة ٧ آلاف سنة على كتفيه، يحمل أوجاع النيل وما يُلقى فيه من دنس ومخلفات، يحمل أوجاع أمة عانت من القهر، وتاريخ مزور، أصبح فيه الشرفاء مدانين والخونة هم النبلاء..

فنراه يقول لنفسه:

"ماذا تفعل يا ابن الحاج رضوان.. تجري خلف النساء وتجري خلفك النساء.. ليست هكذا تدار الأشياء.. من العيب أن يكون محور حياتك في الخليج جزء كبير منه النساء.. إن للمثقف دور آخر.. هل الثقافة حقيقة في بلد مترف من الطعام والثراء؟ هل الثقافة حقيقة في بلد جائع؟

هل النساء وعاء طبيعي وصحي لتفريغ شحنات الغضب واليأس والإحباط؟ هل تعاني من جوع؟"

ويقول في موضع آخر:

"النساء سحب منهن الحنان، ومنهن تمطر الدموع، ومنهن من يبخلن بالعطاء ويسرن في سماء الأرض بلا هدف.. قال الحاج رضوان مصائب الأرض من النساء.. وقلت النساء فرح الأرض والسماء وضحكات الأطفال وقصائد الشعراء."

نعم هذه السطور التي سجلها الكاتب السيد حافظ على لسان فتحي رضوان تحلل لنا بصورة واضحة شخصية فتحي رضوان وضعفه أمام جنس النساء وحماقاته معهن.

ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى تعريف الرغبة بأنها هذا الوحش الكامن بداخلنا، والذي إن لم نكبح جماحه سلبنا إرادتنا وقادنا إلى طريق الهلاك.. معصوبين البصيرة وفاقدين لحواسنا.

نعم؛ في داخل كل منا كهف مظلم يحوي الكثير من الخفايا، وها أنا ذا أجد نفسي أخلع ثوب البراءة واعلقه على مسمار دقّيته على نافذة العادات والتقاليد لتُحكم به سجني، وتمنع عني نور العشق ظنًا منها أن الفضيلة ظلامها عاقل يخفي كل العورات، لا تدري أن الظلام سيد السقطات والزلات، يدفعنا دفعًا لجُبّ الخطيئة السحيق حتى النقطة التي نستسلم فيها ولا نفكر في الرجوع أبدًا.

الهروب غالبًا حيلتنا، ولكن في نهاية الطريق تفاجئنا الأقدار بمرآتها لتكشف لنا وجوهنا الحقيقية، وتسقط كل أقنعة الفضيلة التي حاولنا التستر خلفها.

لماذا نخشى سقوطها؟

لماذا لا نعترف بأننا عجينة تشكلت من طين الشهوة والرذيلة المخلوط بماء النور والفضيلة؟

لماذا لا نعترف أن طين قلوبنا قد يقسو ويجف، ثم يعود فيرق ويلين ونحن بين هذا وذاك لا نبقى على حال!

من منا سار على الدرب مستقيمًا طوال رحلته في الحياة؟

الغواية تسري في دمائنا منذ خديعة الشيطان الأولى لآدم وحواء، فامنحونا الفرصة للتوبة ثم السقوط والعودة للتوبة من جديد..

ولا تغلقوا أبواب الرحمة، وترفقوا بقلوبنا المؤرقة بوجع الفضيلة..

ونعود إلى أحداث الرواية فنجد حالة من التصعيد في الأحداث، والتصعيد في التحليل النفسي يستخدم للدلالة على التطهير الأخلاقي كما وضحه فرويد:

"يتطهر الدافع الجنسي من عناصره البيولوجية التي يتركب منها، المرتبطة بتكاثر النوع ليبتغي أهدافًا رفيعة في الأنساق

الفنية والفكرية والدينية، أي أهدافًا موصوفة في العادة أنها سامية..
ومن هنا منشأ الإبهام الأول يبدو التصعيد الذي يصنفه فرويد بين آليات لدفاع أنه آلية تحرر بالقدر نفسه."
كتاب التصعيد دروب الإبداع ص(٥،٦)
ترجمة وجيه أسعد.
فنجد انغماس الأبطال في اللهث خلف الملذات والرغبات، رغم الصراعات النفسية التي تدور في داخل البعض.
والبعض الآخر يترك نفسه للريح تأخذه أينما تشاء، فنجد كاظم يحاول أن يجد لنفسه دورًا في الحياة، لكنه طوال الوقت لا يستطيع اتخاذ قرار، منذ اختار ذات مرة عشق الوطن فخذله، واغتصب أحلامه، ومنذها لم يتنفس أبدًا..
كان يعشق سهر في صمت، ثم استسلم لمحاولات وردة في حصاره، ولكنه أخيرًا اختار دربًا، رغم كل محاولات الجميع دفعه بعيدًا عنه..
ترى هل دائمًا تكون خياراتنا صحيحة؟
خاصة حين تكون مجرد ردود أفعال.. وهل الهروب هو الحل الأمثل أم أنه الأسهل؟
ثم نجد شداد وتلميذه راغب..
هذا الذي لا يتورع أبدًا في خطف ما تراه عيناه وينال إعجابه..

بعض الأشخاص يموت عندها الضمير ولا أمل في إحيائه ثانية..

ونعود إلى فتحي رضوان الذي يتجلى له ضميره في صورة شيخ ينشر النور أينما حل، ورغم أنه حاول في المرة الأولى أن يطهر قلب فتحي، إلا أن فتحي رفض وقتها متذرعًا بأنه ليس نبيًا أو وليًّا وأنه إنسان عادي يصيب ويخطئ، وفي ذلك دلالة على كونه لم يكن مهيئًا نفسيًا، وغير مستعد للتوبة وارتداء ثوب الفضيلة والانتقال إلى مرتبة أسمى في العشق.

رغم شعوره بالذنب الذي يحاصره بعد كل مرة يلتقي فيها بسهر، لكنه لم يصل بعد لذروة الإحساس بالذنب والرغبة في التطهر.

وهنا يحضرني قول نيتشه في كتابه أصل الأخلاق وفصلها:

"باستطاعتنا أن نحزر منذ الوهلة الأولى أن فكرة (الضمير) التي نلقاها هنا في حالة رفيعة من النمو تبلغ حدّ الغرابة، تجر وراءها تاريخًا طويلًا، تاريخ تطور أشكالها..

إن مقدرة المرء على الاستجابة لذاته وعلى الاستجابة بكبرياء، وبالتالي كذلك مقدرته على تقبله لذاته – هي، كما قلت.. ثمرة ناضجة، لكنها أيضًا ثمرة قصيعة فكم لبثت هذه الثمرة من وقت طويل، معلقة على الشجرة وهي فجة وحامضة!" ص(٥٦)

"ولكن كيف أتى إلي الوجود هذا الشيء المظلم، هذا الإحساس بالذنب، كيف أتى إلى الوجود كل ذلك الجهاز الذي نسميه الضمير المتعب؟" ص(٥٨)

ورغم أن هذا الضمير قد أفاق من غفلته، واستيقظ لدى سهر فزارها في الحلم وتجسد لها في صورة رابعة العدوية، فهرعت وفزعت واستقبلت الإشارة بكل ترحاب دون أن تتأكد ما إذا كانت مستعدة من داخلها لهذه الخطوة الفارقة..

فتخلت عن ثيابها المكشوفة وارتدت غطاء الرأس وتجاهلت شداد، إلا أن القلب لم يكن على قدر الحدث الجلل، ولم يكن قد تطهر بعد من عشق الدنيا وعشق المال والسلطة، لنجدها قد عادت لما كانت عليه، وأكثر.. فلم يعد ضميرها يتعب لعلاقتها بشداد ولم يعد يعاودها الشعور بالذنب.

ونعود لفرويد وما ذكره في كتاب الموجز في التحليل النفسي: "بعض العمليات تغدو شعورية في يسر، ثم لا تلبث أن تعود إلى سيرتها الأولى، ولكنها قد تصبح شعورية ثانية بلا عناء، أو كما يقال يمكن أن تستعاد وأن تتذكر.

وهذا ينبهنا إلى أن الشعور عادة حال سريع الزوال، فما هو شعوري يضل شعوريًا لحظة فحسب.

وإذا كانت إدراكاتنا الحسية لا تؤيد هذا القول فإن التناقض ليس إلا ظاهريًا.. صحيح أن هذه العمليات يمكن أن تدوم إلا أنها يمكن أيضًا أن تنتهي في لمحة عين." ص(٤٥)

وهذا يفسر ما حدث لسهر.

أما فتحي رضوان فقد استطاع أن يرتوي من نهر التوبة رشفة رشفة، حتى تصل إلى كل ذرة في كيانه فتطهرها قبل أن يستسلم للضمير، ويعلن الندم ويرتقي سلم التقوى خطوة بخطوة.. حتى يصل إلى النقطة الفاصلة.. القمة.. العشق الإلهي الذي لا يفنى..

حين يدخل إلى مسجد أبي العباس ولا يخرج منه، ولا يعرف عنه أحد شيئًا..

ويختم بذلك مسيرة حافلة بكل أنواع العشق.. المقدس منها والمدنس، بدأها بعشقه للوطن ولكنه خانه وهزمه، وأنهاها بعشق لله فنصره، واختار التصوف والتبتل بعد إخفاقاته المستمرة في الحصول على اهتمام هذا الوطن، وبعد الخيانات المتتالية التي نالته منه.

ولا عجب أن تكون آخر "روح" يختم بها الكاتب تعريفات الحب المختلفة والمتعارفة تحمل هذا المعنى:

" حتى أفاض على جوارحه الظاهرة والباطنة. وقد ذكرنا اشتقاقه فيما تقدم فأما معناه فذهاب حظه من كل شيء سوى معشوقه حتى يذهل عن عشقه بمعشوقه."

ونرى أن هذا هو أسمى مرتبة في العشق المقدس، ومنبع الاطمئنان والراحة..

وكما قال جلال الدين الرومي :

"لن أفتش عن مكان آخر كي أحيا به، لم أعد خجلان من كيف أعشق.. عيناي تنفتحان، أنت موجود بكل مكان: غسول العين : طبٌ، لتمديد البصر ولقدرة الدوران."

رباعيات مولانا جلال الدين الرومي..

تأويل : محمد عيد إبراهيم

بقلم د. أمل درويش

السيرةالذاتية

الإسم: أمل محمود درويش

المؤهل الدراسي:

بكالوريوس الطب البيطري عام ١٩٩٥

دبلوما في الميكروبيولوجي والمناعة وأمراض الدم ١٩٩٨

-أخصائية مختبرات طبية

-كاتبة روائية

إصدارات مطبوعة :

- رواية "أسماء" حائزة على المركز الأول في مسابقة أفضل إصدار لمؤسسة النيل والفرات لعام ٢٠١٩

- رواية "عهد" صدرت عام ٢٠٢٠.

- مجموعة قصصية "أحمر شفاه" تحت الطبع.

- كاتبة وصحفية في عدة صحف منها الراي الكويتية، الكنانة نيوز، نبض العرب، صدى المستقبل الليبية، المساء العربي وغيرها.

- رئيس القسم الأدبي بجريدة كنوز عربية.

- مدير مكتب الكويت لجريدة الجمهورية والعالم.

بالإضافة لمدونة

HOPE4LIFE72.WORDPRESS.COM

وحسابين على الإنستجرام

@HOPE4LIFE72
@HOPEINLIFE72

ثنائية المقدس والمدنس في " لو لم أعشقها "

د. نزار شبيب كريم العبادي
العراق



تعد ثنائية المقدس والمدنس من المفاهيم التي شغلت حيزاً واسعاً من الفكر الإنساني ولعبت دوراً بارزاً في التأثير في سلوك الإنسان وتفكيره وبخاصة في ممارساته الدينية والحياتية ويرى (ميرسيا الياد) " إن الإنسان ضل أسير أساطير ومحرمات ومقدَّسات تتناول كل مقومات هذا الوجود ، وانه ما زال يعاني تسلط واستبداد أفكار أشخاص تفصله عنهم مئات السنين ، ويندر أن يتساءل أحد لماذا وصف ذلك الشيء ، بالحلال أو المقدَّس وذلك الشيء بالمدنَّس أو الحرام ، ولماذا عدّ هذا المكان وهذا الجبل وذلك الحجر مقدَّساً حين دفع غيره أو وضعت ظاهرة طبيعية بكونها مجردة من القداسة."

وترى (ميرال طحاوي) أن اختلاط القدسي بالحرام يعني أن القدسي قد يتمثل في عدد من المحرمات والممنوعات. والفعل حرم في القرآن الكريم يجي موازياً أو مناقضاً للفعل أحل فالحرام هو المحظور. والحلال هو المسموح المباح. ويعبر عن الثاني بمفردات نقيضة للأولى هي : الحرام، والممنوع،

والمحضور، والعيب، والمرفوض. وإن كانت المفردات السابقة غير مترافدة، إلا أنها أنها تشترك في دلالتها على التحريم القطعي أو شبه القطعي، والإباحة المطلقة أو شبه المطلقة فيما لايتجاوز المنظومات التي وظفت في سياقها هذه المفردات.

وأراد السيد حافظ من خلال شخصياته وبالتحديد من مصر والعراق الكشف عن صراع الحضارات الموغلة في القدم في الحصارة المصرية القديمة و حضارة وادي الرافدين بما تملكه من أرث حضاري وثقافي أضفى طابعاً من القداسة مع مدينة البغاء (دبي) التي تمثل حضارة اليوم التي أرسيت على كل هو مدنس وينتهي الصراع بأنتصار المدنس على كل ماهو مقدس وأصبح أبناء الحضارات غربة في أحضان الوطن يلفظهم تارة ويعاقبهم تارة أخرى" الوطن قاعة لأستقبال الغرباء ومغلقة أبوابها أمام مواطنيه ..الوطن قسمنا إلى جزأين الأول للسادة الأحرار والثاني هو الغالبية العظمى من العبيد(الكلاب).. هناك فرق بين الاثنين. وأنا من العبيد الفقراء وأنحاز إليهم.. قلباً وقالباً..دخلت إلى البيت عكر المزاج صامتاً..لم أتحدث مع تهاني حاولت تهاني زوجتي أن تعرف سبب تعكر مزاجي قلت لها وأنا أجلس على طرف السرير وأخلع الجورب من قدمي

المتعبة دائماً والتي أضع عطراً رخيصاً عليها.. قلت لها تحت إلحاحها:
فنشوا ناس كثير اليوم؟ طرد ٧ صحافيين
وأنت خايف تتفنش؟
أكيد خايف ص ٣٤
وأرى هاجس المعادل الموضوعي لمعاناته في عشق وحب مصر لكن دون جدوى.
فالتهميش والاقصاء ينتظره في كل مكان مثلما طال أسلافه سابقاً.
"أين ستذهب يأبن رضوان إلى مصر حيث ينتظر كالغالبية من المثقفين يحملون خناجرهم ليغتالوك مثلما اغتالوا محمود دياب ونجيب سرور ويحيى طاهر...وقائمة طويلة من مبدعين ومبدعات قتلوا قبلك من الحسد والتهميش والتجاهل والإشاعات ؟ إلى أين تفر يا ابن رضوان؟ إلى قطر المدينة التي مساحتها مثل مساحة شارع شبرا وكانتها مثل قارة أوربا؟ هل تسافر إلى الكويت التي تعرف أن المسيح مر ذات ليلة عليها ومسح على شعرها ومضى..." ص ٢٧
إذ بانت سطوة المدنس على المقدس في كل مفاصل الحياة اليومية في عالمنا اليوم. وربما ماكان مقدسًاً عند فلان يكون مدنسًاً عند آخر وغالباً ماتدور الرواية العربية في فلك الجنس

أو السياسة وهو مانراه متجلياً في خانة الرواية وتلك العلاقة المشوبة بالخيانة الزوجية التي جمعت (رضوان بسهر) وباتت تهدد كيان أسرة. و(منقذ) في حيرة من أمره خشية أفتضاح أمره وأمتلك السيد حافظ أدوات الجرأة في الخوض في غمار المقدس والمدنس بغية تسليط الضوء على مايعانيه المجتمع العربي من افرازات تلك الثنائية ومهيمانتها.

وجاءت الآيات القرآنية لتكون مصداًقاً لما يرتكب من فساد " وأن كل ذنب يترك أثره في المجتمع، كما يترك أثره في الأفراد عن طريق المجتمع أيضًا..ويسبب نوعاً من الفساد في التنظيم الاجتماعي. وخيانة الامانة تحطم الروابط الاجتماعية"

وأوغلت سهر في أرتكاب المدنس وهي تحتسي الخمر:

حياة: أنت أول مرة تشربي يا سهر

شربت مرة مع شهرزاد

من شهرزاد؟ أمك؟ خالتك؟ صاحبتك؟

هي الدنيا بكل ما فيها. شهرزاد هي كل شي في حياتي

شوقتيني لها. نفسي أشوفها.

مصيرك حتشوفيها؟

رفعتا الكأسين

في صحتك

في صحتك

ارتفع الكأسان من يدين ناعمتين

خرجت المرأتان في ذات العصر من المطعم.. كل منهما إلى سيارتها. الخمر خطيئة في الدنيا وفي الآخرة خمر أخرى لا تسكر ولكن تنعش القلب والروح هكذا علمونا رجال الدين.. والله أعلم . هل ما نفعله الصواب . ص ٣٠

السيرة الذاتية

الأسم الكامل : نزار شبيب كريم العبادي

مواليد : البصرة ١٩٧١

التحصيل الدراسى :

- **دكتوراة أدب ونقد مسرحي جامعة البصرة – كلية الفنون الجميلة عن اطروحته الموسومة (توظيف المضامين التربوية القرآنية في النص المسرحي العربي) ٢٠١٨**
- **ماجستير إخراج مسرحي عن رسالته الموسومة (عروض المسرح المدرسي في البصرة ١٩٦٨-١٩٨٨- دراسة توثيقية) ٢٠١٣**
- **بكالوريوس تمثيل - الدفعة الاولى ١٩٩٦**

اللقب العلمى : مدرس دكتور

العنوان الوظيفى : تدريسي في مديرية تربية البصرة

<u>النقابات المنتمى لها</u>

- **عضو نقابة الفنانين ١٩٩٦**
- **عضو نقابة المعلمين ٢٠٠٥**
- **عضو رابطة التدريسيين التربويين ٢٠١٠**
- **عضو مؤسسة الكفاءات التربوية ٢٠٢٠**

الدوراتوالشهادات

- الشهادة الدولية للحاسب والانترنت ٢٠٠٩(IC3)
- شهادة اختبار اللغة الانكليزية ٢٠٠٩(TOFEL)
- شهادة الرخصة الدولية لقيادة الحاسوب ٢٠١٧ (ICDL)
- الدورة التاهيلية في طرائق التدريس ٢٠١٣
- دورة (نحو مدرس تربية فنية) جامعة البصرة كلية الفنون الجميلة بالتعاون مع شعبة الاشراف التربوي في مديرية تربية البصرة ٢٠١٧
- الندوة الدولية الالكترونية (مناهج الفنون الجميلة- الواقع والطموح) التي اقامتها كلية الفنون الجميلة جامعة البصرة بورقة بحثية ٢٠٢٠

المشاركات

- الّف وأخرج مسرحية (المذيع) وعرضت عام ١٩٩٢
- المشاركة في اوبريت (الشهيد) إخراج د. ناصر هاشم ١٩٩٢
- المشاركة في اوبريت (كبيرا انت ياوطني) إخراج احمد ابراهيم١٩٩٢
- المشاركة في مسرحية (اوديب ملكا) إخراج د.حميد صابر٣ ١٩٩
- المشاركة في مسرحية (طائر البحر) إخراج د.كريم عبود١٩٩٤
- المشاركة في مسرحية (ماراصاد) إخراج د. كريم عبود ١٩٩٥

- المشاركة في مسرحية (الدب) إخراج سمير سبتي ١٩٩٥
- المشاركة في مسرحية (الأستثناء والقاعدة) إخراج د.فراس جميل ١٩٩٦
- كما شارك في العديد من الفعاليات والانشطة التي قدمتها مديرية تربية البصرة

البحوث المنشورة:

- الرثاء النسوي وتمثلاته في النص المسرحي مجلة الاكاديمي.
- القيم الاخلاقية لشخصية الام في مسرحيات جبار صبري العطية قيد النشر
- مفهوم الوصم وتمثلاته في النص المسرحي قيد النشر
- صور الموت في العرض المسرحي العراقي مسرحية يارب انموذجاً مجلة فنون البصرة
- مظاهر توظيف التراث الشعبي في مسرحيات اطفال حسن موسى قيد النشر
- مفهوم الالحاد في النص المسرحي نماذج مختارة- منشور في وقائع المؤتمر المؤتمر الدولي الخامس للعلوم الإنسانية والتربوية جامعة فردوسي.

عشق الروح و ملحمة الأديب السيد حافظ
قراءة في رواية (لو لم أعشقها)
بقلم د. داليا بدوي – مصر



بداية ما أنا بناقد .. ولكننى أعشق القراءة وما كان لي من أسباب لأخط تلك السطور سوى رغبة ملحة لتفريغ شحنة ثقافية إبداعية لا تتكرر لرائد التجريب وأستاذ الكتابة المسرحية (السيد حافظ) ، ولو لم أعشقها – الملحمة – ما قدمت هذه القراءة المتواضعة.

تاتي مسررواية "لو لم أعشقها" تتويجا لملحمة سباعية إبداعية كتبها الاديب السيد حافظ وحدد لنا ملامحها من أجزاءها :

١- قهوة سادة

٢- كابتشينو

٣- شاي أخضر – شاي بالياسمين

٤- كل من عليها خان

٥- حتى يطئن قلبى
٦- ما أنا بكاتب
٧- لو لم أعشقها

لترصد عشق الروح وليس الجسد بنظرة بعيدة واعية يراوغ فيها بقلمه المحترف لينقل الأحداث اليومية ويتمرد به على الرواية الكلاسيكية العادية بتقنية ينفرد بها من حيث الحبكة وترتيب الأحداث والأزمان والربط التاريخي للسرد وعرض للأحداث مدهش للقارئ لتنتهي هذه الملحمة بواقع عودة الشيء إلى أصله وتكرار الزمن فالتاريخ يعيد نفسه ، وأن تشابه الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، يؤدي إلى نفس النتائج.

لا يملك القاريء مع هذه الملحمة إلا أن يكون يقظًا من قبل البداية لأنه بين ضفتي ملحمة صادمة الواقع قوية المفردات والفكر ولكم أن تحكموا على الإهداء الذي لم يتنازل فيه الكاتب عن أن يكون رسالة موجهة وقوية في نصفها :

"إلى هؤلاء الزناة.. الزنا بالعين والكلام والفكر واللمس والهمس والكتاب والرؤيا بأحلام اليقظة وبالفعل إلى هؤلاء السخفاء الذين يظنون أنهم يلعبون على الرب بالصلاة والمسبحة وسماع القرآن يوم الجمعة.. والذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد وإلا المعبد اليهودي يوم السبت .. إلى الكذابين

الوجهاء الظرفاء.. هؤلاء الذين يزنون بالوطن صبحًا ومساءً.. دون حياء.. ويأكلون اموال الفقراء"

ويؤكد على عشقه بعنوان صوفي وجملة مختصرة ذيلها بإمضاءه ليوثق للقاريء مفهوم العشق الأسمى.

" حين لا يتوضأ الحرف
يدخل نار البوح
فيفضح الكون فيغضب الرب
عشقت مصر بصدق ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة..
واكتشفت إن ليس لي وطن غير الكتابة وكل ما حولي جنون..
حين غرد الطير فوق نافذتي تنبهت تعطرت تهيأت توضأت بنور موسم الكتابة الذي اتى لي .. بين الورق والقلم والهمزة والياء أنفقت العمر هباء... السيد حافظ"

ثم يطرح تساؤل يصير الجدل وليحرك ويوجه مشاعر وفكر القاريء للواقع والمجهول :

" كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس؟؟..
السيد حافظ"

يظهر البعد الدينى منسوجًا بقوة ووضح من خلال اختيار الكاتب للعناوين أو العلامات كما لقبها بأسلوب دقيق راصدًا الحدث بحرفية وكفاءة، مما زاد السرد ثراء، وقد جاء التناص مع الآيات القرآنية مؤكدًا وموضحًا للفكرة التي يريد الكاتب

التعبير عنها ونجد أن كل إستشهاد يخدم موقفه وفكره وهذا إن دل على شيء فهو يدل على ثقافة واسعة وخبرة حياتية راصدة لدقائق التفاصيل لإعطاء العمل تكامل وتوازن بين الماضي والحاضر ويضيف بعدا تاريخيا ودينيا لا يكن لأحد تكامل وتوازن بين الماضي والحاضر ويضيف بعدا تاريخيا ودينيا لا يمكن لأحد ان يشكك فيه ويسهل الأستدلال عليه من خلال الآيات وكذلك العناوين ، وأكثرهم الفاسقون، لا يعقلون، الكافرون، للحق كارهون، كاذبون، لا يعلمون، يجهلون، لا يشكرون، مشركون، لا يبصرون، في غمرة ساهون، ضالون، معرضون، مستضعفون، عاجزون، لا يسمعون، ظالمون..

أضاف الكاتب لكل علامة نصًا من روحه وفكره وعنونه ب" (روح) كما ربط كل علامة بتقنية تفرد بها باقتدار بقطعة من روايات والمسرحيات العالمية التي كانت بمثابة نهر يفيض على السرد فيزيده ثراء ويخدم الحداث بوعي مثقف دقيق ومن مقتطفات الروايات.

غبار الخاطر .. لأبو الكلام آزاد

الاحتقار .. ألبرتومورافيا

حفلة القنبلة .. جراهام جرين

هذه زوجتي .. أوليفر ساكس

دم وخمر .. بوليكوشكا

عذارء .. ليوتولستوي
مزرعة الحيوانات .. جورج أورويل
الحب وشياطين أخري.. جابريل غارسيا ماركيز
الحديقة السرية .. فرانسيس هونجستون برنت
الخريف.. الي سميث
حزن الملائكة .. يون كالمان ستيفنسن

ظل للقهوة مكانتها و هذا الحضور ونفس التأثير والقدسية مثل الأجزاء السابقة ، حتى وهو يلقي ضميره يحتسي معه القهوة، وليس بغريب فالقهوة لها مكانة روحية مهمة في الحياة الاجتماعية والثقافية للإنسان العربي، وهي مشروب لكل فئات المجتمع ، وشراب الصالحين حيث اقترنت بجلساتهم وحلقات الذكر، وأول شراب للاستفتاح ، ولا تحلو جلسات النساء بدون قهوة.

"هكذا ترتعش يا ابن الحاج رضوان حين أتاك ضميرك يشرب معك القهوة .. إذا ماذا ستفعل حين تقابل الله؟"

على الرغم من حب الديب للوطن الذي يعيش بداخله إلا انه يعبر عن مشاعره الغاضبة وعتابه من قسوته.

"لقد أصبح الوطن مكانًا باردًا مزعجًا مليئًا بالتفاهمة؟؟ كل التنبؤات حوله سيئة .. مجنون أنت من غير الممكن أن تهجر دبي إلى مصر وتعود مرة أخري للعذاب.."يا لأمس هموم

الواقع على لسان شخصياته بقصد تغيير كل ما يسيء إلى الإنسانية ويفضح القبح ويدعم رمزية المرأة في كونها جسد الوطن بكل حالاتها.

"آه يا ابن رضوان تعلمت الشك والريبة في كل من حولك من كثرة خيانات الوطن لك.. متى سجل الوطن شكوى لك وأخذ يناقشها ؟ مجرد مناقشة بدلاً من تحويلها لسلة القمامة؟

"كل حروب مصر كانت حروب أيدلوجية دينية فالدين هو المحرك الأساسي في تحريك الشعب وهياج الجماهير مثل الحروب الصليبية والدعاية لحرب ضد العباسيين وضد الأمويين واشتركت مصر بسقوط دول كثيرة بوعي وبدون وعي.. الآن حلت الحرب الأيدلوجية السياسية".

"الأن مصر عادت إلى قرون التخلف فقامت بحرب ضد الشيعة والسلفيين وسحلت وقتلت أسرة كاملة شيعية ورجعت أكثر من ألف سنة إلى الوراء مثل أيام صلاح الدين الأيوبي.

كشف الواقع ومرارة التيه والحسرة وضياع اليقين بالانتماء للأوطان يخرج صارخًا .

" يا قوم يا قوم الوطن قد مات وسرقوا قلبه وكليته ونشرت أصابع يديه !! هكذا الجريدة تقول".

ليكشف فساد الإعلام والصحافة والكذب الأشر في ظل أنظمة قمعية تصادر حرية الإنسان.

يستمر فتحي رضوان في متاهة البحث عن الوطن والصراع الداخلي للاستقرار ومحاولته للوصول إلى طريق للخلاص من خلال تجليات روحية.

" لا أتحمل ما برأسي من أفكار؟؟ أمشي مكشوف الرأس وابتسم بلا سبب وأضحك بلا سبب وأعرف النساء وأعاشرهن ربما لسبب مهم هو أني أقاوم الاكتئاب العميق الذي لا تراه الناس في وجهي ."

يحافظ الأديب على ملكاته ويفيض بنهر صوفيته ليرتقى بالقاريء من درجة الحب إلى مستوى العشق والصوفية فى التواجد في حضرة جلال الله :

"وبينما أنا في السجود

صلاة الفجر والعشاء قصيدتان من الرحمن"

"بحق سورة الرحمن أنقذيني"

تستمر الصراعات النفسية ووجود المرأة وآراء الأديب الفلسفية واضحة.

" النساء سحب منهن من تمطر الحنان ومنهن من تمطر الدموع ومنهن من يبخلن بالعطاء ويسرن في سماء الأرض بلا هدف .. قال الحاج رضوان مصائب الأرض من النساء.. وقلت فرح الأرض والسماء وضحكات الأطفال وقصائد الشعراء"

"اعترف أنني هزمنى الشر من الألف إلى الياء وكان الأغبياء يشربون نخب صدور كتبهم العماء التي تحولت بعد عام مجرد أوراق لدورة المياة"

تظهر الرؤية الصوفية في كتابات الديب بجلاء ، وتلك الرؤية سمت بالروح وأرتقت بها عن الواقع :

- لقاءه ضميره
- الشيخ المحاسبي

" دخلت غرفتي وجدت شيخًا مهابًا يجلس بجبته الخضراء وبخور يطلق من حوله .. سألته :

- من أنت ؟
- "أنا الشيخ المحاسبي أنا أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي،..."
- "انا ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري.. وأنا أبرز شخصية صوفية مصرية في القرن الثالث الهجري..."
- " أنا أبو المغيث بن محمد البيضاوي الملقب (الحلاج)"
- "رابعة العدوية .. ويقولون عني أيضًا أم الخير رابعة بنت إسماعيل القيسية العدوية البصرية"

حافظ الكاتب على الإيقاع في ختام مدهش من خلال تقاطع السرد والحكي المسرحي ومزجهم فى تناغم يربط الماضي بالحاضر والخيال بالحقيقة .

ليكشف في النهاية عن واقع سيء تعيشه الأمة العربية بشكل عام، والمواطن المصري بشكل خاص في محاولات البحث عن الذات في الغربة وفقد الإنسان للسكينة الروحية والإنتماء.

على الرغم من الفواصل والتقاطعات ، تتصاعد الأحداث دون ملل لترسم بانوراما غزيرة التفاصيل لواقع حقيقي وفساد موجود وملموس وإن تنكر له الجميع ، وتبرز العلاقة بين العشق والأنثي والأغتراب والوطن التى تعاني إزدواجية بين الحب بدافع المصلحة والحب بدافع الحرية.

"الحرية ليست فوضي المشاعر والشيوعية ليست شيع الحرام والإيمان.. ليس الصلاة فقط ..والحب ليس الجنس فقط ..والرزق ليس المال فقط، والروح ليست البكاء حين الصلاة.. والناس تعيش تبرر ما تهوي ولا تهوي ويظنون أنهم يخدعون الله"

ويتوغل الكاتب بها في داخل الظروف الاجتماعية والصراعات سواء مع الذات والضمير كما هو الحال مع فتحي رضوان وسهر أو منظوره الخاص للخيانة بينهما والتي يطرحها في تورية ليدل على أنها ليس مجرد علاقة جسدية بل هى علاقة

روحية جسدية لها دوافعها وأسبابها ، شداد ذلك اللئيم الشرير الفاجر الداعر الحقير والكيس المملوء بالشر والمال ليشير فيها إلى الوطن المستباح الخائن الممتلء بالجهلاء الذين لا يعنيهم إلا النساء والمال والمنسب.

"البدايات تبدأ بالتنازلات بالمرح والضحك وخفة الظل.. هكذا تعود شداد مع النساء .. لقد ألتقطت العصفورة حبة القمح .. واستلمت بيدها عربون محبتها"

جمع الكاتب السيد حافظ في رشاقة مدهشة بين مجموعة النساء بحرفية بالغة منحت الشخصيات الأساسية وعلى رأسهن شهرزاد التي لا يوجد مثلها في العالم وكأنها تطل علينا من كتاب حكايات (ألف ليلة وليلة) لتكمل دورها كصديقة وكاتمة أسرار لسهر ونموذجًا للعرافة التي تجمع التمكن من قلوب النساء ، ولها مكان في حياتهن ، وزوجها حامد صقر الذي انتظرته عشرين عامًا.

وفتحي رضوان الذي يعيش أحداث الحب والعشق والخيانة مع سهر زوجة صديقه منقذ ذلك المعذب الذي لا يعرف الفرق بين الغرام والحب والجينس وكشفه خيانتها، وشعور فتحي بالذنب تجاه زوجته تهاني والتي لا يمكنه التنازل عنها، وكاظم الذي يهجر وردة وابنته من أجل ليزا تلك الأوروبية الفاتنة ، الكل يخفي الحقائق أو يواجهها بأسلوبه.

كحال الملحمة بأجزائها حرص الكاتب على الجانب الإنساني الذي يبتعد فيه عن أي عنصرية سواء دينية أو طائفية ليركز على العمق الإنساني وعلى الوطنية التي تعتمد على كونك مصري وكفي ، وأحسب ان الكاتب بهذا الفكر يدعو للقضاء على الفتن والنزاعات الطائفية التي تزعزع استقرار الأوطان.

"أما الأن غابت مصر الراقية وأنتشرت مصر العشوائية وغابت مصر أم كلثوم وعبد الحليم وليلى مراد.. غابت مصر السهر على شط اسكندرية ونيل القاهرة ، وضحكات الأصحاب والبنات على الشط.. ولعب كرة الشراب في الحارة"

تشابكت أحداث الحكايات في نشيج متقن تختلط فيه الألوان من التاريخ ليدمج الماضي مع الحاضر ويفتح مسارات للجدل والتساؤل الذي لم يخفيه فى كثير من الأحداث والتي يربطها مع الواقع السياسي والثقافي والاقتصادي.

يعانق الكاتب بشكل مميز قضية الاحتياج والإغتراب على الشخصيات من خلال رسم دواخلها ومشاعرها وردود أفعالها والتنازلات التي يقدمها طالب لقمة العيش ومعاناته من القهر والذل والضغوط ، ويلاحق بإصرار المسكوت عنه من صراعات مادية وعلاقات محرمة ليستدعي في ذهن القاريء أسئلة ويدفعه لأجابات واقعية واعية يسعى من خلالها إلى

تكوين وعي عربي عله ليستطيع أن يتخطي صراعاته ويغير من واقعه المهزوم في زمن تبدلت فيه القيم والمفاهيم.

ويظهر جليًا بعد الاستغناء عن خدمات فتحي رضوان وعودته يجر أذيال فشله إلى مصر، واختفاءه الغامض المثير للجدل.

"مرت سنة وراء سنة..

قال المثقفون اليساريون..

- إن جماعة متطرفة خطفت فتحي رضوان خليل في مسجد أبي العباس ومزقوه ووضعوه في أكياس ورموه..

قال المثقفون اليمينيون :

- إن فتحى رضوان خليل قبضت عليه الحكومة في مسجد أبي العباس ووضعوه في سجن تحت المسجد لأنه هاجم السادات في حياته عشرات المرات.

قالت تهانى لأم فتحي وهي تربي الطفل وهو يكبر:

- ابنك فتحي رضوان هرب مع سهر إما إلى باريس أو رجع لدبي

يستحضر الكاتب النصوص الأدبية من روايات ومسرحيات عالمية ، لتتناص مع عنوان العلامة والأحداث في مزج ممتع يدفعك دون ضغط إلى مزيد من القراءة ويخفف من وطأة الشحن النفسي نتيجة تلاحق الأحداث وتصاعدها ويعطي

للعمل عالمية أشمل ولا سيما أنه موظف بشكل بارع وموثق بما لا يدعو للشك وييسر البحث والوصول إلى أصله وهو ما يؤكد الغزارة المعرفية والمعلوماتية للكاتب لتبدو النصوص الأدبية فى نسق موازي لما يدور في واقعنا المعاصر والسرد الروائي ، كما تعكس النظرة الفلسفية العميقة للأديب.

ففى الانتقالات جميعها يلتزم الكاتب أسلوب كتابة السيناريو حيث يبدأ النص بزمن الحدث ومكان وقوعه قبل بداية السرد.

تقترب النهايات ، لتشهد منعطفات كبيرة في الأحداث بانتهاء فتحي رضوان باختفاءه الغامض ، وعودة سهر لأصلها وظهور المستقبل ليعيد التاريخ نفسه بإبن فتحي رضوان يقف أمام سهر يطلب وظيفة.

يقدم الأديب الحل على لسان د. جمال حمدان :

" إن ما تحتاجه مصر أساسًا إنما هي ثورة نفسية، بمعنى ثورة على نفسها أولاً، ونفسيتها ثانيًا ، أي تغيير جذري في العقلية والمثل وأيدلوجية الحياة قبل أي تغيير حقيقي في حياتها وكيانها ومصيرها .. ثورة في الشخصية المصرية وعلي الشخصية المصرية "

ذلك هو الشرط المسبق لتغيير شخصية مصر وكيان مصر ومستقبل مصر.

تعدد وتنوعت مقتبسات الأديب نري منها لـ "ذى النون، البسطامى، الحلاج، الحسين بن منصور، بطلميوس، هرقل، المتنبي، شبل بدران، ابن خلدون ، إنبداقليدس، جمال حمدان، مذكرات محمد فريد، عمرو بن العاص، صلاح الدين".

ونجد مقولات للأديب نفسه ، إلى جانب النصوص من الآيات القرآنية.

(يا مخبول ليس للشهداء اسم ولا عنوان ولا مكان لهم يدفنون فيه ولا ذكرى لهم بيننا أفهم حقيقة الوطن هي الشرطة ومنهم تلك الحقيقة لا تتغابى لقد خدمعتك طوال هذه السنوات..)

" لو لم أعشقها " مسك الختام لملحمة قوية تتماذج فيها الرؤي الصوفية والنظرة الفلسفية والمواقف التاريخية الموثقة مما يضعنا في مواجهة ما بين الماضي والحاضر ، وهي لا تقتصر على الرغم من ذلك على وطن بعينه أو شعب دون أخر وهنا يكمن السر ويتجلي الإبداع لمسرواية تتخذ ملامح العالمية ، وإن تأخرت حسابات التاريخ في الإعلان عن ذلك .

د. داليا بدوي – مصر

استكناه مناطق القلق الوجودي والتبشير بانزياحات رؤيوية جديدة في رواية " لو لم أعشقها"

قراءة في رواية " لو لم أعشقها " للكاتب سيد حافظ

بقلم أ. أشرف دسوقى على – مصر



بين الإصدار الأول قهوة سادة ٢٠١١ الجزء الأول وصولا إلى شاى أخضر بالياسمين ٢٠١٤ وهو الجزء الأول الذي تناولته بالقراءة إلى العلامة السابعة والأخيرة، لو لم اعشقها، كان قد مر ثمان سنوات كانت كفيلة بإنجاز مشروع روائي مدهش، يحمل من عناصر الإبداع ما يستحق التوقف عنده، من نثر وشعر وتداخل للفنون والأساليب ، علاوة علي الغوص في أعماق الشخصية، واكتشاف مكنوناتها، كالقلق المتزايد لدى البطل والمواقف الفانتازية التي يحياها.

تبدأ العلامة الأولى بمقدمة كاشفة للقلق الوجودي، فهناك عبارات من رواية غبار الخاطر لأبى الكلام آزاد يقول مقولته التى تمثل خلاصة فكره : لا تلق بظلالك الشريفة على الديار التي تقل فيها الببغاء عن الغراب الأسحم، تبدأ العلامة بحوار مسرحي بإمتياز ،هذا يتسم الحوار بالغيرة النسائية وتنازع

امرأتان حول عشق رجل واحد، ثم حوار بين البطل وضميره، وتذكر الوطن الطيب المتسامح – مصر – التى كانت تحتوي الجميع مع تضمين الآية القرآنية : ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، كما يبدأ بتعريفه للحب في العلامة الثانية بتضمين، مقتطف من رواية الاحتقار لألبيرتو مورافيا يستعرض فيها شكل العلاقة بين المحب والمحبوب ، وكيف يبصر كلاهما الآخر وكيف تتحول السلبيات إلى مميزات وهو ما يشي بما يتبناه الكاتب لمفهوم الحب رغم كلماته التي تبدو قاسية في إدنة المجتمع وسلوكياته، إلا أن هذا المقتطف من رواية مورافيا يشي بحب دقيق وعشق خاص لهذا الوطن بكل ما فيه ورغم ما فيه.

تنوعت الأماكن بين منزل فتحي رضوان والجريدة ، المجلة، كافيتريا، دبي، القاهرة وغيرها من أماكن عبر أرجاء الوطن العربي ، وذلك الصراع الذي تظهره المونولوجات الداخلية التي تدور في ذهن كل من فتحي رضوان ومنقذ حول العلاقة بين فتحي وزوجته منقذ – سهر – ومحاولة توقع فعل ورد فعل كليهما تجاه الآخر، كيف سأبدأ الحديث مع فتحي الكلب الخائن ...

هل أشير له ؟ هل أقول له أعرف أنك على علاقة مع زوجتي؟ هل أخبر أهلها وأطلقها ويقتلونها ويقولون... ماذا؟

هذا هو البطل الذي قتل زوجته الخائنة أم سيقولون هذا المخلوع خانته لأنه لم يملأ عينيها، هل أخرج سكينا وأطعنه كما يحدث في الأفلام ؟

وما إن ينطلق منقذ في حواره وبكائه وشكواه من خيانة سهر، فإذا بالحوار يتغير بل يتلاشي الزمان والمكان لنجد أنفسنا في القاهرة وقراءة الجريدة وخبر صغير عن الوطن، وجد الوطن ميتا في جناحي المدينة حافي القدمين وقد سرقت كليته وقلبه وقطع لسانه ونشرت أصابع يديه، قمت مسرعا تجاه البالكون، صحت يا قوم ياقوم الوطن قد مات وسرقوا قلبه وكليتيه ونشرت أصابع يديه .

لم تفتح البالكونات، لم يرد أحد، نزلت إلى الشارع، وجدت كل الناس تسير مقطوعة الأذن والمرور يسير ويتعاملون بصياح صامت كأنه لغة إشارة خاصة بهم، أدركت لحظتها أنني وحيد ودخلت إلى مسجد على شاطئ القصبة أصلي ... إلهي إلهي اسألك أن تقطع أذني مثلهم، اكتشفت أنهم عميان أيضًا ... (كتب بالسحب على السماء والله ترك هذا الوطن لأنه زان) مما يمنح السرد عجائبية من نوع مغاير لكثير عما قرأناه، مختتما العلامة بالآية القرآنية ظهر الفساد في البر والبحر للمرة الثانية مستخدما اياها، أما العلامة الثالثة وأكثرهم الكافرون فكان الاهداء إلى روح ، ونجد تعريفا مغايرا للحب

بأنه مأخوذ من الحبة وهي بروز نبات الصحراء،فسمي الحب حبا لأنه ... لباب النبات والحب كالعمر.

نجد أن الكاتب يعتمد المعرفية وخاصة المعرفية اللغوية والرجوع إلى جذر الكلمة وفلسفة الاشتقاق، مما يشي برغبة جامحة للصراخ والتنويه عن رغبة الدعوة للمعرفة والعودة إلى الجذور بعد أن انحرفت الأفكار وانحرفت المعرفة نظرا لانحراف اللغة، فكثرة الانزياحات اللغوية غير كثيرا مما كانت الأمور عليه، فتبدلت المعرفة وتبدل السلوك بناء على ذلك بل، انحرف السلوك ، فعشنا ما نعانيه الآن وكأنه يقول عودوا إلى الجذور اللغوية والمعرفية والفكرية ، حتى تستعيدوا ذواتكم ولتستعيدوا أنفسكم مرة أخرى، يلي ذلك مقتطف من حفلة القنبلة لغراهام جرين وكأنه يستعيد رواية أهل الكهف، حيث السبات العميق الذي تستفيق بعده، لتبحث عن موت جديد، قبل البحث بل بدلا من البحث عن حياة ثانية، لتتساوق الحالات الثلاث: أهل الكهف وحفلة القنبلة ولو لم أعشقها، كل منها معادل موضوعي للآخر، ثم تستكمل الرواية بهذا المونولوج حيث يناجي فتحي نفسه قائلا : أين ستذهب يا ابن رضوان، إلى مصر ؟ حيث ينتظرك الغالبية من المثقفين، يحملون خناجرهم ليغتالونك مثلما اغتالوا محمود دياب ونجيب سرور ويحيي الطاهر ومحمد حافظ رجب .... كم مرة يافتحي قمت

بحرق ما كتبت من قصص ومسرحيات ... هل تذهب إلى مكة في السعودية، لتكون بجوار الكعبة، لترى الله ذات ليلة وتكلمه مثل موسى وإبراهيم ؟ ثم ينتقل إلى كافيتريا ويتغير الزمن، حيث سهر امرأة كالغزال في الانتظار لتدخل حياة ،ليبدأ حوارجديد، بلهجة خليجية، تنظر سهر في ساعتها كأنها توبخ حياة على تأخيرها وحياة تستخرج علبة سجائر من حقيبتها وأشعلت سيجارة وتتحدث مبررة تأخرها، بوجود حواجز شرطة على الطرقات وزحام المكان ثم يدور حوار نسائي لا يخلو من المكر والدهاء والتوريط والسكر وتعليق الكاتب وتساؤلاته حول جهل ما فعلته السيدتان وهو تساؤل استنكاري إن جاز القول يختتمه بآية قرآنية ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ثم آية أخرى، لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ... وتأتي العلامة الرابعة ليمنحنا تفسيرا آخر للحب بأنه اسم الصفاء، صفاء المودة لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان والحباب شئ يعلو الماء عند المطر الشديد والحباب أيضًا حبة بيضاء نقية، ثم الاستشهاد بمقطع من رواية لأوليفر ساكس هذه زوجتي محتفيا بالتفاؤل، ذلك الرجل الذي يغني في كل أحواله، وكأنها دعوة لتجاهل كل ما يؤلمك وأن التفاؤل هو محاولة قهر الحاسدين والحاقدين الذين لا يريدونك إلا مقهورا باكيا كسيرا

، ليتحدث فتحي واصفا نفسه، فهو البطريق والبطريق كائن عاشق للحرية، لايجد قوته إلا بالصدفة، يشعر بالقلق حيث يخشى من معرفة تهاني لعلاقته بسهر، يخشى ما يمكن أن يقدم عليه منقذ، بعد أن عرف أن زوجته خائنة، يستمر فتحي في البحث في أعماقه عن صفاته وما يظنه عن نفسه من صفات السوبر مان الذي يجمع كل مميزات السابقين فهو ذو الأوتاد وذو الكفل وذو النورين... ذو السؤال وذو اليد وذو القلمين .. أنا المتين ولا أملك روغان الثعلب ، أعرف عناء الطير وأعرف طير النار وسر الشعر وحمق الشعراء، أنا من عاش أسير المجتمع المصرى ورغبة قاتلة في جنسية فرنسية أو ألمانية، فالوطن قاعة استقبال للغرباء مغلقا أبوابها أمام مواطنيه .. أنا من العبيد الكلاب، أنحاز اليهم .

فتحي رضوان ذلك الكاذب الذي يكذب على زوجته، الطاهر الذي يقوم للتوضأ، قام للتوضأ بيده اليمنى عند بئر زمزم والثانية في المسجد الأقصى وروحه تطوف حول مكة وقلبه يحلق على معبد داود، فتحي رضوان مجمع الشرور ومجمع الخير، ذلك المتناقض غير المتصالح مع ذاته ولم يكن يوما متصالحا مع المحيطين به، شجاع جبان، قوي ضعيف،عبد صالح وأفاك فى آن، يرتعد من حاجز أمنى ويهاجم رأس السلطة في شجاعة نادرة، يكذب ويصلي وتباركه الملائكة

ذوات الأجنحة، كأنه نبي مرسل ويتبادل معها الحوار والقلق، يصنع الكاتب دهشته، فيصدرها للقارئ المتلقي يحاول صنع بعضا من واقعية سحرية، عبر الحوار أو المونولوج الداخلي، ربما لا توجد شخصيات حقيقية للحوار، ربما كان حوارا مع الضمير أو مع الذات، عبر شيزوفيرنيا كاشفة، يحاول البطل اكتشاف ذاته من جديد رغم صراخه المستمر بأنه يعرف قدراته ومميزاته ويعرف الآخرين تماما، لكن السياق يدل على ارتباك البطل وعدم قدرته على قراءة الواقع الذى كلما عاشه أدهشه وفاجأه كلما تعامل معه، كأنه طفل كأنه ريشة في مهب الريح ربما كان من حسن حظه أن لا أحد تمكن من اللحظة من الاطلاع على نيته أو ضميره أو روحه القلقة وارتباكاته المتكررة وخطاياه الخفية وإلا لتحول لفريسة شديدة السهولة لأى صياد هاو، فكان محظوظا ورغم معاناته ، بأن وجد عملا مناسبا وزوجة وأصدقاء وحتى أعداء وحاسدين، فهناك من لا يجيدون شيئا من هذا حتى لو كان ما يمكن أن يجدوه بغيضا أو خطرا.

لا يتوانى عن التعرض للموروثات الشعبية فيقول شداد على سبيل المثال:

في بلد عربي تذهب النساء العوانس إلى نخلة معروفة وتقول: يا فحل الفحول ارزقنا عريس قبل الحول وأنا أقول يارب ارزقني سهر حتى ولو ساعة قبل انتهاء العمر.

يظل الكاتب في استفهام مقتطفات روائية، كما فعل في العلامة التاسعة، مثل مقتطف من رواية "وجدت ميتة" لكاتي راكس، فكل الروائح العطرة تلاشت أمام رائحة الجثة العفنة، فالجثث العفنة هي كل ما صادفه اليوم من نماذج كان من المستحيل تصور وجودها ،لقد تجاوزوا كل ما قيل وكتب في الواقعية السحرية، لقد قابلنا شخصيات فوق سوريالية تتجاوزأوصافها من قابلناهم حقيقة في واقعنا المعاصر.

تتداخل النصوص، في موزاييك شعري، فمن مقتطف من رواية كاتي إلي ما قابله البطل فتحي رضوان بعد أن غالبته رغبة الكتابة، كتابة أي شئ دون تحديد جنسه رواية، مسرحية، قصة، ليغلق ورقته، ليجد نفسه داخل ممر غريب وعالم غريب وينزل إلى الشارع ليصرخ يا قوم: أنتم تسيرون على جثة جسد عار بحجم أرصفة الشارع، أنتم تسيرون على جثة الوطن، ادفنوه في مقبرة تليق به، كانت عيناه ـ الوطن الجثة ـ تنظر تجاه النيل والأخرى فيها دمعة متحجرة، فجريت نحوها وأمسكتها وألقيت هذه الدمعة على الأرض ،فقط ألف ألف شهيد، فيباغته الشرطي بقوله: لقد خدعتكن فاضطر لدفع

غرامة ألف دولار، فجريمته أنه يشم ويرى الوطن متهما بالزندقة والكفر.

يعاين البطل هذا الشتات، يصادف ورقة عليها شعار مصر إسلامية على مذهب أهل السنة وأخرى عليها مصر مسيحية، فاتجه غربا حيث ثالث دولة مصر النوبية، ففزع وصرخ، هل قسمتم الوطن وأنا غائب يا أولاد الكلب؟، فيضحك شرطي نوبي ويبلغه أنه ممنوع من الدخول، لأنه سارق ومشاغب، فيحمله بساط الريح إلى ليبيا ليجدها ثلاث دول، وكذلك الجزائر ما بين إسلامية وأمازيغية وفرانكفونية وتونس، السعودية، وسوريا، لقد تقسيم المقسم وتجزيئ المجزأ !

لا يمكن التعامل مع شخصية فتحي رضوان بعيدا عن التفسير النفسي وأقرب طرق التحليل النفسي هو المنهج الفرويدي الذي يرى أن الفصام - والذي أرى شخصية فتحي رضوان شخصية فصامية في كثير من سلوكياتها - فلقد فشل في التكيف مع المجتمع المحيط به ،حيث صراع الأنا والعالم الخارجي، ومن مشكلات الشيزوفرينيا أن الشخص قد يكون فصاميا دون أن تظهر الأعراض عليه، لكن الضغوط النفسية والظروف المحيطة تعمل على تصدع الشخصية وانقسامها، فيرتد إلى سلوكيات الطفولة، فالهلع المبالغ فيه، الرغبة في

محبة المحيطين طوال الوقت، التردد، الصراع كلها تظهر في هذه الشخصية.
ولا يمكن تجاهل أن الفصامى هو شخص حاد الذكاء في أغلب الحالات، وهذا سر شقائه، فلديه قدرة علي استيعاب أدق التفاصيل، خاصة كل ما يتعلق بسلوك الآخرين نحوه .
لا يعد فتحي رضوان الفصامي الوحيد، بل إن مجتمعنا يعج بالفصاميين، غير المعلنين الذين ينتظرون دورهم حين يواجههم ضغط ما أو حدث صادم، لتظهر عليهم بوادر المرض، وإذا كان الفصام أو الاستعداد له يحيط بكثير منا، فإن الأمراض النفسية والعقلية الأخرى قد داهمت حوالي ٤٠٠ مليون شخصا في جميع أنحاء العالم ، أى ما يقرب من نصف مليار نسمة، فحوالي ١٠% من سكان العالم تقريبا مرضى نفسيون.
يتشظى فتحي رضوان إلى شخصيات خمس : الأول أوربي الملبس يرتدي القبعة، والثاني شرقي الفكر يرتدي عمامة والثالث ناسك في الصحراء حافي القدمين ويمسك عكازا والرابع يقف على أبواب الجنة ينتظر العفو ليدخل والخامس بدائي يعيش في غابات فوق شجرة مع كل الحيوانات.
لا يعرض الكاتب تشريحا نفسيا للبطل فقط، بل يستعرض وطنيته وإحباطاته وفلسفته وتساؤلاته التي لا تنتهي ،من أين

تأتي النجاسة للروح، فنفرط في الوطن من أجل حفنة دولارات ،من أين تأتي ؟ تأتي من أين ،أين تأتي من ؟ هل الوطن مضاف أم مضاف إليه، لسان الحال أنطق من لسان المقال ، هل الوطن مضاف أم مضاف إليه اجمعيني، اجمعيني ، أنا خمسة اشخاص ولست شخصا واحدا .

- ما بك يا عمري
- أنا رجل مهزوم مأزوم ، أحمل في عقلي نورا فوق طاقتي، فلا أستطيع أن أمشي به وسط العميان.

تداخلت الأجناس في الرواية، والمشهد المسرحي حاضر بوضوح ، حيث الحوار،كما احتل المونولوج الداخلي مساحةا كبيرة في الرواية.

تعددت المستويات اللغوية للرواية، استخدمت بالطبع اللغة الفصحى علاوة على لهجات مصرية وخليجية وشامية ،بل واللغات الأجنبية أو بعض كلماتها التي يستخدمها كثيرون كنوع من استعراض الثقافة وادعاء الارستقراطية أو أحيانا نتيجة لثقافة وتعليم اجنبيين مثل : شو أخبار اللي ما يتسمي " COME " من معي ؟

- ما تعرف صوتي يا أزعر

استدعاء شخصيات بارزة كجمال حمدان والتشبث بوجهة نظره حول الأوطان واستدعاء أوراق عن محمد فريد وسعد زغلول ومحمد عبده.

تميز أسلوب الكاتب بالمشعرية الفائقة وطرح الأسئلة الكونية ، مازجا بين الفنون جميعا شعرا ونثرا، رواية ومسرحا ومقالا، تداخلت الأماكن والأزمنة لديه، فامتزجت بشكل يبدو تلقائيا ، لا صنعة فيه ولا تصنع، ليقول الكاتب في هذا الجزء الأخير كل ما يريد عن شخوصه وواقعهم ، ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، صراعهم،عقدهم النفسية، خواطرهم وأخيرا الإنسانية الكامنة داخل ،حتى في أحلك المواقف السيئة منها.

تجاوز الكاتب فكرة الجنس الأدبي، كما فعل في الأجزاء الستة السابقة، ككاتب محترف يبتعد عن حرفية التعريف المدرسي للجنس الأدبي، مستخدما المعرفية التراثية والدينية يتناجي مع المقدس في ثلاثينية – ٣٠ جزءا – له مفتتحات خاصة لكل جزء يرى أن النص المقدس عقبة لا يمكن تجاوزها عند ختام هذا الجزء، فيظل في دائرة لانهائية من الوصل والفصل والوصل مرة أخرى مؤكدا ان الدائرة هي أكمل الأشكال الهندسية، ليكون ختام الرواية بظهور آدم فتحي رضوان خليل خريج إنجليزي جامعة القاهرة ليفاجئ سهر سالم مديرة المدرسة بأنه ابن فتحي رضوان، فتسأله عن ابيه فيقول

اختفى من عشرين سنة انهارت ،يختفي فتحي رضوان لا يعرف أحد عنه شيئا دون سابق إنذار، لكن فتحي رضوان ليس شخصا، فتحي رضوان فكرة، فلسفة تتجسد عبر تناسخ REINCARNATION كما عند الهندوس أو الولادة الجديدة عند البوذيين أو فكرة الامتداد كما عند العرب والمصريين - خاصة في الريف-

ليظهر آدم – وللاسم دلالة غير خافية كما الأسماء الأخرى بالرواية، فرضوان هو خازن جنتي الدنيا والآخرة، يملك مفاتيحها عبر شييزوفرنيا معلنة، لا يراها أحد غيره ولا يقدر على تخيلها الآخرون، فيظهر آدم ابن فتحي رضوان، لكنه أبو البشر في امتداد جديد وخلق جديد، ربما يكون مبشرا بحياة ووطن أكثر صفوا وأكثر تقبلا لابنائه واحتضانهم وليس مكانا لاستقبال واحتواء الأجانب فقط، آدم المثقف الدارس للأدب الانجليزي القادم عبر ثقافة مغايرة، ربما تمنح الأوطان بوابات جديدة أكثر تفتحا مع مزيج تراثي ليؤجج صراعا جديدا كما يراه البعض أو فتحا من نوع جديد قد لا يرتضيه البعض لكنه قابل للانتشار والتبشير وخلق عالم مغاير عبر صراع قد لا تحسمه آليات الجيل الخامس كمايريد البعض ، وعبر انتظار لأحدث أكثر إثارة وإرهاقا، في دورة صراع جديدة من الصعب التوقع بمعطياتها وكيفية التعاطي معها، ربما يعرف الكثيرون كيف ستبدأ ، دون أن يعرف أحد كيف ستنتهي.

الوطن والمرأة فى رواية " لو لم أعشقها "
للأديب السيد حافظ
بقلم الأديبة / نهى عاصم – مصر



قرأت سبع روايات - رواية تلو الأخرى حتى وصلت لرواية: لو لم أعشقها وتساءلت ترى على من يعود هذا العنوان أهو يعود على مصر التي شاهدنا وقرأنا عشق أستاذي الكبير السيد حافظ لها؟؟

أم هو يعود على المرأة والتي رأينا حب فتحي رضوان لها في الروايات ؟

ومع القراءة أدركت أنها تعود على "مصر السيد حافظ" فكما نرى في مخيلته وفي قلبه مصر حبًا جميلًا مقدسا، وأيضًا حبًا زائلًا مدنسا فتحي رضوان خليل وما أدراكم من هو فتحي رضوان اسمه فتحي من الفتح والفتوح ورضوان هو حارس الجنة وخليل هو خليل الله إبراهيم..

عاشق لتراب مصر وبالرغم من هذا ابتعد عنها مرغمًا فلا حظ له ككاتب وصحفي فيها .. عاشق للنساء وبعض العشق مقدسًا وبعضه مدنسًا.. أدى حبه لهن لإقالته من عمله بالخليج وعودته - هو وزوجته وطفله - إلى مصر خالي الوفاض ..

هو رجل متدين وقريب من الله رغم كل خطاياه فهو دومًا يؤوب ويعود باكيًا ذنوبه..
وجدنا المال وبريقه في روايتنا معادلة قوية للكثير من الأبطال فكانا سببا لضياع سهر ولكنهما كانا سببا لرضا شهر زاد أعجبتني جدًا النهاية المفتوحة لحياة فتحي رضوان والاحتمالات التي وضعها لنا الكاتب، والاحتمالات التي وضعتها أنا خاصة حينما رأت سهر ابن فتحي رضوان وعلمت منه باختفاء أبيه منذ عاد إلى مصر ففقدت وعيها ..
وهنا شعرت أن لعشيقها الأخير يد في هذا الاختفاء .. عشق أوقع فتحي في التهلكة، وكأنه لم يكتف بعشقه لزوجته .. بل راح يصول ويجول في عشق أخريات فلاقى مالاقاة جزاء عمله..
في انتظار المزيد من أعمالك أستاذي العزيز التي نتعلم منها الكثير .. فهي تعد دائمًا كما عودتنا زخمًا من الحكي القديم والحديث.

السيرة الذاتية

نهى نبيل عاصم

- مواليد الإسكندرية
- خريجة آداب قسم وثائق ومكتبات
- متطوعة بمكتبة طه حسين بمكتبة الإسكندرية
- عضو باتيليه الإسكندرية، ومختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية.
- تكتب المقالات، والقصص، والروايات والخواطر
- نُشر لها ثلاث قصص في ثلاثة كتب جماعية لدار أطلس بعنوان (حواديت البنات)
- اشتركت في كتاب للشعر والخواطر جماعي عبر بدار همسة للنشر، وكتاب جماعي مع كاتبات مع دار نشر البشير بعنوان (نون بلا سكون)، ورواية أمل حياتي صدرت عن دار الشريف للكتاب، ومجموعة قصصية بعنوان (سمية والقمر) بدار همسة للنشر.
- فازت بعدة جوائز تقديرية.
- قامت بكتابة سيناريو فيلم بعنوان: أنا وألا أنت.
- لها تحت الإعداد: مجموعة قصص للأطفال بعنوان (حواديت يا ولاد).

تداخل الأجناس الأدبية في إبداع السيد حافظ
قراءة في رواية " لو لم أعشقها"
أ. شاهيناز الفقى
كاتبة روائية



لو لم أعشقها رواية يختتم بها الكاتب الكبير السيد حافظ سباعيته البديعة، والتي بدأت برواية قهوة سادة ثم كابتشينو وشاي أخضر وليالي دبي وكل من عليها خان، حتى يطمئن قلبي، وما أنا بكاتب.

حين نقرأ عملا أدبيًا للكاتب السيد حافظ فنحن نخوض مغامرة شديدة المتعة والغرابة في ذات الوقت، تكنيك الكتابة يختلف عما عهدناه في الروايات الكلاسيكية أو في التيارات الحديثة في الكتابة، وعلى هذا يمكننا أن نطلق على أسلوب السيد حافظ في الكتابة هو تيار خاص بذاته، "تيار السيد حافظ"، ومن أهم سمات الكتابة في روايات السيد حافظ هو تداخل الأجناس الأدبية بشكل عام، فقد يطلق البعض على رواياته مسرواية، ويراها البعض الآخر أنها سيناروايةَ.

في رواية لو لم أعشقها سنجد بعض الفصول كتبت بشكل مسرحي والبعض الأخر تتشابه مع كتابة السيناريو، ويتم ذلك

دون الشعور بالتشتت أو الخروج عن النص، وبقدر كبير من المتعة التي تصلك من خلال اللغة الشعرية والأحداث المتتابعة والشخصيات التي تشعر أثناء القراءة وأنك أصبحت تعرفهم معرفة شخصية وترتبط بهم وجدانيًا بشكل كبير.

اتخذ الكاتب تقليدًا مغايرًا لعنونة الفصول، فبدلا من أن يعنون كل فصل في الرواية بعنوان أو رقم استخدم لفظ العلامة (العلامة الأولى والعلامة الثانية وهكذا) و كل علامة أو فصل تم اتخاذ آية قرآنية كمدخل له ومعظمها كان عن أكثر الناس (وأكثرهم لا يعلمون، وأكثرهم لا يعقلون، وأكثرهم لا يفقهون) ولكن الملفت للانتباه أن الكاتب وضع بعض الصفات لم تذكر في القرآن(أكثرهم عاجزون، وأكثرهم مغترون) والتساؤل الذي يطرح نفسه هل هذه الصفات التي يتصف بها أكثر الناس ولم ترد في القرآن هل هي صفات جديدة أكتسبها البشر مع التقدم والتطور.

يمكننا القول إن التجديد صفة ملاصقة للإبداع، وإن الإبداع ليس السير على طرق مطروقة أو خلف قواعد وقوانين وإنما هو التغيير والتعبير عن مفهوم الكاتب ورؤيته ووجهة نظره في الحياة، لغة الرواية وشكل الكتابة هما انعكاسا لمرجعية الكاتب وتجاربه الحياتية ومعتقداته.

كانت أولى محاولات الخروج عن المألوف في كتابة الرواية من خلال تجربة الكاتب الكبير توفيق الحكيم الذي حاول ابتكار شكل جديد في الرواية وانتج لنا رواية بنك القلق عام ١٩٦٦ مزيجًا بين السرد والمسرح، ربما هي تجربة لم يكتب لها النجاح المتوقع، تعرضت للهجوم والتشكيك من البعض ولكن ذلك لا يعني أنها لم تحقق الهدف منها وهو الخروج من شرنقة التقليدية والكلاسيكية في الأدب، و قد استطاع الكاتب السيد حافظ في الدفع بالمسرواية للساحة الأدبية بشكل قوي، ولكن الاختلاف بين محاولة توفيق الحكيم وبين السيد حافظ في مزج الرواية بالمسرح يبدو واضحًا حيث اعتمد الكاتب توفيق الحكيم على كتابة الرواية وتقسيمها كفصول، أحدها للسرد والتالي مسرحي، أما السيد حافظ فقد اتبع طريقة المزج العام فلا يستطيع القارئ أن يحدد هذا المزج رغم أنه يراه ويلمسه في كل فصول الرواية.

وقد سبق الكاتب الألماني بريخت في محاولة الخروج عن المألوف في الكتابة المسرحية ويمكننا القول إن السيد حافظ يتبع في كتابته المنهج البريختي من حيث التحرر من الزمن، معظم روايات السيد حافظ لا تتبع تسلسل زمني للأحداث وإنما تعتمد على القفزات الزمنية (بعد ربع ساعة من خروج سهر، لا أدرى كم من المدة قضينا، بعد عشرين عامًا)

النزعة الصوفية غلبت على الجو العام في الرواية سواء في اللغة أو بعض الأقوال المأثورة عن المتصوفة، أو في حضور شخصيات مثل رابعة العدوية (فانتبهي يا أمة الله فإن الشهوة تؤدي إلى التهلكة) الحلاج الذي قابله فتحي رضوان في الجريدة حكى عن نفسه وليلة مقتله وصلبه(اللهم إنك المتجلي عن كل جهة، المتجلي من كل جهة، بحق قيامك بحقي، وبحق قيامي بحقك، وقيامي بحقك يخالف قيامك بحقي، فإن قيامي بحقك ناسوتية وقيامك بحقي .وفي لاهوتية والنهاية يحاول فتحي الفرار من الجريدة حيث يرى دم الحلاج على السلم في محاولة للهروب من ذنب لم يرتكبه.

التاريخ حاضرًا بصفة دائمة في سباعية الكاتب السيد حافظ، الفاطميين والمماليك والفراعنة، في رواية لو لم أعشقها نجد الحضور البارز لصلاح الدين وتبرئته مما نسب إليه، المقوقس حاكم مصر ودخول المسلمين، جمال حمدان وشخصية مصر (إن ما تحتاجه مصر ثورة على نفسها أولا وعلى نفسيتها ثانيًا أي تغيير جذري في العقلية والمثل وأيديلوجية الحياة قبل أي تغيير حقيقي في حياتها وكيانها ومصيرها ثورة في الشخصية المصرية وعلى الشخصية المصرية)، ومحمد فريد والغربة التي تجمع بينه وبين فتحي رضوان.

كما بدأت الرواية بمشهد مسرحي في حوار تليفوني بين سهر وحياة، انتهت أيضًا بمشهد مسرحي بعد عشرين عامًا لابن فتحي رضوان وسهر، لنعرف أن فتحي رضوان اختفى وابنه آدم يطلب عملا في المدرسة التي تديرها سهر، وربما اختيار الكاتب لاسم آدم له دلالة هامة أن الحكاية لا تنتهي وكلما انتهت حكاية تولد حكايات أخرى.

في النهاية لا يسعنا إلا أن نهنئ الكاتب الكبير السيد حافظ على هذا الفيض من الإبداع في سباعية تحمل علامة التميز، ورحلة من العطاء المتواصل في الأدب والمسرح والفن بأعمال أضافت الكثير للمكتبة العربية والمسرح العربي ومسرح الطفل والدراما، نتمنى له المزيد من العطاء والإبداع ونقدم له كل التحية والتقدير.

أ. شاهيناز الفقي - مصر

السيرة الذاتية

شاهيناز الفقى

روائية وقاصة مصرية
عضو اتحاد كتاب مصر
عضو نادي القصة المصري
عضو نادي أدب مصر الجديدة
عضو الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما
Email: gooddays_70@hotmail.co.uk

الإصدارات الأدبية

١- رواية سعيدة ملحمة العشق والحرية سنة ٢٠١٧ الطبعة الثانية من الرواية عام ٢٠١٩ دار زهراء الشرق للنشر والتوزيع
٢- رواية سنوات التيه ٢٠١٨ دار زهراء الشرق للنشر والتوزيع
٣- مجموعة قصصية الدبلة المحبس ٢٠١٩ دار غراب للنشر والتوزيع.
٤- قصص قصيرة مترجمة للإنجليزية في كتاب حكايات النيل
٥- المشاركة بقصص رعب في كتاب بعنوان الأرض الملعونة
٦- المشاركة بدراسات نقدية في كتاب بعنوان تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة للدكتورة نجاة الجشعمي من العراق.

الجوائز التى حصلت عليها :

- جائزة واحة الأدب بالكويت ٢٠١٨ عن قصة "لا وقت للحزن" من المجموعة القصصية الدبلة والمحبس
- جائزة إحسان عبد القدوس ٢٠٢٠عن رواية يا شمس أيوب.

الحب والصراع
في رواية (لو لم أعشقها)
للكاتب / السيد حافظ

بقلم أ. معتز العجمى – مصر
مقدم برامج إذاعية بالإذاعة المصرية
كاتب و باحث في الأدب و التراث العربى



بداية ينبغي أن نشير إلى طبيعة الكتابة التي يسلكها و يمارسها السيد حافظ؛ فهي طبيعة تتسم بالجرأة والنقد الذي يصل بالقارئ إلى حد اعتباره ضربًا من التجريح و الهجوم اللاذع. لاشك أن تلك الطبيعة أضرت كثيرًا بالكاتب / السيد حافظ إذ لم تتحقق له الشعبية المرجوة ؛ مثله في ذلك مثل كثير من الأسماء التي نالت شهرة دون أن تحقق جماهيرية على المستوي الكمي، في حين أنه – على المستوى النوعي – استطاع أن يحفر لنفسه موقعا متميزا بين طبقة مختارة من القراء والمثقفين الذين توحدوا معه عبر القضية والرسالة، وعبر اللغة التي تتجاوز صفة التقليدية والرتابة ، إضافة إلى الرغبة الملحة في التمرد والتحلل المستمر من أي قيود تحد من بزوغ الذات وتفردها المغاير للمجموع؛ أولئك

هم الصادقون الذين يرون في السيد حافظ الصوت الإبداعي الذي يخلو من المخاتلة والوهم.

قدم السيد حافظ مشروعا إبداعيًا يتسق مع طبيعة اللحظة التاريخية والاجتماعية التي تحياها الإنسانية الآن؛ روايات يغلب عليها التجريب و تجاوز النوعية التي لم يعد العصر الجديد يعترف بها. إن السباعية الروائية التي أنهاها الكاتب برواية (لو لم أعشقها) تجسد في مجملها جوهر الفن حيث " السؤال و الحيرة الصادقة ، والشك البكر الذي كأنه يرى كل شيء لأول مرة "[1] ، فجاءت رواياته دون توقع على مستوى الشكل والمضمون السردي ، غاير بما قدمه صفة الرواية التقليدية أو الساذجة التي يرضاها أصحاب الذوق العادي والطموح المحدود من القراء، أراه في ذلك يتبنى مصطلح (الحساسية الجديدة)[2] الذي أطلقه من قبل الناقد/ إدوار الخراط على الرواية والقصة المصرية في مرحلة الستينيات وما تلاها حيث بدأت تتشكل أطر جمالية وفنية جديدة تختلف عما قدمه الكتاب من قبل. ولعل من أهم سمات هذه الحساسية الجديدة التي تتميز بها روايات السيد حافظ؛ التشظي حيث تتداخل الأزمنة والأمكنة والأحداث، بل يسقط الواقع كلّيًا؛ لتحل

(١) إدوار الخراط ، المشهد القصصي ، ص ٢٧
(٢) انظر ص ١٠، المرجع السابق .

محله "الأسطورة و التراث التاريخي و الحلم و الشعر المضمر أو السافر...."[1]. من هنا تكمن الصعوبة في قراءة روايات السيد حافظ، فهو – على حد قوله – لم يُقرأ بعد، وهذه العبارة " لم أُقرأ بعد " تحمل في طياتها ألم الانتظار المُر الذي يتجرع مرارته بطل سباعيته فتحي رضوان خليل وكأنهما سوِيًّا؛ الكاتب وبطله يرددان قول الكاتب الفرنسي ألكسندر دوماس " تتلخص كل الحكمة الإنسانية في كلمتين الانتظار والأمل"[2] .

إذا بدأنا رحلتنا النقدية داخل الرواية السابعة (لو لم أعشقها) فإني أرى أن الرحلة لا تنفصل عراها عن الرواية الأولى؛ إذ يجمع بين الروايات السبعة رابط يرتكز على قانونين إنسانيين هما الحب و الصراع؛ بهما تتحدد العلاقات بين شخصيات السباعية ، كما تتكشف من خلالهما رؤية الكاتب لعالمه. بدايةً إن قانون الحب هو " الذي يشكل الدافع البشري القوي لإقامة علاقات سوية متوازنة مع النفس والآخرين؛ لأنه يولد لدى الفرد طاقة إيجابية تدفعه للثقة بنفسه و بمن حوله، .... مما يشعر الفرد بالأمان والطمأنينة النفسية في واقعه الحياتي"[3]، وربما هذا هو المدخل الصحيح لقراءة طبيعة العلاقة التي تربط بين فتحي خليل بطل السباعية و بين النساء

(١) انظر ص١٦، المرجع السابق .
(٢) نصر محمد عباس، مفهوم الانتظار بين علم النفس و الإبداع الروائي، ص ٥٤
(٣) المرجع السابق، ص٢٢

اللائي تعرف إليهن ومارس معهن الحب سواء عبر العلاقة الزوجية الشرعية أو عبر العلاقات العابرة التي تركت بدورها أثرًا في نفسه خاصة شخصية سهر، لقد كان فتحي رضوان يسعي عبر علاقاته النسائية أن يجد ملاذا يحتويه ويضمه يستعيض به عن فقدانه للحب الأكبر وهو الوطن، إذ لا يمكن أبدا – في رأيي – قراءة هذه العلاقات عبر محدد الجنس وحسب. إن هناك عوامل أخرى لابد أن تتم الاستعانة بها كإضاءات كاشفة لطبيعة دور المرأة في حياة فتحي رضوان.

إن الحب يبلغ في روايته الأخيرة مرتبة صوفية تتسع لتشمل كل دوائر الحب بحيث لم يعد فتحي رضوان إنسانا يرغب في إرضاء نزواته الجسدية بقدر بحثه عن الروح، وأين هي تلك الروح التي تؤرقه وتحيره منذ بداية الرحلة في الجزء الأول من السباعية ؟!

إنها الروح التي ينشدها للتغلب على عوامل قهره ، وبها يستعيد فروسيته من جديد، إذ يتماس في انكساره مع وطنه في أزمته الكبرى التي تفرضها عليه الظروف التاريخية وتواطؤ المتآمرين عليه من الداخل والخارج ، بين واقعين زمنيين(الماضي والحاضر) يسعى البطل / الكاتب للبحث عن حب إيجابي يعيد تشكيل ذاته الإبداعية ، فالحب طاقة بقدر ما

يكون عاطفة و كأني بفتحي رضوان أسمعه يردد أبيات جلال الدين الرومي :

" سأقول لك كيف خُلِقَ الإنسان من طين :
ذلك أن الله – جل جلاله – نفخ في الطين أنفاس الحب!
سأقول لك لماذا تمضي السموات في حركاتها الدائرية:
ذلك أن عرش الله – سبحانه – يملؤها بانعكاسات الحب!
سأقول لك لماذا تهب رياح الصباح:
ذلك لأنها تريد دائمًا أن تعبث بالأوراق النائمة على شجيرات ورود الحب!
سأقول لك لماذا يتشح الليل بغلائله :
ذلك أنه يدعو الناس إلى الصلاة في مخدع الحب!
إنني لا أستطيع أن أفسر لك كل ألغاز الخليقة:
فما الحل الأوحد لكل الألغاز سوى الحب"[1] .

وهذا المعنى الصوفي نراه يتشكل في رواية (لو لم أعشقها) عبر اللقاء المجازي / المتخيل بين فتحي و بين الشيخ المحاسبي؛ فالحب هو المحبة [2] . وهي الصيغة التي تتكشف لفتحي في نهاية الرواية وتدفعه لأن يصير أحد مجاذيب مولد أبي العباس المرسي ، لتكتمل بحالة الانجذاب دورة الحب

(١) زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفية (مشكلة الحب)، ص ٦
(٢) انظر الرواية ، ص ١٩٨

ويبلغ أسمى مراتبه بصورته العرفانية أملا في تعرف فتحي رضوان إلى ذاته المفقودة والتائهة. واختار الكاتب إلا يطلعنا على رحلة بطله في العالم الجديد عالم الأسرار الذي تتسم به الصوفية؛ لعلنا نكتب بأيدينا رحلة خلاصنا بتخيل ما سيكون أو بالأحرى ما ينبغي أن يكون. أما إذا أردنا تأمل طبيعة هذا القانون؛ قانون (الحب) باعتباره كلمة تطوي تحتها كلمات(١). فكلمة الحب لدى سهر تعني الحرية والتحقق والرغبة الخالصة من أي قيد أو أعراف سلطوية ؛ فهي" أحيانا تشتاق إلى فتحي وأحيانا لا تشتاق إلى أحد..هي بركان من القلق"(٢)، أو هي كما يصفها فتحي " أنت طيف من نور إذا مر أضيئت قلوب الرجال بالحياة"(٣) ، و كلمة الحب لدى شهرزاد ما هي إلا باب الغواية وحكاية الأسمار وأحاديث النساء السرية، وعن نفسها تقول: " لكن الله أرادني هكذا؛ أن أكون أما للجميع، وعونا للجميع. كل إنسان خلق لرسالة ما أو لهدف ما .."(٤) ، أما تهاني الزوجة فهي حبيبة من نوع آخر تسعى إلى لملمة روح فتحي رضوان، وكأنها إيزيس عندما يناديها فتحي بقوله " تهاني.. إذا أتيت لك ذات مساء باكيا بلا

---

(١) انظر مقالة (كلمات تحت كلمات) للدكتور زكي نجيب محمود ، في كتابه (قيم من التراث) ، ص ٢٠١.
(٢) انظر الرواية، ص ٨٣.
(٣) انظر الرواية، ص ١٤٠
(٤) انظر الرواية، ص ١١٨

دموع لملميني، واحصدي الأحزان من روحي ودثريني واجمعي بقايا أفراحي من السنين.."[1] ، وهي في حبها لزوجها تظنه رجلًا عاديًا يسهل أن تستهلكه الحياة الزوجية بمتطلباتها و مسئولياتها، ويدرك ذلك فتحي عبر مونولوج داخلي لا يسمعه سواه " الزوج يفر من مواجهة زوجته ، والزوجة تفر من مواجهة زوجها ..هي الحياة كر وفر؛ فإن المواجهة غالبا ما يكون فيها خسائر، إما أن يخسر أحد الطرفين أو الطرفان يخسران ..."[2]؛ هكذا تظل تهاني مجرد نقطة داخل دائرة الفراغ الرضواني . أما إذا أردنا أن نفهم معنى الحب في نفس فتحي رضوان خليل ، هذه النفس المضطربة المتأججة فعلينا أن نسمع لصوت ضميره حين يقول " ماذا تفعل يا ابن الحاج رضوان .. تجري خلف النساء ، وتجري خلفك النساء. ليس هكذا تدار الأشياء .. من العيب أن يكون محور حياتك في الخليج جزء كبير منه النساء .. إن للمثقف دورا آخر، هل الثقافة حقيقة في بلد مترف من الطعام و الثراء ؟، هل الثقافة حقيقة في بلد جائع ؟، هل النساء وعاء طبيعي وصحي لتفريغ شحنات الغضب واليأس والإحباط؟.... هل الجنس هو المعادل الموضوعي لتوازن الفرد؟..."[3] .إذن لا

٥- انظر الرواية، ص ١٤٧
(٢) انظر الرواية، ص ١٣٦
(٣) انظر الرواية، ص ١٤٥

يمكن لنا أن نفهم معنى كلمة الحب لدى فتحي إلا بكشف ما تحتها من كلمات العجز والقهر و اليأس ..إن انهزامية البطل هي ما تقوده إلى كل هذه البحار من العشق ، فهو كما تقول سهر عنه " أنت مثل البحر كل ساعة بمزاج، وليس لك نهاية ولا أحد يعرف عمقك"[1]. إن الجنس في هذه الرواية ليس حبا خالصا أو رغبة مشتعلة بنفس فتحي يريد أن يطفئها، إن الجنس أو الحب بمعنى آخر هو رحلة البحث عن المستحيل حيث محاولة فتحي إمساك روحه من جديد، ولكنه لا يصل. فقط يصير روحًا هائمة وكأنها روح والد هاملت تبحث عن الانتقام من قاتله، ومعها تتوحد روح فتحي رضوان خليل التي ضلت الطريق وفقدت ثقتها في عالم الأحياء، وراحت تبحث لنفسها عن حياة أخرى في عالم آخر تحكمه قيم عالم السماء الصافية والنبيلة؛ فيدخل فتحي موكب المولد ويختفي مع الزحام ... هكذا تنتهي حكاية فتحي رضوان خليل لتبدأ أسطورته تكتب سطورها الأولى غير المحكية عبر من يشبهه ؛ الابن أو المثقف أو إنسان العصر الحالي .. ومن يعرف؟!

أما القانون الإنساني الثاني الذي يربط بين أجزاء السباعية؛ هو قانون الصراع الذي لا ينفصل عن الحب بل " يفرض بشكل حتمي ظهور قانون الحب في الأغلب الأعم؛ لأن قوانين

---

(١) انظر الرواية ، ص ١٣٩

الطبيعة في حقيقة الأمر هي التي تفترض بداهة في منظومة العلاقات الإنسانية أن ما يحركها في الأساس ويضبط مؤشرها قوة وضعفا إنما هو عامل الحب ....."[1] . و الصراع الذي تتعدد أبعاده في الرواية يتسع ليشمل الصراع الداخلي في نفس فتحي الممزقة بفعل الهزائم المتلاحقة له ولجماعته التي ينتمي إليها، ويشمل كذلك تلك العلاقات الضدية التي يحياها فتحي مع الآخر أو الزمان أو المكان أو عناصر الواقع المتخيل الذي تنسجه الأحلام والرؤى الضبابية، ولعل مونولوجه الداخلي يكشف عن طبيعة ذلك الصراع إلى حد كبير "... ربما سرقني الوقت؛ فنسيت أن أكتب تاريخ الشرفاء؛ لأن اللصوص سكنوا كل المدينة. أعترف أنني هزمني الشر من الألف إلى الياء . وكان الأغبياء يشربون نخب صدور كتبهم العمياء التي تحولت بعد عام إلى مجرد أوراق لدورة المياه ..."[2]. هكذا صار فتحي رضوان المثقف أشبه بدون كيشوت، فهو يمتثل لقوانين الشرف والنبل في زمن عز فيه وجود مثل هذه القيم، وعن ذلك يقول" أنا رجل بسيط محاصر بالأنذال والأحقاد وحظي ليس عظيما....أنا مخلوق من اللون الأبيض تكرهني كل الألوان"[3] ، إضافة إلى حساسية ذات البطل التي تشبه

---

(١) نصر محمد عباس ، مفهوم الانتظار بين علم النفس والإبداع الروائي ، ص ٢٣
(٢) انظر الرواية ، ص ١٣٨
(٣) انظر الرواية، ص ١٣٩

في إيمانها بذاتها ملامح البطل الأسطوري أو الملحمي على غرار ما نجد لدى أوديسيوس البطل الإغريقي القديم أو جلجامش في رحلته للبحث عن الخلود، و إذا كان فتحي رضوان خليل يشبه الأخير في شيء؛ فهو يشبهه في التجوال والبحث الدائب الذي رغم حالة الاستقرار التي يصل إليها جلجامش إلا أن بطلنا فتحي لا يهدأ ولا يقر له قرار وتستمر قضية الصراع باعتبارها قضية لا تنتهي، بل تخفي في طياتها مستويات عديدة من الصراع يلخصها اقتباس الكاتب لفقرة من رواية مزرعة الحيوانات للكاتب جورج أورويل ،و التي يبدأها بقوله " الآن أيها الرفاق؟ ما طبيعة الحياة التي نعيشها معشر الحيوانات؟ دعونا نواجه أمورنا بصراحة ..حياتنا جد قصيرة ..نقضيها في كد وعناء........"(١)، وطبيعي إثر ذلك أن نستشعر أن بطلنا ليس منتميا لا إلى المكان ولا إلى الزمان ولا إلى عالم الأحياء من حوله؛ لتثير قضية الصراع حالة تتعلق بالجانب النفسي للبطل وهي حالة الانتظار التي يمكن تفسيرها بكونها " حالة نفسية تتسم بالخصوصية ...." تؤدي إلى ".... حالات التوتر وصخب النفس والقلق وعدم التوازن...."(٢) ، وهي الحالات التي اتسمت بها نفسية فتحي

---

(١) انظر الرواية ، ص ٤٩
(٢) نصر محمد عباس، مفهوم الانتظار بين علم النفس والإبداع الروائي ، ص ٤٧

رضوان خليل عبر أجزاء الرواية السبعة، فنجده يتماس مع مآسي وتاريخ الشخصيات والعصور السابقة ليؤكد بها حالتها النفسية إزاء ما يواجهه، وعاد إلى وطنه " خاسرا كل شيء الوظيفة والمال والعشق"[١].

ويبقى لنا أن نؤكد على دلالة الأرقام في سياق حديثنا عن حالة الانتظار التي تولدت عن قانون الصراع؛ إذ أن دلالة الرقم (ثلاثون) عدد فصول الرواية، ودلالة الرقم سبعة عدد الأجزاء مجتمعة، ربما يرمزان إلى دورة حياة الإنسان التي لا تنفصل عن دورة الحياة التي تسيرعبر أيام الأسبوع السبعة و أيام الشهر الثلاثين . و كأنا بفتحي هنا عبر أيامه و شهوره ينتظر واقعا جديدا يمثل له أمل الخلاص، ولكن تنبئنا نهاية السباعية بأن الانتظار هو " ذلك الانتظار الحلو المر ، انتظار شيء جميل يرجو أن يحدث ولن يحدث"[٢].

ويبقى سؤال أخير؛ ماذا لو لم يعشق فتحي رضوان خليل المرأة و الوطن والتاريخ والكتابة والناس ..ماذا لو كان ذاتيًا أنانًيّا، لا غيريًا يتفاعل بكليته مع قضايا أمته ووجوده الإنساني؟!

---

(١) انظر الرواية، ص ٢٧٧
(٢) نصر محمد عباس ، مفهوم الانتظار بين علم النفس و الإبداع الروائي ، ص ٥٥

عندما أقرأ للسيد حافظ

بقلم أ. سحر فاخر الجابرى – العراق

فأنا لا أريد أن أفهم أو أدخل مسارب روحه.. ولا أريد أن أعرف نية السيد وراء عمله هذا .. فقط أكتفي بالدخول إلي عالم شخصياته والحبكة في ربط أحداثها التي تعكس لنا خصوصية تجربة السيد حافظ.

أيها الوطن العزيز .. هل ضاقت رحابك عن أولادك .. أم ضاقت أحضانك عن أفلاذك (الكواكب كتاب طبائع الاستبداد.. ص١٦٣)

يحاكي السيد حافظ الوطن من خلال الشخصيات في الرواية.. رواية (لو لم أعشقها) عنوان له دلالة على أنها حالة عشق متفردة في تفاصيلها .. كل شخصية في الرواية تعشق على شاكلتها .. فمنهم من يعشق الجمال.. ومنهم من يعشق المال ومنهم من يعشق ذاته وكرامته المعنوية محاولاً الحفاظ عليها في بلدٍ يسرق ذاتك المعنوية.. ففي الوطن البديل نادريين جدًا من يحالون البقاء على ذاتهم الأصيلة مقابل كرامة مادية.. كما يصفه السيد حافظ بلد النفط (دبي أرض الأحلام والثراء تجمع على أرضها كل من رغب في جني المال وأراد أن يعيش بكرامته المادية لا المعنوية فجمعت مصر والشام والعرق)

شخوص الرواية فرقتهم الأوطان وجمعتهم منافي الشتات.. يسرقون بين الحين والاخر لحظات من الزمن... يواجهوا فيها أنفسهم متسائلين ما الذي يجبر الإنسان على أن يهاجر بجسده إلي المجهول تاركًا الحقيقة، وروحه على عتبات الوطن المقهور ؟ لينصدم الآخر عند هذه المواجهة (حين تمتد يدك لتنزع الغطاء عن قنينة العطر تشعر بالبهجة.. لكن أن تنزع الغطاء عن عطاء أسرار القلب فقد تشعر بغصة أن أخطر اللحظات في عمر كل منا المكاشفة لأنها تصدر الآخر.. من هو الآخر؟) ص ٩٨.

الأستاذ السيد حافظ أنا شخصيًا اعتبره ليس فردًا.. هو جموع.. وهو جمع هويات كل المقهورين والمعذبين فى الأرض.. قلبه يحوي وطنه مصر.. وروحه تحوم حول الرافدين محولهما إلي جناحين يحلق بهما ليسقطهما قطرات ندى على ياسمين الشام .. هو كل هذا بل أكثر.. متعدد الشخوص يدخلك إلي ذات الشخصية بكل تفاصيلها .. شخصية سهر الجميلة جاعلاً من جمالها غواية .. ومحبة.. في نفس الوقت (الجمال غواية ولعنة على صاحبه، وعلى من يقترن به .. الجمال شك.. الجمال قلق، وحيره ، ووجع) ص ٢١٢.. كل هذا جمعه في جمال سهر التي عانت ما عانت منه حتى تلجأ لشجرة الياسمين المملوءة بالحنان والخبرة في الحياة..

شهرزاد تطبطب وتحنو عليها مواسية (حزن النساء الخفي يأتى ويذهب .. يلعب بأرواحهن ساعات ويمضي بلا سبب) ص٩٣. لتجعلها مطمئنة أن حزنها سيذهب يومًا ما.. فتحي رضوان روح صوفية بجسد عاشق لعوب لا يملك القدرة والسيطرة على رغباته فيهرب بين الحين والآخر إلي الله سيرًا .. من قال أن السير إلي الله من شروطه أن تكن في حالة من الطهر الملائكي؟!! أليس الله بغفور رحيم.؟

(بعض الخطيئة هي الفوضي فى حياتنا.. وبعدها تستكين الأمور) ص ٥٠.

يدلنا السيد حافظ هنا على أن نستقر ونلملم تشطي أرواحنا بعد كل ذنب أو خطيئة فلابد أن تنتهي هذه الفوضى.

يختار مفردات وعبارات تحت عنوان (روح تعكطس روحه.. ومقتبسًا من خلالها حالة العشق الذي يعيشونه في روايته .. آيات القرآن المنتقاة وتجلياتها.. الآنا، والكون... كلها صور تجعل القارئ يبحث عن ذاته عبر هذا المخاض بلغة تتجه نحو البساطة والبلاغة في آن واحد للتعبير عن ذات الإنسان ورغباتها ولذاتها المتعددة.. محاولاً الوصول إلي السمو.. إلي الكمال.. للاتحاد مع الذات المطلقة .. الذات الآلهية.

البوح الصوفي (لفتحي رضوان) رهافة إحساس (سهر) الجميلة.. عطر البخور المتصاعد من (وردة) كأنه ابتهالات

تتصاعد إلي الله.. هذا التحليل المترع بما يناسب كل شخص في الرواية يضع بين يدي القارئ مدرسة متكاملة لبناء الروح.. هذه الروح التي بقدر ما تكون قوية فهي ضعيفة جدًا امام الغواية إذا لم نروضها .. عندما وضع السيد حافظ فاصلة (روح):

بين أحداث الرواية متدرجًا فيها إلي حد الهيام وهي درجة الشوق والجنون في الحب حتى الموت.. الهيمان من الهيام وهو داء يأخذ بالأبل فلا تُروى أبدًا حتى تموت من العطش.. بأن الروح كلما تعمقت في الحب طَّهُرت ، سمت إلي علو، وكلما أحبت بصدق الأنبياء وطهر الملائكة روضت .. وتعالت على الخطيئة.. نراه باحثًا عن هذا الحب في عالم اتسعت فيها رقعة الخراب حد القبح ليعود ويعيدنا إلي ضعف الروح البشرية عندما يتسائل ، كيف نتهيأ إلي الخطيئة والحرام أكثر من تهيئنا للحلال والفضيلة؟ ولا نلقي جوابًا إلا في جلد الذات وممارسة إذلال ذاتنا بذاتنا للتكفير عن خطايانا مؤدي بنا هذا الإذلال إلي الاكتئاب والقلق المبالغ به وصحوة ضمير تكون بمقدرا ما نشعر به من الذنب، ومن الطبيعي جدًا أن تكون ردة فعلنا هكذا. ولما وقف الشيطان أمام فتحي ومنقذ وكاظم و... متسألين ولماذا نتوب.؟ إنما التوبة لأصحاب المعاصي الكبيرة ونحن لسنا منهم مزين لهم أخطائهم ومبررها لهم ليهون

عليهم الذنب، قال هرقل (إن الباري جل وعلا يفسح لتلك الأنفس في كل دهر فسحة حتى تنظر إلي نوره المحض الخارج من جوهر الحق فحينئذ يشتد عشقها وشوقها فلا تزال كذلك أبدًا).

يضع أمام أعيننا الكاتب علامات وفي كل علامة آية من القرآن الكريم لنحلق بها من حب الغواية والخطئية إلي حب وعالم الروحانية وأن الحب الرباني هو أول المحبة ، إن المحبة التي في هذا العالم كلها من تأثيرات تلك المحبة الأصلية التي كانت أول مبدع من الحق تعإلى انصدر منها في جميع العوالم السفلية منها والعلوية ، الألهية منها والطبيعية، الألهية ما كان بين الله وبين عبده ، والطبيعية ما كان منها بين المتحابين على تفاوت اختلافها فهي كلها من تأثيرات تلك المحبة على توسط العقل والنفس والطبيعة، ولهذه الجهة تغيرت واستحالت عن تلك المحبة الطاهرة إلي ما ترى، لأنها وقعت في حد البعد عن الحق تعالي) روح ص١٤٣، .. علامات الآيات القرلأنية هذه تفسر لنا حاجة الروح إلي المحبة.

ولله جل جلاله هو الذي خلق الروح ويعلم خفاياها .. كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابين.. فلماذا لا نعقد صلحًا مع أرواحنا ونحاورها.. نعطيها مساحات من التفكير في الأخطاء

التي اقترفناها فنحن لم نخلق ملائكة وليس المطلوب منها هو جلد ذواتنا حد الهلاك.. دائمًا هناك مساحة للصلح والإصلاح.
يخبرنا السيد حافظ أن محاولات إصلاح ذواتنا وتغيير طريق غوايتنا سهلاً وسلس من خلال تذكيرنا بأن الروحج شفافة وكيفما جُبلناها، جُبلت على الهداية أو المعصية.. تحمل الرواية طابع لغوي مبسط ودائمًا يفتح السيد حافظ روح القراىٔ ليضيف لها وعي ذهني في محاولة فهمه لبناء النص الروائي ليندمج فيه ، وبكلماته الرقيقة وألفاظه المنتقاة التي تلامس المعنى الحقيقي للنفس البشرية، ومن خلال سرد قصصي، يدخلنا الكاتب إلي متاهات الروح والذات لمحاسبتها وكبح جماح الرغبات غير المشروعة فيها.. وبصورة فنية وببراعة لإيصال المعني، محاولاً شحذ أفكارنا وترك لنا مساحة من الفراغ نملؤها بتحليلاتنا كلا حسب ما يدركه من خلال نفسه بنفسه.. صعب جدًا أن نحجم رواية بهذا العمق بكلمات وأسطر حسب فهمنا البسيط لها.. هناك الكثير من العمق الروحي فيها لا يًستوعب، إلا بقراءتها ولكل قاريء في فهم جوانبها الخفية على شاكلته.

أخيرًا

كتب إبراهيم الفقي رحمه الله

" عش كل لحظة كأنها آخر لحظة، عش بحبك لله عز وجل، عش بالتطبع بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام، عش بالأمل، عش بالكفاح ، عش بالصبر عش بالحب، وقدر قيمة الحياة"

وهذا ما يذكرنى به السيد حافظ من خلال ما قرأت جاعلاً للحياة معنى آخر.

سحر فاخر الجابرى - العراق

دراسة لرواية (لو لم أعشقها)

للأديب المصري الراقى / السيد حافظ

أ. سالمة المغربى – مصر



العنوان نصف جملة، أداة الشرط وفعله
أين بقية الجملة(جواب الشرط)؟
إن الجواب بأحداث الرواية.
وسنعود إليه بعد فتح طلاسمها.
وربما كان جوابا لسؤال فيه (لماذا)؟

بدأت الرواية بعنوان غير مكتمل، لكنه رغم ذلك فهو مشوق. بدأها الكاتب من أول صفحاتها بإهداء عام وجريء. إنه للزناة، لقد جمع أنواع الزنا في سطور.

هل يعقل أن يُهدي عمل كبير مثل هذا لهؤلاء الزناة؟!
الجواب كان ب(نعم) لدى السيد حافظ.
لم؟!

لأنه لم يقصد الزنا الشخصي أو الذي بين الأفراد - كان له نصيب من قبل الشخصيات بها - فحسب، إنما خص الذين يزنون جميعهم، والمتلاعبين على الله وأيضا بالوطن. وصفهم بـ (زناة العين والكلام والفكر واللمس والهمس والكتابة

والرؤيا بأحلام اليقظة). وليس هذا فحسب؛ أيضا السفهاء الذين يلعبون على الرب بالصلاة والمسبحة ودور العبادة (جوامع وكنائس ومعابد)، وإلى الكذابين الوجهاء الظرفاء - كما قال - ووصفهم بزناة الوطن صبح مساء دون حياء ويأكلون أموال الفقراء.

حتى قال فيهم:" كُتب بالسحاب بالسماء" الله ترك هذا الوطن؛ لأنه زان". في العلامة رقم(٢) بعنوان/ وأكثرهم لا يعقلون.

سؤال: هل حقا هم يستحقون اللقب؟ هل يستحقون توقيع الجزاء عليهم؟ ومن الذي سيحاسبهم، التقاة أم الله؟ ومتى وكيف يكون ذلك؟

الجواب : كل الأجوبة ضمنتها الرواية في أحداثها. كان الفشل، الفقر، السمعة السيئة، الخطيئة، الهجر، الهجرة، وآخرها الاختفاء. دلالة استحقاقهم له، أما من ناحية الحساب؛ كان للعبد دوره، ولله رب العالمين كلمته الأخيرة. أما الوقت والكيفية فكانت على مراحل وأحداث سردها الكاتب في متن وحبكة وصراع الرواية.

وكان الإهداء الخاص.. إلى أخيه الأكبر / محمد حافظ رجب، الذي اتهم فيه الأدباء بتهمة قتل موهبته الأدبية.

إن قول المتنبي:

طبعت على كدر وأنت تريدها..... صفوًا من الآلام والأحزان.

رأي حقيقي يمثل ماهية الحياة.
وقول شبل بدران:
الخير والشر ليسا إلا نوعين من الخير.
قول حكيم، فإن أصل الحياة فيها الخير، والشر يُولد من الخير كمثيله – أو توأمه الخير – فالناتج أنهما من الخير.
يقول كاتبنا في صفحة (٧) على مسؤوليته ولسانه: وعشقت مصر بصدق، ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة.
خطيئة؟! متي يكون العشق خطيئة؟
ربما لو كان اكتشف أن الوطن نفسه يخونه! في صورة أفراده الذين وصفهم بالزناة.
ويقول أيضا:
اكتشفت أن ليس لي وطن غير الكتابة. ربما لأن قمة الحرية تكون على الورق، خاصة إذ لم ينشر ما كتبه فيه بعد.
سؤال من الكاتب ساخرا:
كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس؟!
قيادة الوطن واجبة كما طاعتنا له، جملة مخلوع الرأس تنافي العقل الذي يفكر ويحقق ثم يقتنع.
هل قصد الرأس بالترأس؟ والرأس يكون أكبر ما في الإنسان ويتحكم فيه. ربما أيضا الزعامة.

بالرواية (٣٠) ثلاثون علامة، ولكل علامة عنوان خاص، في أكثره تناص قرآني فيه صفة لشخصيات كل جزء_ علامة_ يلصقها لها الكاتب، ومقطع روائي(مقتبس) وتعريف للروح وختمة بآية قرآنية. سنتكلم عن المغزى لاحقا تحت عناوين خاصة بكل صنف منها.

وبالرواية أشخاص - شخصيات عاملة - أساسية، وأخر ثانوية وأخر نامية، وأخيرا شبه ثانوية وجدت لغرض عندما ينتهي؛ ينتهي دورها بلا أدنى تأثير في السرد.

الشخصيات العاملة:

فتحي رضوان خليل وهو شاب مصري عمره(٣٣) سنة، يعمل صحافيا في جريدة دبي. وعليه تقوم الرواية، مقصد الكاتب الأول، وبقية الشخصيات تخدمه أو تنشط الأحداث له.

سهر امرأة شامية متزوجة من منقذ. وعشيقة ل(فتحي). استمر دورها للنهاية، ساهمت في إبراز دور فتحي الإنساني والداخلي، وتطورت حتى أصبحت عاملة بعد أن كانت ثانوية ببداية الرواية. وقد أسندت إليها لقطة النهاية باعتبارها امتدادا للخيانة التي لا تنتهي، قاصدا لها الكاتب ذلك، فهي تمثل وطن خانه بعض أهله - سياسيا - وظروفه الحالية من هجرة وضياع.

الشخصيات الثانوية (المساعدة) لتطور الأحداث وصمود دور فتحي:
حياة، امرأة يعشقها (فتحي) وتعشقه. لكن لها أسلوب خاص بالعشق. وكانت علاقتها سببا في نهاية فتحي بدبي، الذي تأثر بهذه النهاية حتى اختفائه.

شخصيات نامية تتصاعد في الأهمية:
شداد.. الذي غرر بالسيدة سهر، وتطور دوره وظهر في الحوار، وفي تحريك الماء الراكد في العلاقات بين كاظم وليزا، وبين حياة وفتحي وغير ذلك.

كاظم.. بعد أن كانت حركته بالماضي من عشق وقتل، تطور حتى أصبح يخدم دور السيدة سهر ومحركا وسببا في انفعالاتها.

شهرزاد، التي مثلت دور شهرزاد حقيقة وبرعت فيه، تطورت حتى أصبحت صاحبة القرار في حياتها. وكان لها دور في عمل الخير بالراوية، وهذا الخير كان معدوما بالرواية؛ لأن لكل فعل سبب وغرض مادي(جنسي، مالي) فيها.

حامد الصقر.. حقا كانت الرواية ينقصها شخصية رمزية مثله ومثل (شهرزاد) والجميل أنهما زوجان.

ليزا.. رمز التدخل الأجنبي الذي أشتهر عنه مقولة(فرق؛ تسد) بغوايتها فعلت ذلك وتطور دورها حين أقنعت كاظم

بالهروب معها إلى فرنسا. كانت كالعسل الأبيض الممزوج بالسم.

شخصيات غير عاملة وجدت لغرض بسيط:

تهانى..

المرأة المصرية التي تعيش على الهامش، لا يعطيها زوجها حقها إلا قليلا، كعبارات التهنئة لا تقال إلا بالمناسبات السعيدة فقط وتكون نادرة. رغم أنها تمثل نصف المجتمع، إلا أنها للأسف شخصية سالبة.

وهي ترمز لمصر في أوقات التخلي عنها من قبل الدول العربية الأخرى أحيانا.

ولتحملها وصبرها الشديد عليهم تهاني

وردة زوجة كاظم. لم تتطور غير بموقف الوظيفة التي وفرها لها أخوها عوضا عن ضياع الزوج.

راغب أخ وردة. دوره محدود، لو استغنى عنه الكاتب؛ لن يضر بالنص.

عبد اللطيف الأشمر رئيس التحرير. محفوظ عبدالرحمن صديق فتحى.

الميثاء صديقة شهر زاد بالشام. أبو الشوارب. مارينا الفيلبينية . ناجح خليل يعمل بالجريدة. سامي أخ سهر، ووالدها. سيد عثمان، فايز كركويلي، محمد سلماوي رئيس تحرير الأهرام. زهرة زوجة قاسم صديق كاظم الذي قتله.

معانى الأسماء أو ما تنبئ به الأسماء مثل :

شهرزاد.. المرأة الشامية التي تمثل حقا دور شهر زاد، تحكي عن الجبل والحياة عليه، يتجمع النسوة والفتيات حولها للحكي، في كل لقاء لها مع الشخصيات بالرواية تسهب في الكلام.

وهي ترمز لبلاد الشام القوية في زمن ما.

• **تهانى**.. تمثل مصر المضحية دوما.

• **سهر سالم زوجة منقذ**.. المرأة الشامية، من صفات السهر- والساهر - أنه متقلب دوما لا يستكين، وهذا ما حدث للسيدة سهر عندما فعلت الفاحشة، ثم تابت إلى الله وارتدت الحجاب، ثم خلعته واستمرت بعلاقة - خطيئة - مع شداد حتى نهاية الرواية.

وهي ترمز للأحوال العربية المتقلبة خاصة في بلاد الشام مثلا.

• **حامد الصقر**.. زوج شهر زاد، كما وصفه الراوي: "سُمي على اسم الصقر شاهين البحري، فهو دائم السفر وعال المقام، ودائما في القرية كان يحمل على كتفه صقرا".

وهو يمثل رمزا للرجل الذي لابد وأن يكون، راسخ العقل والعقيدة، رغم أنه ببعض المشاهد يرى ولا يتكلم كثيرا بإبداء رأي برفض أو إيجاب.

• **وردة وزهرة**، شخصيتان لا ظهور لهما، كعمر الورد والزهر قصير.

•**شداد**..كما وصفه الكاتب:" الثعلب الأحمر الذي تعود على أن يأكل أي نوع من الغذاء المتوافر من بقايا الحيوانات والقمامة. بالجزء(العلامة الخامسة) بعنوان وأكثرهم كاذبون.

ويرمز للمستغل الضعيف.

•**حياة**.. المرأة التي تريد أن تعيش الحياة بطولها وعرضها، متهورة في الجنس مع من ترغبه فقط وهو (فتحي).

وقد قالت عن نفسها:

" أنا من بنات الفكر والمطر ومن بنات الدهر وبنات الماء وبنات الأرض".

وحين سألها فتحي عن مقصدها قالت:

" أرجع للقاموس". بالعلامة السابعة بعنوان/ وأكثرهم لا يؤمنون.

• **ليزا**.. شبهها الكاتب بالفاكهة الاستوائية.

• **كاظم**.. **زوج وردة**، ابن أبيه المختار بسام ومعنى البسام (الضبع البني الذي يعيش بالصحاري) كما ذكره الكاتب.

• **راغب**..**أخ لوردة**، كما قال عنه شداد في حوار بينهما:

" خلاص خليك هيك تتنقل بين الزهور ولا تركن إلى واحدة".

قاصدا بالزهور قصته مع عشيقته السابقة(زهرة) التي قتل زوجها يوما. في العلامة (٦) السادسة(أكثرهم لا يعلمون).

•آدم فتحى رضوان خليل.. ثلاثة أرباع الاسم طيب(آدم) نبي، (رضوان) حارس الجنة، و(خليل) اسم نبي الله إبراهيم، وأيضا بمعنى الصداقة المخلصة، عليهم جميعا السلام. أما اسم (فتحي) هو الاسم الشاذ فيهم، فيه انفتاح وصاحبه يعشق نساء الغير، لا يتقي الحرمات.

• ونقيس بقية الأسماء على صفاتها من خلال السرد.

يختار الكاتب من الشخصيات التي يوظفها للتعبير عن أفكاره وآرائه شخصية محورية تتجه نحوها أنظار بقية الشخصيات، كما أنها تقود مجرى السرد والحبكة بأحداثها، كانت شخصية (فتحي رضوان خليل) هي الرئيسة. وقد سماها النقاد وأطلقوا على هذه الشخصية مصطلحا يميزها ويعطيها قدرها وأهميتها بـ"البطل" لأن دورها رئيسي في العمل القصصي.

إن شخصية - البطل - أو الرئيسة، هي الشخصية الفنية التي تقتنص تستحوذ اهتمام القاص ومن ثم القارئ، وقد تكون شخصية سلبية، وقد تكون شخصية إيجابية، و ربما مترددة وغير متزنة، أو مريضة نفسيا، وقد تكون محبوبة أو مكروهة، يتأثر القارئ بأفعالها؛ فيكرهها. ويعد هذا نجاحا للكاتب إذا جعل القارئ - المتلقي- يكرهها إن كانت شخصية

سيئة وأفعالها مشينة أو خائنة، وكذلك العكس صحيح لوكانت شخصية مثالية للطيبة.

نادى بعض النقاد بعدم تسمية الشخصية الأولى بالنص باسم " البطل" لأنها مقترنة بظهور الأدب الخيالي والأسطوري الذي نشأ في العصور الوسطى وهو في نظرهم بطولة زائفة، واجتمعوا على تسميتها ب(الشخصية الرئيسة)، لأنها أنسب حيث أنها تتلاءم مع الدور الفني الذي أسند إليها من قبل الكاتب. كشخصية فتحي رضوان خليل.

وأنا أتفق معهم في هذا الرأي، لأن أحيانا تكون الشخصية الأساسية شريرة أو هادمة، فكيف نطلق على الشر بطلا حتى ولو بالقص، أو على الورق؟!

أما الشخصية المساعدة والتي تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث؛ وظيفتها أقل أهمية من وظيفة الشخصية الرئيسة، رغم أن منها ما يقوم بأدوار قوية ومصيرية في حياة الشخصية الرئيسة. مثل شخصية سهر وحياة وحامد الصقر بالرواية

الشخصية المعارضة وهي شخصية تمثل القوى الأخرى التي تعرقل نجاح البطل أو الشخصية الرئيسة أو الشخصية المساعدة، بإفساد خططه مثلا، وتعطيل سبل نجاحه، والوشاية بينه وبين أصدقائه أو أصحاب العمل، كانت الشخصية

المعارضة هنا لفتحي وظن أنها من أوقعت به وسبب طرده من الجريدة، كانت شخصية (سيد عثمان). وكان شداد يوقع بين كاظم وسهر. ويشهد لشداد أنها شخصية قوية.

كلما اشتد الصراع فيه بين الشخصية الرئيسة والمعارضة؛ تظهر قدرة الكاتب الفنية في الوصف وتصوير المشاهد التي تمثل هذا الصراع ، ويزيدها جمالا وجود الشخصية التي تستخدم الألغاز المحيرة للقارئ.

وقد أوضحنا من قبل أن الشخصيات الثابتة - البسيطة - التي تبقى على حالها منذ البداية حتى النهاية ولا تتطور، لا تزيد ولا تنقص من مكوناتها الشخصية، مثل شخصية تهاني زوجة فتحي، و وردة.

الشخصية النامية التي تتطور من موقف إلى أخر بحسب تطور الأحداث، فتظهر قيمتها أو أهميتها في الرواية أو السرد، أو الوصف تدريجياً مع جريان وتطور الأحداث. وكانت شخصية سهر و حياة.

المقتطفات بالرواية ومغزاها:

مقاطع بكل جزء تحت مسمى(روح). بكل جزء يعرفها الكاتب تعريفا مختلفا عن الآخر، على لسان حكماء وشعراء وغيرهم. يهدف من خلالها الترويح، أو الاستراحة من بعد سرد المتاعب والمشاكل.

أعتقد أن السر في اختيار ووضع (روح) بكل جزء؛ ليكون ترسيخا لمفهوم الحب الذي يجب أن يكون، لا خيانة فيه ولا استهتار ولا قتل أو اغتصاب وعدوان.
وأن المقاطع المأخوذة والمقتبسة من روايات عالمية وعربية؛ تدل على مدى ثقافة الكاتب الشاملة الواسعة.
كان أسلوب الكاتب يمزج فيه بين كتابة المسرح والرواية، يظهر ذلك ببداية كل جزء أو علامة- كما أطلق عليها- فيصف الزمان والمكان وبعض تلميحات على المكان كأنه يصف خشبة المسرح من حيث التواجد والأثاث والإضاءة والديكورغيره.
هذه الطريقة تعد من طرق ما بعد الحداثة، وبها أيضا خاصية الميتا سرد، وهو ما وراء السرد، وفي جعل الكلام الشخصي ورأيه على ألسنة الشخصيات. وبها تداخل المذكرات والحس الروائي(سرد ذاتي) مع روائي بحث(سرد تاريخي) وهدفه نقد مجتمعي.
لقد استحضر الشخصيات التاريخية (صلاح الدين ونور الدين، عمرو بن العاص وعبادة الصامت والمقوقس، محمد فريد وسعد زغلول)وغيرهم، وفرعونية(نفرتيتي وابنتها)، والصوفية والدينية (الحلاج وذو النون والحسن البصري) وغيرهم من الأنبياء والأولياء.

المقصود بالاستحضار هنا؛ جولة في عوالم التاريخ، التي أظهرت مدى ما يكنزه الكاتب من معلومات، وقد أحسن استخدامها لما فيها من تشابه لفظي أو سري واتفاقها مع مجريات الأحداث في - العلامة – أو ردا على التساؤلات.

وقصد مثلا الانتقاد الديني، في سورة التحريم؛ لرفضه لأفعال حياة.

بالرواية إسقاط بذكر الزنا الفعلي وزنا السقوط. كلها ترمز إلى اللعب بالوطن، وأن العرق دساس.

في العلامة (٢) الثانية بعنوان" وأكثرهم لا يعقلون " يقول فتحى:

" وجدت في الصفحة الأخيرة في العمود الأخير، كُتب خير بخط صغير(وجد الوطن ميتا في ضاحية المدينة، حافي القدمين وقد سرقت كليته وقلبه، وقطع لسانه ونشرت أصابع يديه)".

وفي العلامة (٣) الثالثة بعنوان "وأكثرهم الكافرون" يقول فتحى:

"إلى أين تفر يا ابن رضوان؟ إلى قطر.. المدينة التي مساحتها مثل مساحة شارع شبرا ومكانتها مثل قارة أوروبا؟

هل تسافر إلى الكويت.. التي تعرف أن المسيح مر ذات ليلة عليها ومسح على شعرها ومضى؟

هل تذهب إلى مكة بالسعودية.. لتكون بجوار الكعبة لترى الله ذات ليلة وتكلمه مثل الأنبياء موسى أو إبراهيم؟

أم تذهب إلى باريس .. المدينة التي خلقها الله من نور؟".
ولأن تقسيم البلاد عنده نقد انفعالي وليس عقلاني. بمعنى أنه يشكو ولا يقدم حلا مثاليا، أو يترك للقارئ حرية إيجاد الحل الذي يلائم طبيعة وظروف بلده.

يقول في العلامة (٩) التاسعة بعنوان "أكثرهم لا يشكرون":

" هل قسمتم الوطن وأنا غائب يا أولاد الكلب؟! وذهبت إلى ليبيا وجدتها قُسمت إلى ثلاث دول، فذهبت إلى الجزائر وجدتها أيضا قسمت إلى ثلاث (دولة فرافكونية، ودولة أمازيغية، ودولة إسلامية عربية)، ذهبت إلى المغرب وجدتها قسمت إلى ثلاث مثل الجزائر، ونفس الشيء في تونس، ذهبت إلى السعودية؛ وجدتها قسمت إلى خمس دول، وسوريا إلى ثلاث دول، والسودان إلى ثلاث، نظرت إلى نفسي؛ وجدتني خمس شخصيات".

يتكلم فتحي بصفته الشخصية الأساسية بالرواية عن أحلامه وشكواه من آلام الوطن قائلا:

" أنا ذو الوطنين، مصر التي تهينني كل لحظة، مصر التي ذاكرتها مثقوبة وخيراتها منهوبة، ولكن ثان كان في حلمي ليس له عنوان. حلمت بباريس جنسية، وحلمت بألمانيا لكن ظللت في مصر، وأصبحت وطنا سجنا قهرا تجاهلا".

وذكر آيات قرآنية بختمة كل علامة، فيها صراع داخلي، بين تراثه الديني وبين الواقع المرير المخالف له. وكذلك انتقاد ديني لرفضه للأحداث التي تعارض القيم.

وكذلك يذكرها أحيانا باللاوعي لنقد الواقع نفسه. كأنه منقسم إلى شقين متنافرين.

شخصية فتحي رضوان خليل، حين كتب ذكرياته؛ كتب جزءًا من شخصية الكاتب وذكرياته، أو بمعنى أخر كتب الكاتب عن نفسه على لسان فتحي..

استخدم القارئ أسماء كثيرة لشخصيات - مقصودة – مع تحريف لبعض حروفها، تلميحا لتأثيرها في تغير أحوال الوطن وغير ذلك.

بالرواية سرد مباشر وسرد فنى غير مباشر.

رغم أن المباشرة عادة تعيب النص؛ إلا أن المباشرة كانت في المقالات والسير الذاتية للأشخاص(تاريخية، صوفية، فرعونية.. إلخ) وهذا يهون الحكم عليها، لأن المقال يختلف عن القص ببعض أساليبه.

الأصوات بالرواية:

من المعلوم أن للقصة بجميع أنواعها أصوات، وكلما كبر حجم الرواية؛ زاد عدد الأصوات، وهي تكون منولوجات أو حوارات، أو شرح ووصف، أو إبداء رأي ونصح.

وكذلك صوت السارد، منه صوت العليم، فيه يقول ويسرد كل شيء بصفته العالم بخبايا الشخصيات والسرد وواع للأحداث، وله أن يستبق، أو يؤخر، يقول ويكتم لحين، عادة صوت الرواي.

والسارد المشارك كما علمنا يكون سرده على لسان شخصية أو شخصيات. أو يكون هو أحد الشخصيات بالرواية، بصرف النظر عن كونه عامل أو ثانوي أو هامشي. ويكون هنا سارد (محايد) يصف دون أن يلزم القارئ بأي وجهة نظر خاصة به.

وهنا بالرواية؛ نجد صوت آخر للسارد، يمكننا أن نسميه ب(الدخيل). متى نحكم عليه بهذا اللفظ؟

إذا وجدناه يفرض صوته ورأيه الشخصي على القارئ؛ بغية التأثير عليه ليقتنع بما يراه هو، أو بحكمه على الأفعال والأحداث ومن ثم على الأشخاص، أو لشرحه وتفسيره للمفسر بوجهة نظره هو، ومن المعلوم أن تفسير المفسر عيب في السرد؛ لأن القارئ المميز قد يشعر ببعض الإهانة بعقليته.

من الجمل والمقاطع التى ظهر فيها السارد الدخيل:

- وتعدنا الأيام بالمجهول، والزمن بالمفاجآت *(العلامة ٢) وأكثرهم لا يعقلون.

- النساء الجميلات حين تتلاقى؛ لا يتحدثن عن قدرتهن لركوع الرجال أمامهن أو بكاء بين كفوفهن أو مواهبهن في معاقبة الرجال وجعلهم يرفعون أياديهم.. إلخ.
- والخمر خطيئة بالدنيا، وفي الآخرة خمر أخرى لا تسكر، ولكن تنعش القلب والروح. *(العلامة ٣) وأكثرهم كافرون.
- حامد الصقر(سمي على اسم الصقر شاهين البحري.. إلخ) وكذلك شرح معنى المختار البسام:(هو الضبع البني.. إلخ) ووصف الشيخ العقل:(طبقة من رجال الدين عند الدروز.. إلخ). *(العلامة ٣) وأكثرهم كاذبون.
- من السخف أن تظن أنك على صواب دائما. *(العلامة ٦) بعنوان/ أكثرهم لا يعلمون.
- من الحمار الذي قال إ، كل النساء متشابهات في الفراش؟! أو أنهن مجرد جسد واحد مختلف الأسماء؟! العلامة (٧).
- يبدو لي طبيعيا أن أنسى عمري، والوقت يبدو لي طبيعيا أكثر أن أعشق الليل والبيانو.. إلخ. العلامة (٨).
- لماذا نتهيأ للخطيئة والحرام أكثر من تهيئنا للحلال والفضيلة؟!
لماذا نتوعك الروح قليلا ونكسل في مزاولة الواجب الزوجي المقدس على الأرض.. إلخ).

- ما أروع لحظة الاستسلام للأنثى بدلال. *(العلامة ٧) بعنوان/ أكثرهم لا يؤمنون.
- ها هي مهرته الغالية صارت ناضجة.. إلخ.
- ها هو الصياد تأتيه الفريسة.. إلخ. *(العلامة ١٠) بعنوان/ وما كان أكثرهم مؤمنين.
- حين تكون فاقد الأمل.. إلخ. *(العلامة ١١). بعنوان/ وأكثرهم مشركون.
- فدائما الغشيم تمتاز ضرباته بالقوة الغاشمة. *(العلامة ١٣) بعنوان/ هم في غمرة ساهون.
- حين ترى الشارقة في الليل وهي هادئة؛ تشعر أنها حضن الأرض الطيب.. إلخ. *(العلامة ١٤) بعنوان/ هؤلاء الضالون.
- سكتت المرأتان، سكوت النساء خطر، وثرثرة النساء أمان، لا شيء في أمان.
- هل الخطيئة قدر مكتوب علينا؟ هل نحن نصنع الخطيئة بقصد أم نحن نسعى إليها وندعي أن لا حيلة لنا فيها؟! *(العلامة ٢٠) بعنوان/ لنكونن من المرجومين.
- هل اسم الذهب يسلب النساء عقولهن؟!
- هكذا تدخل الطيور الأقفاص ظنا منها حبات القمح كالذهب؟.

- البدايات تبدأ بالتنازل، بالمرح، والضحك، وخفة الظل، هكذا تعود شداد مع النساء. *(العلامة ٢٢) بعنوان/ ولتكونن من الخاسرين.

- الحرية ليست فوضى المشاعر، والشيوعية ليست شيوع الحرام، والإيمان ليس الصلاة فقط، والحب ليس الجنس فقط، والرزق.. إلخ. *(العلامة٢٦) بعنوان/ أكثرهم لا يعقلون.

- وهكذا تخدع النساء الخائنات أزواجهن بوضع اسم العشيق باسم امرأة (فيفي أو سلوى) أو (ف) أو (ب) أو كاف، وهكذا يفعل الرجال؛ يسمون عشيقاتهم.. إلخ. *(العلامة ٢٧) بعنوان/ وأكثرهم لا يعلمون.

ولهذا ننادي بعدم الفصل أو التفرقة بين الشخصية وبين الحدث، لأن الحدث هو للشخصية وهي التي تتفاعل معه، والشخصية فاعلة للحدث.

ومن الأصوات (المنولوج) مثال:

- حديث النفس من قبل فتحي (فكرت أن أخبر تهاني بما جرى وما رأيت، فهي لم تصدقني، فكرت أني ربما لم أر شيئًا، وربما أكون مجهدً نفسيًا ويتراءى لي أشياء وأني متعب وعلي أن أكتب استقالتي.. إلخ) العلامة (١).

- وأنا طائر البطريق الذي يسبح في محيط العشق لمسافات طويلة؛ ليجد قوت يومه، ولا يجده إلا بالصدفة أنا البطريق

عاشق الحرية والحرية سحب بعيدة بعيدة بعيدة، ترى هل ستعرف تهاني.. إلخ. العلامة (٤).

- أنا أحبك يا تهاني، ولكن قلبي يفيض حبًا يكفي نساء كثيرا، ولكن حتى الآن لم لأفهم سر الخيانة في العشق. العلامة (٤).

- لا تعرفين يا تهاني معنى وجع الروح لرجل بسيط مثلي، تقولين بكل بساطة نرجع مصر، وهل مصر وطن أم كفن أم سكن أم الثلاثة معًا؟ هل للوطنية بطاقة شخصية؟ وهل للشرفاء أي سكن على هذه الأرض.. إلخ. العلامة (٤).

- النساء سحب منهن من تمطر الحنان، ومنهن من تمطر الدموع، ومنهن من يبخلن بالعطاء ويسرن في سماء الأرض بلا هدف. قال الحاج رضوان: مصائب الأرض من النساء، وقلت النساء فرح الأرض والسماء وضحكات الأطفال وقصائد الشعراء. العلامة (٤).

- يا قوم.. أنتم تسيرون على جثة الوطن.. إلخ. العلامة (٩).

- هل قسمتم الوطن وأنا غائب يا أولاد... إلخ، العلامة (٩).
وغير ذلك بالرواية.

- على لسان سهر: آه يا أبي، أيها المقاتل القديم ضد الفرنسيين....، آه يا أبي الطيب وأمي الطيبة....(العلامة ٢٥) بعنوان وربك أعلم بالمخلصين.

ماذا تقول الكوابيس والرؤى التى يراها فتحى بنومه وصحوه؟

حين يتطرق الكاتب إلى كتابة مثل هذه الأمور(أحلام ورؤيا) فإنه يشكو ويبوح بطريقة غير مباشرة عما يعانيه البطل- الشخصية الرئيسية بالرواية - بدليل لم يحلم غيره في الرواية. يقول مالم يقوله علنا، كالمسكوت عنه، الإرهاق النفسي.

فتحي.. يمثل مصر وليس شبابها فقط، وفي لحظة أخرى نجده يمثل العالم ويرفض ما يقسمه أو يشتته، رغم أنه صرح بأنه مقسم لخمس شخصيات. فهو يرفض التقسيم، العنصرية، قتل الوطن وامتهانه، يأتي الضمير الخالص على هيئة نور؛ لأن هذا النور – الرباني- ليس مادة مصنعة، ولا يملكها أو تأتي الكثير من البشر المنغمس في الملذات والشهوات. ورغم أن فتحي منهم، إلا أن ما زال بداخله ضمير يعاتبه ويؤنبه على تصرفاته وأفعاله المشينة. وقد ربط الكاتب هذا المعنى بأخر الرواية حين جعله يشتاق إلى المسجد – المرسي أبي العباس – وليس هذا فحسب؛ بل يجعله يذوب بين مريديه طلبا للنقاء، أو ربما أن شجرة النقاء ما زالت تنمو بداخله وأورقت.

وكذلك سهر حين أطفأت نور حجرتها؛ وجدت أمامها امرأة عجوز يشع من وجهها النور وكانت (رابعة العدوية)، لماذا كانت رابعة العدوية بالذات؟

لأن رابعة - قيل عنها أنها- أشتهرت بالبغاء - في صباها، ثم تابت توبة نصوحة، وكذلك سهر لقد زنت بإرادتها مع فتحي، وأفاقت حين اعتدى عليها من قبل شداد. فكانت الرؤية تسلية نفس، أحسنت استغلالها وقتا وتحجبت؛ ثم عادت إلى ما كانت عليه سابقا.

الرواية وخصائصها وما استخدمه الكاتب منها والعكس:

- الرواية هي تعبير عن رؤية الكاتب عن الحياة أو سرد مواقف منها اجتماعية أو فردية أو وجهات نظر الأخرين، عن طريق طرح عاطفته ووجهة نظره.

نجد بالرواية أن الكاتب قام بطرح وجهة نظره عن طريق المنولوج، والحوار كذلك. وبالرواية مواقفها التي تبين هذه الوجهات وغيرها.

وقد أتم مثلثات تقنيات بناء السرد ، مثلث (١) الفكرة، الوصف، الخاتمة.

ومثلث (٢) الحوار، السرد، الشخصيات.

ومثلث (٣) عن الفضول المعرفي.. التعجب (كيف، لماذا، ماذا بعد)؛ فأثبت أن الرواية لم يكن أساسها أو الغرض منها هو التسلية فقط، جين خدمها بالتقنيات والمثلثات التي سبق وشرحتها سابقا.

السرد ليس بالعملية السهلة لمن أراد التفوق أو التميز من الكتاب، على السارد أن يتحرى الحقيقة وصدق المعلومة التي سيضعها بالمتن؛ لأن القارئ ذكي ومثقف ويمكنه كشف الزيف، وعليه سيخسر القارئ، ولا سيما القارئ المميز.

لاحظنا أن السرد تتابعي، والمعلومات الغيرية (التقديم الغيري) كان صادقا وافيا على ألسنة الشخصيات وكذلك الراوي.

أما بالنسبة للحوار، حين أمسك بتلابيبه، الذي من شأنه أن يخفف من رتابة القص، جعله يساعد في وصف الشخصية داخليا وخارجيا. قدم المعلومات من خلاله. رغم أن الحوار طويل وأخذ حيزا كبيرا – اعتدى على مساحة الوصف – فللكاتب عذره، فهو بالأساس كاتب مسرحي، غلبه طبع المسرح. وفي نفس الوقت لم يهمل الديالوج والمنولوج الذي يغطي هذا التقصير.

من أسباب نجاح القص، الإجابة عن علامات الاستفهام التي تدور في خاطر القارئ(أين، متى، كيف، ماذا، من، ولم ولماذا). أجاب عنها الكاتب بل وزاد عليها(ماذا لو، وماذا بعد) في أكثر من منولوج لفتحي. وهذا يحسب لصالحه.

للعلامات الثلاثين (٣٠) استهلالات، (زمكانية)، ثم (وصفية) للشخصية داخليا وخارجيا، أو الاثنين معا. وكان الوصف أكثر من خلال السرد كما رأينا. ولم يتعرض كثيرا للوصف الجسماني لهم، كان بالإيحاء حين يلمح لعمر الشخصيات.

لم يذكر عمر (فتحي ٣٣ سنة) إلا عندما ضاع من أمه وهذا بآخر الرواية.

وكانت البدايات ترتكز على الأحداث أكثر من الوصف، وهذا ما جعل القارئ متشوقا لمعرفة ما تسفر عنه النتائج.

القص الما ورائي أو ما وراء القص، هو نوع من الكتابة السردية، ذاتي الانعكاس، أي أن النص يمتلك وعيا ذاتيا و يكسر الحاجز بين الواقع و الخيال. يتمظهر القص الما ورائي في أشكال مختلفة، عندما يقطع الكاتب حبكة النص ليشرح شيئا معينا وقد وصفته هنا بالراوي العليم وفي مواطن أخر بالراوي الدخيل.

لقد راعى الكاتب المسافة الروائية، التي نشأت أثناء الحوار الصريح أو الضمني القائم في النص الروائي بين (المؤلف نفسه، والراوي مثل فتحي أحيانا مع الراوي العليم، والشخصيات جميعهم وكذلك القارئ) فيمكن لأي فرد سردي أن يتماهى مع آخر، أو قد يجد نفسه معارضا معهم بسبب مبدأ ما، أو حكم من الأحكام. وله أن يجعل هذه المسافة(أخلاقية،

أو فكرية أو مادية أو غير ذلك). وبهذا قد خدم النص وأظهر بذكاء أبعاد الشخوص خاصةً النفسية.

استخدام السيد حافظ للديمومة في الرواية، راعى فيها زمن الحكاية وطول النص بصلة زمنية لتبطئ أو تسرع السرد، منها أنه ذكر بكل علامة زمن دقيق ومتلاحق، وفي بعضها حدد بقوله (سنة وراء سنة) ثم قفز بأخر بقوله (وبعد عشرين سنة) في أخر الرواية.

المشهد.. عامل من عوامل التهدئة، بالتكوين الزمني المرحلي، فالمشهد يتكون من لقطة تعبر عن فعل في الرواية في مرحلة من مراحلها ويكون مؤثرا فيها.

لقد راعى الأديب البعد الاجتماعي، بذكر مستوى العلاقات الاجتماعية والمنزلة والقدر بين الشخصيات، كان ذلك واضح في وصف شخصية(حامد صقر) وكذلك شهرزاد.

وردت بعض الكلمات الأجنبية (الإنجليزية) على لسان الشخصيات مثل ليزا وحياة وسهر، أوجدت تفاعلا اجتماعيًا مقصودا لوجود جنسيات أجنبية بالرواية مثل (ليزا) وتأثير لغات الغرب على العرب أيضا.

لى ملاحظة:

لماذا تتحدث ليزا -الفرنسية- بلغة إنجليزية في(I ADORE IT) وليزا فرنسية!

و (أوو ماي جد) كتبها بالعربي ولم يكتبها بالفرنسية (OH MON DLEU)!

رغم أنهما خطأن؛ إلا أن كتابة الجملتين بالعربية أهون.

النهاية:

وهى آخر شيء في القصة سواء قصيرة أو نوفيلا أو رواية، وقد تتضمن النهاية عنصر الحل الذي أراده الكاتب، فعليه أن يحسن صياغة النهاية المثيرة المدهشة والغريبة نوعا ما، أو الغير متوقعة ليجعل القارئ معجباً ومتأثراً بها، وقد تكون الكلمات الأخيرة أو الجملة الأخيرة ذات صدى في سمع القارئ لا يكاد ينساه.

وكذلك نشير إلى أهمية الجملة – أو الجمل – الأولى بالنص، كلما كانت مدهشة جاذبة؛ كانت ذات أثر، فجمل البداية والخاتمة لا يُنسيان بسهولة إذا صيغ كل منهما ببراعة من قبل الكاتب. وقد أشتهر الكاتب الأمريكي(أرنست همنغواي) بتميزه في عنصر النهايات.

الحلول في النهاية التي اختارها السيد حافظ؛ كانت الاختفاء، اختفاء الشخصية الرئيسة (فتحي) كعنصر للحل.

أحيانا يجعل حلولا لإخراج البطل من أزمته بالرؤيا، ثم أيضا يخرجه من كابوسه بحل أخر وهو أن يجعله يستيقظ من النوم ويكون كل ما رآه من مشكله حلما وليس واقعا يخافه.

نشير أن نجاح الشخصية في العمل الروائي يرتكز على نجاح الروائي في أن يلعب جميع الأدوار بالرواية، بمعنى أنه يمثل نفسه ثم الشخصيات وكذلك المتلقي. (كاتب، شخصيات، قارئ).
البعد الرابع هي نظرية التحرر من القيود، تستوعب النص وتخرج به لحيز جديد ثري بالدلالات، فالإبداع لا يعترف بالقيود، وهذه النظرية تنطبق على رواية السيد حافظ(لو لم أعشقها) فقد خرج من قيد الاستهلال بالجمل إلى رحابة الاستهلال بذكر الزمان والمكان ثم الحوار المباشر.
وحقق نظرية الأديب الأرجواني (إدوارد غالينو) حين قال:
أنا لا أطلب منك أن تصف سقوط المطر، أنا أطلب أن تجعلني أتبلل، فكر بالأمر، أيُّها الكاتب!
كان ذلك حين أجرى المنولوج على لسان فتحي مرات عديدة، وعلى لسان سهر مرة، وعلى لسان شهرزاد. وأيضا حين سرد الأحلام والكوابيس والرؤى بالرواية.
وكذلك حين تكلم عن أهمية الوطن من خلال ضجر فتحي بأحوال البلاد المتدنية، ومن خلال وضع الممارسات الجنسية على قمة أولويات أكثر أبطال – أشخاص – الرواية.

وبما أن النهاية هي أخر ما يربط القاص بالمتلقي؛ فإن كبار الأدباء يسعون إلى صياغة نهاية القص بكلمات أو حكم مؤثرة

أو مشهد قوي، أو انتصار وتحقيق ما يرغبه القارئ عاطفيا؛ حتى لا ينساه أبدًا.

المفارقة التي أرادها الكاتب بالنهاية المفتوحة للرواية، هي تفعيل دور جديد – للجيل الجديد – المتمثل في آدم فتحي رضوان، كإشارة لاستمرارية الأحداث، وأن الأيام دول، وتشبه بعضها بعضا.

أدركت ذلك الشخصية النامية المستمرة (سهر) حين قرأت اسم الشاب على الملف، وسألت عن ماضي عشرين سنة؛ لتفاجأ بالنهاية أن لا وجود له في تلك السنين الفائتة.

ماذا أراد الكاتب من سرد الرواية؟

لقد أوضحت بعضه أثناء التحليل. وعلى القارئ أن يقرأ ويحلل ثم يقرر، ومنه يكون القرار الأخير الذي به يشهد للكاتب بالنجاح من عدمه.

يقول الكاتب الإنجليزي (سومرست موم):

إذا كان باستطاعتك أن تخبر بالقص، وتخلق الشخصيات وتبتكر الأحداث بشفافية وصدق؛ فليس المهم حينها كيف تكتب.

وهذا يتوافق - رغم قدم هذا الرأي - مع ما بعد الحداثة .

والشاهد في كتابة المقالات التاريخية والدينية بالرواية؛ ليثبت بها عمله كصحافي.

وكانت شهادة لثروته الثقافية.

نعود لما بدأنا به، وهو العنوان، وأتساءل:
من القائل(لو لم أعشقها)؟
من المعشوقة المقصودة بالرواية؟
والجواب؟
بالنصف الأول بالرواية أخذنا الكاتب إلى اليقين بأن القائل هو فتحي، وأن المعشوقة هي الحياة الدنيا، رغم أنه طرح عدة معشوقات (سهر، حياة) وكذلك سار بنا إلى عشق أخر قوي وهو عشق البلد(مصر) ولهذا يشكو غربتها.
وأيضا قال عنها في الصفحة السابعة: " عشقت مصر بصدق، ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة!". مع ذكر انتقادات لها وما يدور فيها، وعدم رضاه الكامل عنها، وتخوفه من الرجوع إليها.
حين طرد من دبي؛ بكى بحرقة، هل هذا البكاء يجعلنا نصدق أنها هي معشوقته؟
وكذلك لم نجده يندم كثيرا على فراق سهر وحياة وهما مثالا للشهوة والمتعة لديه!.
ولهذا كان التخمين أقرب للحياة الدنيا، وأجد الدليل في لحظة اختفائه بأنه هرب لأنه لا يستطيع العيش بدون ملذاتها، والمتمثلة في (المال والنساء).
كلما كثر التأويل، كان لصالح النص.

كلمة أخيرة

الأديب السيد حافظ لم يبخل بمشاعره على المتلقي، ولا بمعلوماته التاريخية والوطنية والثقافية.

وأن جعل من المقتطفات (روح) استراحة للقارئ ليفصله بها عن واقع كل شخصية أن تؤثر على ما بعدها.

وإذا جمعنا تلك المقتطفات في صفحات متتالية لا يفصل بينها نص مقتبس ولا روائي؛ لكانت فصلا بذاته ممتعا.

وكذلك بالنسبة للمقاطع الروائية لكبار الأدباء الغربيين والعرب، وأبيات الشعر العربي، أدت مغزاها بحرفية.

أما الاختتام لكل – علامة – بالآيات القرآنية؛ فهي نعم الذكر والتذكر.

وقد أعجبني حقيقة أن الآيات اختيرت بعناية لتفيد النص، وأنها كانت مرقمة حسب ورودها بالقرآن الكريم وأجزائه، لتتوافق مع أرقام العلامات ذاتها.

وكذلك التناص الذي استخدمه الأديب في العناوين، من الآيات الكريمات، كان يوافق الحدث والهدف من سرد العلامة.

الشكر كل الشكر للأديب الروائي والمسرحي الذي أمتعنا بهذه الرواية الراقية.

تمنياتى له بدوام التوفيق والرقى والترقى.

سالمة المغربى

تحريرا في ١/١/٢٠٢١م.

السيرة الذاتية

سالمه محمد أبو السعد عبدالله المغربى

أولاً: البيانات الشخصية:

البريد الإلكتروني : salmaelmaghraby5@gmail.com

الجنسية : مصرية

التخصص الأدبي : أديبة وناقدة

ثانيًا: الخبرات العملية:

١- مُدرسة بالمملكة العربية السعودية (سابقاً)

مُدرسة برياض الأطفال من عام ١٩٨٨ إلى ١٩٩٦

مُدرسة بمحو الأمية بمحافظة القصيم، المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٤ الى ١٩٩٦. الفترة المسائية.

٢- أديبة، عضو منتسب في اتحاد كتاب مصر، منذ عام ٢٠١٤.

٣- حاصلة على شهادة تكريم من المجلس القوي للمرأة بالقاهرة (كوني مبدعة) لعام ٢٠١٩

ثالثا: النشاط المجتمعى والاجتماعى:

* عضو بمختبر السرديات ، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية.
* عضو بمبادرة (أكوا ACWA) الإسكندرية مدينة إبداعية.
* عضو في المركز الروسي بالإسكندرية
* المشاركة بالحضور بقصر ثقافة الأنفوشي، والأتيليه، الإسكندرية.
* المشاركة بالحضور بقصرثقافة الشاطبي، الإسكندرية.

* المشاركة بالحضور بقصر ٢٦ يوليو، الإسكندرية.
* المشاركة بالحضور بنادي أدب قصر ثقافة مصر الجديدة، بالقاهرة.
* المشاركة بالحضورفي مكتبة المستقبل مصر الجديدة .. القاهرة.
* المشاركة بالعديد في تحكيم مسابقات القصة القصيرة في جروبات الفيسبوك.
* إنشاء وإدارة قناة (فضفضة واحدة ست للأديبة سالمة المغربي) على موقع YOUTUBE
* تنقيح و تحرير ونقد العديد من الأعمال الأدبية والفنية للأدباء.

رابعًا : الإصدارات الأدبية :

١-عطر رجالي (مجموعة قصصية) إصدار٢٠١٤

٢- قيثارة و وتر حب (شعر و خاطرة) إصدار٢٠١٦

٣- فضفضة واحدة ست (مجموعة قصصية) إصدار ٢٠١٧

٤-عدل افتراضي (رواية) إصدار ٢٠١٩

٥- نصف جسد خالد (رواية).

خامسًا : أعمال أدبية تحت الطباعة :

١- فضفضة واحدة ست الجزء الثاني (مجموعة قصصية).

٢- مسرحية اجتماعية بعنوان(إشارات العدل).

٣- مسرحيات تعليمية أخرى ذات الفصل الواحد.

٤- رواية (الشيخ المغربي).

٥- الدمية (رواية).

٦- خلق رابع (رواية).

عشق بين القوس والوتر
قراءة في رواية " لو لم أعشقها " للسيد حافظ
أ. فاطمة عبد اللّه - مصر



كتابة تجعلك تتجول في القواميس، وتستعيد آراءا حول مراتب المحبة ومعانيها، وتقابلك بالعبّاد الصالحين وأهل التصوف واللغة، وتردك لآيات القرآن وإلهام عيسى عليه السلام، وتجذبك لاقتباسات من روايات عالمية، تعشقت كلها كمنمنمات خرجت في شكل هذه الرواية.

أتت رواية الكاتب المصري السيد حافظ (لو لم أعشقها.. العلامة السابعة والأخيرة) خلال سرد متميز بتعاشيقه بين أشكال عدة، منها السيناريو والحوار السينيمائي وتوزيع الضوء والظل وكتابة المشهد، ومنها ما يتضمن تعليمات المؤلف المسرحي للمخرج، ومنها. وهو الأهم. هذا التقسيم الهندسي لبناء الرواية، والذي التزمه السيد حافظ من مدخل الرواية، فيما يمكنك وصفه بأنه فصول أومشاهد أولوحات، أسماها الكاتب بالعلامات، وقسّمها لثلاثين علامة، تبدأ كل منها بالعلامة المرقمة وجملة تبدو مجتزءاً من آية قرآنية، ثم "روح" يتضمن تنسماً من معاني المحبة والعشق، ويليها

"مقتبس" من رواية، ويختتم كل علامة بآية قرآنية أو أكثر، وكأنه بهذا الشكل يوجه قارءه إلى كل أشكال الكلمة المقدسة، أو يحاول أن يقول لقارئه. في غير مباشرة. عبر هذا التعاشق الشكلي ومنمنمات السرد، أن هذه الرواية قد تتضمن دستورا ذا ثلاثين بندا، أو أنها إرشادات مرورية لك في حياتك يجب أن تتوخاها، وتحافظ كذلك عليها أثناء تجوالك في عقلك وقلبك، ومحبتك لشعوبك العربية. وأيضًا أيضًا هي تعاليم مقدسة يوجهها للحكام، وهم يتعاملون في المقام الأول مع المبدعين المستنيرين والمفكرين العلماء، ثم مع بقية طوائف شعوبهم. إضافة إلى أنها "اسبوتات" إضاءة يسلطها على كل المدعين فكرا وتدينا وأخلاقا وسلطة، ليكشفهم ويفضح ما يحملونه ويروجونه على أنه عشق خاص، بينما هو زنا واضح صريح.. فهم زناة الوطن والفكر والإبداع والدين.. كذلك يلقي الكاتب. بإهدائه. أكبر بقعة ضوء على أعظم مثال لمثقف مستنير ومبدع مغاير، وما طاله على أيدي هؤلاء المتسلطين الزناة ،وهو المبدع الكبير الرائد في مجاله محمد رجب حافظ.

أهدى السيد حافظ المتعة الفنية لقارئ روايته " لو لم أعشقها" عبر تيمة الحب والعشق، وهي اختيار جيد لسرعة ملامستها للوجدان الإنساني، ولكونها قادرة على استعادة

القارئ لبعض ذكرياته، غير أن الكاتب فيما أعتقد جعلها الوسيلة لا الغاية، ليس لإعادة الذكريات بل لمناقشتها، واتخاذ قرار تجاه تصنيفها. على اعتبار أن الذكريات هي أيضًا حيوات عشناها، فمن باب أولى أن نناقش حياة نعيشها، وأتت غاية الكاتب متوسلة الرواية؛ ليلعب على مستويين في الكتابة، وفي التلقّي، وأيضًا في التوجه: فجعل لكتابته ظاهرا وهو حكاية العشق المحرم بين رجال ونساء الرواية، عبر العلاقات المدنسة بين "سهر" و"حياة" و"الفلبينية" و"فتحي" و"كاظم" و"منقذ" ثم "شدّاد"، فكان ها هنا العشق المحصور المشدود بين قوس الرغبة ووتر الدين والعرف الأخلاقي، وهو الجانب المنقّو في العشق، بينما ظل عشق شهر زاد لحامد الصقر هو العشق الحلال المبارك فيه والمقبول أيضًا وسط هذه الثلة المدنسة من العشاق، ويوازيها في ضعف عشق تهاني لفتحي وعشق وردة لكاظم، لأنه عشق خاضع ذليل يقبل أن يتناوم عن المواجهة والخطيئة، حتى لا يفقد الذات المحبوبة/ فتحي وكاظم، وأما الجانب الخفي فكان تتبع خيط العشق القوي بين فتحي المثقف ومصر، وبين شهر زاد المثقفة والجبل في سوريا، وبين كاظم المثقف حزبيا وأفكاره وإيمانه برئيسه الأسد، وبين رغبة شداد التي تساوي عشقا

خاصا لديه في أن يمحو من ذاكرته وذاكرة عيون الناس أنه كان حافيا فقيرا.

لعل إشارة الكاتب ـ التي قد تمر دون تأمل أوّلي. حين قراءة العنوان خدعة تنتمي للمكر الحلال، الذي يُلقي به الكاتب في إشارة وامضة. قد لا تُلفِت القارئ من أول وهلة. لكنه بالتأكيد سيعود لاسترجاعها وتذكرها، بل وتأملها عقب انتهائه من القراءة، باحثا عن علة التحوُّل في شخصية فتحي، وعن ماهية مصيره، وبالأحرى سيعيده الكاتب لنقطة البداية ليروي ظمأه في البحث عن الأسباب والعلل وربط النتائج بتلك الأسباب.

وهنا سيجعله يلتفت بدقة للعنوان الفرعي(العلامة السابعة والأخيرة) ليدرك رسالة الكاتب التي جعل الرواية كلها مجرد مظروف يحتويها؛ فما كان "عبادة" وهو في حضرة المقوقس إلا ندا لكل ولي صالح من أهل التصوف التقيته في الرواية من قبل، أو أنه معادل موضوعي لهم أو هو أحدهم أيضًا، ولكنه متجسد دائما في صورة ناس الشعوب، ومثقفيها المهضوم حقهم والمبعدين، والذين تم ويتم تجاهلهم؛ لأنهم نواقيس تحذّر ومصابيح ترشد وإشارات توجه كلها للصواب

ويتقيها كل حاكم (فإنني أهاب سوادك وإن اشتد كلامك عليّ ازددت لك هيبة)

لذلك يُذكّر الكاتب كل الحكام فيقول:

(إنّ فيمن خلّفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي وأشد سوادا منى وأفظع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني، وأنا قد وليت وأدبر شبابي.)

هي رسالة إذن لكل حاكم أن بين شعبه مَن هو أفضل موضعا، وأفضل سابقة وعقلا ورأيا يجب أن يحترمه ويثمن فكره وإنتاجه، ويحتفي بآرائه ويسترشد ببعضها، وليس يُنكر هذا فينا نحن سواد الشعوب العربية التي انتظم تاريخها مبدعون متفردون وعلماء نابهون، أخذ عنهم الآخر وأنكرتهم حكومات شعوبهم.

وهكذا كانت العلامة السابعة هي العلة التي يكشفها الكاتب لقارئه، مبينا له" لِمَ أكتب؟ ولمن أكتب؟" فهو يكتب لا ليستعرض عضلاته الفنية. وإن امتلكها فعلا. بل إيمانا منه بأن الكلمة ميثاق شرف يؤتاها المثقف المبدع من منبع مقدس ولغرض مقدس أيضًا، ففي العلامة السابعة أتى عيسى عليه السلام للفلاح وأثني على مقاومته لطغيان السلطة وقبّل فاهه وأشار عليه أن يشارك قصته مع الآخرين ، ليلهمهم كى يفعلوا

الشيء ذاته، مانحا إياه موهبة رواية الحكايا التى ستجعله قادرا على إثارة الضحك والفهم فى جمهوره.

وهكذا أبان السيد حافظ كنه كتاباته لا في هذه الرواية فقط بل في مجمل إنتاجه، كذلك أبان عن مستويات التلقي التي يبتغيها من قارئ عابر فمتذوق ثم قارئ هو مبتغاه الحق قارئ مفكر يُعمل عقله فيما يتلقاه؛ ليحلل الأمر ويعرف أين ومتى يقع الفكر/ العشق، وموضعه بين القوس والوتر، ثم من أو ما اليد التي تطلقه وتمنحه صفة الحلال المحببة أو صفحة الحرام المدنسة.. ويخص الكاتب جوهر رسالته لمواطن. أشار له بالفلاح. صانع الحضارات في مصر وسوريا والعراق. ليعرف أن عشقه لبلاده لا بد وأن يستند لقوة النار المقدسة النابعة من قلبه وعقله، وهنا يُرى العشق حلالا من وجهة نظر بقية الفلاحين المماثلين، بينما يراه الحاكم عشقا مدنسا لأنه مقلق له قد يهدد عرشه بالزوال.

وهكذا كانت العلامة الأخيرة تتمة رسالة الكاتب مشيرا إلى أنها جاءت ممن مضت حياته وولى شبابه وفترت عزيمته بحكم ذلك.. فكانت هذه العلامة الأخيرة بمثابة الوصية.

كذلك يكون التوجه بهذه الرواية/ الدستور توجها ذا اتجاهين متوازيين زمنا ومكانا ومسافة بين الفلاح/ عبادة/ المواطن/ المثقف، وبين كل حاكم ليدرك أن خلف كل "عبادة" عُبّادا مثقفين آخرين.

السيرة الذاتية

فاطمة عبدالله

- خريجة كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية واللغات الشرقية وآدابهما ـ جامعة الإسكندرية.
- حاصلة على دبلوم المعهد العالي للنقد الفني ـ أكاديمية الفنون والآداب.
- عملت باحثًا ميدانيًا للأدب الشعبي بمركز دراسات الفنون الشعبية المصري.
- مخرجًا مساعدًا لعرض الديفيله في افتتاح مكتبة الأسكندرية.
- مارست التدقيق اللغوي وتحرير المقالات بدور النشر المصرية وبمجلة المسرح الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- كانت تعمل معلمة لغة عربية بوزارة التربية والتعليم المصرية، ثم تفرغت للعمل كمسئول قياس جودة تعليم.
- بالإضافة لكونها المشرف العام بالموقع الأليكتروني ودار النشر (كَ تَ بَ).
- شاركت في مؤتمرات ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة، ومؤتمر أسوان الدولي الأول للفنون، ومؤتمر المدينة في الرواية العربية بمكتبة الاسكندرية ـبورقات بحثية وقراءات نقدية.

- عضو مختبر السرديات بمكتبة الأسكندرية، وعضو نوادي أدب قصور الثقافة بالأسكندرية.
- لها مقالات نقدية منشورة بمجلات ودوريات عربية.
- صدر لها كتاب :
  - كتابات بطعم الحنين "قراءة في إبداعات عربية" دار ك ت ب للنشر.٢٠١٩

قيد الطبع:

- المخيلة المكانية في الإبداع العربي. كتاب نقدي.
- بين الخواتيم والتفرد.. قراءة في تجربة الشاعر الليبي المهدي الحمروني.
- نسّاج الجمال محمد إبراهيم طه.

الجنس وجدلية المقدس والمدنس في رواية (لو لم اعشقها)

م. م. زينب نوري هاشم لعيوس – العراق



يمثل السيد حافظ مرحلة مغايره في الكتابة فمنذ بداية سبعينيات القرن الماضي وهو يسعي للتفرد بكل قوته في شتي كتاباته سواء للمسرح أو الرواية أو الشعر أو القصة، فهو يكتب من زاويه مغايره بعقل مراوغ دوما يشاكس الداخل والخارج بمستوي عميق بل بمستويات عده،ما بين الكائن والممكن ما بين الحلم وتشخيص الحلم، سارت كلماته تتوالي وتتوالد منها جملا خاصة وافكاروهي تعد ماركة مسجله باسمه.

واما العناوين فحدث ولا حرج، إذا يمثل العنوان لدي السيد حافظ مدينة أخرى بكامل جلالها وسط الغرابة والغموض فهو لديه القدرة علي استنبات العنوان من عمق العمل ومن أبعد الافاق المتوقعة والغيرمتوقعة، كما في رواية (لو لم اعشقها) فالعنوان مستنبت من عمق الرواية والتي تدور إحداثها حول الجنس والحب والعلاقات الغير شرعية بين الرجل والمرأة.

وتعتبر لعبة الجنس لديه لعبة مختلفة فلا هو بالعادي المألوف ولا هو بالفج البارز، إنما يمثل الجنس النابع من القلب إلى العقل ثم تأتي مرحلة الجسد في الدرجة الثالثة، فهو يتلمس الغير مألوف من المألوف ويستنطق الغير عادي من العادي عن طريق فكره التجريبي القديم المتجدد دوماً.

إذا يمثل الفعل الجنسي وموضوعة الحب المحور الاثير للرواية و يثير من خلال الشخصيات ما هو مسكوت عنه في العلاقة الشائكة والمعقدة ما بين الرجل والمرأة، إذا تتجلى طبيعة تلك العلاقة من خلال نمطين رئيسين هما :

١-علاقة حب+جنس في إطار العلاقة المشروعة (الزواج)..

المتمثلة في علاقة فتحي وتهاني كما جاء في الرواية إذا دار الحوار بين فتحي رضوان وزوجته تهاني وهو يبين لها حبه لها ومده تعلقه بها بالمقابل مده شغفه بحب النساء الأخريات..

"فتحي :انا احبك يا تهاني ولكن قلبي يفيض حباً يكفي نساء كثراً، ولكني حتى الان لم أفهم سر الخيانة في العشق وأؤكد على أن عشقك فوق الطبيعية بلا نزاع"

٢-علاقة حب +جنس في إطار علاقة غير مشروعة وتتدخل في قالب الخيانة وتتجسد في علاقة فتحي وسهر، فتحي وحياة، مارينا وكاظم.

فمثلاً علاقة فتحي رضوان بحياة، إذ دار الحوار بينهما على نحو الاتي

"حياة :انت متزوج تعشق امرأة متزوجة وتغازل امرأة أخرى ثالثة.

فتحي رضوان :من هي الثالثة.

حياة : أنا "

اما في مونولوج سهر مثلاً تعرض ما وصلت اليه من العلاقات غير المشروعة فتقول :"ماذا جرى يابنت سالم؟ هل جننتِ؟ ماذا ترغبين ام تكوني مثل الأجانب؟ ان تريدي كل رجال العالم تحت قدميك وليس في الجبل والإمارات بل في كل بلاد العالم.... الحرام يهزمنا ويجرنا إلى وتد غير ذي زرع أو الجسد الذي يسيطر برغباته على الروح"

وحوار كاظم مع ليزا :

"كاظم :الخمر محرم.

ليزا: أعلم أن الخمر حرام عند المسلمين.

كاظم :نعم.

ليزا: كيف تعمل علاقة معي ولا تخاف الله وتخاف الله من كأس خمر؟.

كاظم :يا ليزا نحن نعيش ازدواجية وأحياناً ثلاثة اقنعة، لا تحاسبني يكفي ان الله سيحاسبني ولا اعرف ماذا سأقول له يوم الحساب.
ليزا :قل له انك تحب ليزا وتركت العالم من أجلها.
كاظم :نعم سأقول. "
اذ ان الحوار بين ان كاظم يرفض شرب الخمر لأنه محرم ومدنس من قبل المعتقدات والأوامر الدينية، بينما يمارس الجنس والذي يعتبر محرم أيضًا في معتقد الدين، اذن المقدس والمدنس كتحريم الإباحية والجنس نسبي إلى الجمهور وإلى زمانه فالقالب السوي للممارسة بين فرد من جنس واخر يكون مقبولاً عند البعض ومحظوراً عند الآخرين، إذ يتبلور الهدف الأساسي والغاية من جدلية المقدس والمدنس على وفق المنظور الاجتماعي ومستوى الافراد والجماعة سواء كان ذلك المقدس دينياً ام اجتماعياً أو اي رمز من الرموز التي تتجلى في منظومة المقدس والمدنس.
ويتضح أيضًا من خلال الحوارات السابقة أن الجنس نشاط محرم تحيطه الشبهات من كل جانب، ويمثل عنصر مهم من عناصر المؤثرة في الحياة الإنسانية والتي تتدرج في دائرة التحريم (التابو) الثلاثي لجدلية المقدس والمدنس الدين والسلطة والجنس، إذ يعد من غير الممكن الحديث عن إباحة

العلاقات بين الرجل والمرأة ولا يجب الحديث عن التحريم، فالحظر في الأمور الجنسية هو فرض ورقابة اجتماعية تدرج ضمن المدنس لكن السيد حافظ في طرحه يسعى إلى خوض في اعماق تلك العلاقة ويجعل بطلاته (حياة، سهر، ليزا) يمارسن حريتهن المطلقة وفق متطلباتهن الجسدية والفكرية، وإذا كانت حرية غير مشروعة، وهي تبحث عن اللذة كمنظومة مادية بعيداً عن مفهوم الديني فأصبحت اللذة لديها مفهومها مقدساً واي تفكير ينتزع تلك القداسة من مادته يعد تفكيراً ظلامياً وخارجا عن روح العصر.

ويظهر ذلك في حوار حياة مع فتحي

"حياة: هذا الزمن النساء لا تكتفي برجل واحد ولا الرجل لا يكتف بامرأة واحدة.

فتحي :هذا فوضى مشاعر وقيم.

حياة :سمها ما شئت يا فتحي رضوان لكنه الواقع رجل للحب ورجل للزواج ورجل للصداقة البريئة ورجل للجنس.

حياة :هل العشق سوء ؟.

فتحي :نعم العشق سوء.

حياة: لكننا نسعى به لأن العشق اختراق الروح ورغبة الجسد والجسد حرام.... "

ويلاحظ من خلال العرض أن النص يمارس حريته التي فقدها في المجتمع، ومواجهة ماهو مسكوت عنه في مجتمعنا وكسر التابو المفروض عليها والتحرر من حيائها وخوفها، فتندس بعض ما قدس في نظر المجتمع والسلطة الذكورية المجتمعية بالمقابل المحافظة على بعض المقدسات التي اعلت من شأنها وحافظت عليها كحرمة الخمر وغيرها من الأمور التي تم طرحها مقدم ضمنيا في خطاب الجنس، ويعتبر الجنس وكما قال فرويد هو نقطة ضعف البشر وبأنه المحرك الأساسي للكون.

"فتحي :هل اللقاء مع حياة خطيئة؟ كيف سقطت ضعيفاً أمام شهوتي؟ هل المرأة الجميلة شهوة؟ وهل الشهوة جريمة؟ وهل الجنس جريمة؟ وهل الزنا جريمة؟ كل من حولي علامات استفهام ما معنى الخطيئة؟ وما هي الجريمة؟..."

وكذلك يطرح السيد حافظ مسائلاته التأريخية في شأن امكان صياغة خطاب المرأة المنتج في مجتمع والذي يعبر عنه عن طريق شبكة معقدة من العلاقات، ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي علي الهيمنة والأخطار معاً وبالتالي فهو إنتاج مراقب ومنتقي ومعاد توزيعه عبر نماذج مكرره من الحياة وما يوازيها من الرواية بمكر وتمكن ومرونة، خاصة عندما يلتقط المؤلف المرأة كخيط ينسج عبره النسيج الكامل لإطاره

الدرامي ومابين الحدوث المحتمل والاخفاء والمادية الثقيلة المرعبة.
اذ تدور الحكاية الأم (الحب والجنس) وخلفها سيل من الحكايات الفرعية (السلطة والسياسية والوطن ووضع المثقف في الوطن العربي...)، عبر شرعية مفقودة وغير شرعية مقصودة، وذلك عبر تلاقي الاضداد واقتحام المرأة كفعل حضاري، وتمثل النساء وسط القهر والتهميش وتهكم من خطاب المرأة الجسدي عندما يتم تصديره لمواجهه السلطة الذكورية.
لكن مع السيد حافظ نحن أمام قوة الصمت ذاته صمت ابلغ من كل كلام ولفرط تعلق المؤلف بقضايا المرأة أكثر من عمل لديه عنوانه باسم المرأة، فالمؤلف لديه ولع باقتحام العوالم الخفية للمرأة عبر خلخله المألوف وغير المألوف في بساطة ويسر عبر موضوعاته التي تحاكي وتعالج مشاكل المرأة في العصر الحديث، كتدنيس جسدها ذاك الجسد أمانة الله لدى الإنسان وجعله مصدراثارة وأيقونة لجذب الإعلانات والحصول على الشهرة والمنصب وتحول العلاقة الجنسية المقدسة التي هي مصدر استمرار البشرية إلى فعل فوضوي عاري مجرد من المشاعر والحب والمودة.

السيرة الذاتية

الاسم : زينب نوري هاشم العيوس الاسدي
اللقب العلمي : مدرس مساعد.
الجامعة: جامعة البصرة.
الكلية: الفنون الجميلة.
البلد: العراق.
البريد الالكتروني : ALASEDYA369@GMAIL.COM
الهاتف: ٠٧٨٠٦٥٦٠٣٠٤
المؤهلات العلمية:

- **تخرجت من جامعة البصرة – كلية الفنون الجميلة _قسم الفنون المسرحية _ قسم التمثيل ٢٠١٢.**
- **حصلت على شهادة الماجستير ادب ونقد وكان عنوان دراستي المسرح الحسيني (نصوص المسرح الحسيني بين الشعائرية وخصائص البنية الدرامية) ٢٠١٧.**
- **درست في مدارس الكفيل التابعة للعتبة العباسية المقدسة فرع البصرة .**

الخبرة العملية:

- **شاركت في الندوة العلمية الدولية الافتراضية لجامعة البصرة في الورقة البحثية (معيقات التعليم الالكتروني).**
- **شاركت في المؤتمر العلمي الدولي الاول في الدراسات التربوية والنفسية لجامعة سومر كلية التربية الاساسية في البحث الموسوم(بناء استراتيجية مقترحة لدرس التربية الفنية في المدارس المتوسطة (دليل المدرس)).**
- **شاركت في المؤتمر الافتراضي (مؤتمر البحوث المسرحية) والذي عقده المركز الثقافي ضمن فعاليات (ايام البصرة المسرحية) بالبحث الموسوم (التوثيق المسرحي بين حضور المنجز وغيابه (المسرح في البصرة اختياراً)).**

- شاركت في الندوة العلمية في جامعة الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية بعنوان (كيف نحمي ابنائنا وطلابنا نفسياً في جائحة كورنا).
- شاركت بحث الموسوم (الرثاء النسوي و تمثلاته في النص المسرحي العربي المعاصر مسرحية الخنساء اختياراً) جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة مجلة الاكاديمي .
- في مقال علمي منشور في مجلة الروضة الحسينية بعنوان (البنية الدرامية في الشعائر الحسينية).
- شاركت مقال منشور في مجلة صدى الروضتين بعنوان (العدالة الاسرية وأثارها في التنشئة الاجتماعية).
- مقال في مجلة الاداب والفنون (اثر التوثيق في حفظ النشاط المسرحي .)
- شاركت في مهرجان روح النبوة في بحث عن سيدة فاطمة الزهراء (ع).
- شاركت عمل مسرحي مسرحية (يوم الاحد يكلف خمس بيزات) في مهرجان النسوي الاكاديمي الاول بجامعة البصرة وحصل العمل على درع التميز .
- شاركت في عمل مسرحي مسرحية (هملت) وقد عرضت في يوم الجامعة على خشبة مسرح كلية الفنون الجميلة.
- شاركت بحث منشور في مجلة ينابيع بعنوان(برمجة وسائل الاعلام واثره في سلوك الفرد والمجتمع) الصادرة من العتبة العلوية .
- عملت في وكالة الميزان الاخبارية.
- عملت في جريدة الاضواء
- عملت في اذاعة الرشيد .
- عملت في مجلة لوتس
- شاركت العديد من البحوث المشتركة والورش والندوات المحلية والدولية كمحاضرة ومشتركة .
- عضو نقابة الفنانين.

- **عضو البيت الصحافي في البصرة**
- **عضو مؤسسة سينما للجميع.**
- **عضو مؤسسة انو الثقافية.**
- **عضو رابطة لوتس الثقافية النسوية.**
- **عضو مؤسسة بدن اكاديمي .**

التدريب:

- **المؤسسة العراقية لرجال الثقافة والاعلام**
- **دورة في الكتابة الاحترافية للخبر الصحفي مركز التدريب الاعلامي والتنمية**
- **دورة تدريبية بعنوان (الديالوج والمونولوج في النص المسرحي) مركز الادارة العامة للتعليم بمنطقة الرياض إدارة النشاط اطلابي.**
- **دورة تدريبة بعنوان (تصميم بيئة تعلم محفزة باستخدام المواد التعليمة) المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة ام القرى .**
- **ورشة عمل بعنوان (الاحتفالية وتحديات العصر للأستاذ الدكتور عبد الكريم برشيد) ضمن الورش المسرحية الرقمية التي نظمها مسرح هواة الخشبة العماني .**
- **ورشة علمية بعنوان (الساعة البويولجية) برعاية المنظمة الدولية لحماية حقوق الإنسان اوكرنيا –العراق .**
- **ورشة بعنوان (الفلم التنموي الاجتماعي) جامعة البصرة .**
- **دورة في كتبة التقرير الصحفي الاحترافي.**

عن الحب وأشياء أخرى

بقلم: أ. بسنت حسين



يتطرق الأديب الكبير/ السيد حافظ في رواية "لو لم أعشقها" لفضح عالمين متوازين طوال صفحات الرواية، وهما: الشكل التقليدي للكتابة والحب في حالاته المختلفة بين المقدس والمدنس.

فمع الإهداء والإهداء الخاص للرواية وجدنا "مفتاح الخريطة" لحل لغز الرواية التي لا تشبه في الشكل الروايات الأخرى، فقد قدم لروايته وشكلها المبتكر إفتتاحيه تليق بأحداثها ومضمونها الصريح مع النفس ومع تابوهات مجتمعاتنا العربية وهى الجنس والسياسة والدين. فمن خلال أحداث الرواية تجد أن ثالثوث التابوهات الثلاثة المذكورة يلاحقك فتجد نفسك في فسحة من الترويح ومن إعادة إعمال العقل حول ملفات قد ظننتها خاطئة أو أنها همّ شخصي لا تجروء الإفصاح عنه.

فالتجديد في شكل الكتابة قد فعله رائد التجديد في القصة القصيرة /محمد حافظ رجب قد لاقى الكثير من النقد طيلة حياته لخروجه عن الكتابة المعتادة وتحليقه بالكلمات نحو مدرسة

أدبية أسسها رغم أنف الحاقدين وهكذا يفعل أديبنا في تلك الرواية.

تتكون الرواية من ثلاثين علامة لتشبه كتاب مقدس في حد ذاتها، لا تخلو من الآيات القرآنية والتي غالبًا ما تتطابق أجزاءها مع رقم" فصل" الرواية، ويبدأ أغلب فصولها بلفظ "أكثرهم" كإنعكاس لأحداث هذه الرواية على واقعنا وعلى أكثر من خصهم الأديب في الإهداء. لا تقف الرواية عند هذا الحد بل يشمل كل جزء على ثلاثة محاور تتفرع من خلالها المفاهيم التي يود الكاتب أن نعمل العقل حولها:

* **الروح:** وهى متن الحكي وما يدور حوله سياق كل فصل من فصول الرواية وقد استشهد فيه بآراء الكثير من الفلاسفة والشعراء وبالبحث عن أصل الكلمات في المعاجم ومن الأثر.
* **الاقتباس:** كان للرواية النصيب الأكبر من الاقتباس لمقاطع يتماشى مضمونها مع الأحداث في كل فصل، فقد استشهد برواية عالمية كثيرة تبرهن أحداث قد فصل.
* **لولم أعشقها:** الرواية التي نحن بصددها وتطرح الكثير من التساؤلات سنستعرضها سويًا.

نجد أن كل فصل/علامة يتمضن الثلاثة أجزاء عدا الفصل الثامن بعنوان (أكثرهم يجهلون) فلا نجد فيه المفتتح "روح"

وتتضمن أحداثه الإصرار على الخيانة، وكأن الروح لا تجتمع مع الخيانة فالروح هى أصل كل شيء طيب وإن وقع في الخطأ عن جهل غير متعمد. كما تشترك أغلب نهايات الفصول بالآية الشريفة:"ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس" والتي غابت مع بداية الفصل الحادي عشر (وأكثرهم مشركون) والتي ظهرت فيها شخصية شهرزاد وزوجها حامد الصقر وهما الشخصيتان السويتان في الرواية، مما يؤكد أننا أمام رواية محكمة، لكل كلمة بها لها تأويل وإشارة لابد من فهمها.

تتمحور الشخصيات بين الحب المقدس والمدنس ونتطرق لفهم كل نوع من خلال مسار الشخصيات.

فالشخصية المحورية من وجهة نظري هو فتحي رضوان المصري المغترب التائه من ذاته كما قال عن نفسه "... أنا خمسة أشخاص ولست شخصًا واحدًا..." و ص٧٧ "....نظرت إلى نفسي وجدتني خمس شخصيات الأول أوروبى الملبس والقبعة الأوربية والثانى شرقي الفكر يرتدي عمامة والثالث ناسك في الصحراء حافي القدمين ويمسك عكازاً والرابع يقف على أبواب الجنة ينتظر العفو ليدخل والخامس بدائي يعيش في غابات فوق شجرة مع الحيوانات..." ..

تتلخص أزمة فتحي في كلمة واحدة وهى الهوية وليست الغربة أو الهوة بين الثقافات، فقد فر من وطنه مصر لدبي كي يحظى بمستقبل مادي أفضل وحرية في التعبير ولإثبات براعته في الكتابة وما أن وصل حتى فُتن بالأضواء والحياة المترفة والنساء من مختلف الجنسيات فحاد عن مساره (الذي لم يحدده من البداية ولكنه نوع من الهروب من واقعه) وحاول أن يجد نفسه من خلال نزوات نسائية متعددة سواء مع "سهر" أو "حياة" ويعود في المساء حاملًا خطاياه فيغتسل ويندم على معصيته بين يدي تهاني زوجته المصرية الأصيلة التى تتغافل كل ما يدور حولها حتى تحظى بأسرة مستقرة ولكنها فشلت في النهاية.

نجد أن فتحى وعلى الرغم من خطاياه إلا أنه أحب وطنه مصر أكثر من ذاته، فالتيه الذي يعيشه فتحي بسبب إختلاف مصر التي قرأ عنها وعن حضارتها وعن مصر الوطن الذي فر منه، فنجد حديثه عن الوطن قد تجلى من خلال كتاب شخصية مصر لجمال حمدان ص ٢٤٨

بمعني ثورة علي نفسها أولاً ، وعلي نفسيتها ثانيﻠ "إن ما تحتاجه مصر أساسﻠ

إنما هي ثورة نفسية، ،أي تغيير جذري في العقلية والمثل وأيديولوجية الحياة قبل أي تغيير حقيقي في حياتها وكيانها

ومصيرها.. ثورة في الشخصية المصرية وعلي الشخصية المصرية!!

وسبب تذبذب شخصيته التي تارة تميل للصوفية وتارة أخرى نجدها شهوانية لا تتحمس إلا بممارسة الزنا، وقد برر مواقفه في أكثر من موضع منها ص١٣٣ ".. إن دخولي في اللحظات العاطفية والإستغراق مع علاقة نسائية هو مجرد محاولة للهروب من الضغط اليومي ومواجهة نفسي أني فشلت فى النهوض بالمجتمع نعم فشلت فى إيقاظ الوعى الجمعى أو الفردى .. هل الكُتاب أنبياء وعي .. وهل الوعي مكتسب أمفطري هل العقول العربية جيناتها ضعيفة .."؟!

ونجد إصراره على التخلص من الخطيئة ملح عند قوله ص٥٨ "..لماذا نتهيأ للخطيئة والحرام أكثر من تهيئنا للحلال والفضيلة ؟"

وص٧٥ "........هل المعصية صعب علاجها هل تظن أن الله لاينظر اليك وأنت تعلم من فنى عمره في المعصية غاب عن كل شىء فالله منحك نور العقل ونور القلب ونور الروح فأنت من الأثرياء جداً ..لم يحجب الله عنك شيئ .." وأنت لا تستحي من الله

فتحي الشخص الذي خسر نفسه قبل أن يخسر الوظيفة والأسرة والوطن أو أنه أحب مصر أكثر من ذاته فأنشغل

بهمومها وحمّل نفسه عبء إصلاح الكون ونسى أن أولى خطوات الإصلاح هى الذات وأنه ثقته لن تأتي من خلال تأوهات حياة أو إلحاح سهر فالنزوات هى لحظات الإنتشاء بذاته من خلال إثبات رجولته والتي كان من الممكن أن يكتفي بزوجته تهاني لكن رغبته الملحة أن يكون مرغوبًا ليبقى على قيد الحياة هى ذاتها الدنس الذي يلاحقه ولا يستطيع أن يتخلص منه.

كاظم وهو شخص يرى في الهروب فرصة لحياة جديدة ليبدأ في مكان لا يعرف أحدًا فيه ولا يلحظ أحد فشله فحب وردة له لا يستطيع أن يمحي رؤيته المتدنية لذاته وتحقيره من شأنه وفشله في حب سهر تلميذته. فالهروب مع ليزا التي لا يحبها إلى باريس ما هى إلا فرصته للخلاص من الأذى المستمر لذاته ومحاولة لطي صفحة الماضي وإن خسر وظيفته وإن عاش حياة كد، فالرفاهية بالنسبة له التخلص من كل الأعباء والتحرر من مقارنته بأمثاله. فنجد أن رؤيته للحب المدنس من خلال علاقته ب ليزا مختلفة تمامًا عن نظرة فتحى وهذا بسبب الدوافع النفسية لكل منهما.

منقذ الزوج الخائف من فضح زوجته الخائنة سهر بعد أن تأكد من خيانتها فهو يحتاج لمنقذ حقيقي ليقوى على مواجهة العالم ونفسه وزوجته الخائنة فالحائل بينه وبين رغبته في

الانتقام هو قول الناس عنه كزوج خانته زوجته الجميلة الفاتنة، فنجد أنه استعاض عن المواجهة بعلاقته مع مارينا الخادمة أثناء سفر زوجته للشام، فثقته بذاته وبرجولته قد عادت عندما شعر بالرغبة من خادمة لا يحبها فالثأر من سهر قد تبدل لخيانة مضادة تداوي أوجاعه وتعوض نفسه عن جرح زوجته له مرة بالتجاهل ومرة بالخيانة.

أما راغب فهو مثال الأخ الحنون والذي حاول أن يعوض "وردة" ما فعله ب "زهرة" فالأسماء هنا لها دلالة وبالفعل موقفه تجاه أخته التي حاول أن يؤمن حياتها من جديد ويوفر لها استثمار وعمل وينتقل للعيش معها ليربي ابنها بعد هروب كاظم زوجها هو موقف رجولي وبه نوع من الخلاص لما عاشه مع زهرة. فنستطيع القول أن راغب قد تعلم الدرس جيدًا وأن "كله سلف ودين" فما فعله بزهرة قد تكرر مع وردة.

شداد الثري العربي الذي يستطيع أن يشتري كل شيء القيم والبشر، يعد الشر المطلق فرغبته في الانتقام من طفولته القاسية حاول أن يذيقها لكل من عرفه سواء لشريكه حامد أو لراغب الذي يحاول استغلاله أو سهر التي سيسلبها شرفها في مقابل المال، هكذا يريد أن يتحكم بالجميع أن يجعل كل شخص عبدًا له، لا يعرف الحب ولا يفرق بين حب مقدس أو مدنس ففي اللحظة التي اشترى فيها هدية لزوجته كانت بداية

إغواء لسهر بالخاتم باهظ الثمن فهو لا يحبها بل يريد المرأة التي اشتهاها جميع الرجال ليعلن انتصاره وتعويضه للطفل حافي القدمين الذي عانى كثيرًا ليصبح ما هو عليه الآن، فشعوره بالذنب ليس بسبب علاقته بسهر أو بغيرها بل هو شعور قديم بالعجز يحاول أن يخفيه من خلال امتلاكه لكل شيء.

حامد الصقر الشخصية السوية الوحيدة في الشخصيات رغم افتقاره لوريث شرعي، فقد تزوج من حبيبته وابنة عمه شهرزاد بعد عشرين عامًا من سفره لفانزويلا وبعد أن عاد تزوجها وسافرا لدبي وأسس مدرسته / مشروعه الخاص.

نجد أنه شخص مكافح ومتزن في اختياراته وقراراته لم تغيره الغربة أو يغريه المال، فنجده على عكس منقذ لم يلتفت لأي امرأة أخرى في غياب شهرزاد.

شهرزاد هى المرأة الوحيدة التي استطاعت الفرار من سياف شهريار والوحيدة الصادقة والرزينة في كل الشخصيات النسائية في الرواية، فهى كما وصفها الكاتب ص٩٤ ".....حين تتزوج امرأة من رجل أقل ثقافة منها عليها أن تتوآءم وتتنازل وتعيش يوماً بيوم ولا تجادله كثيراً حتى لا تفقده لأن الحب يجعل المحب يتنازل عن أشياء كثيرة من أجل حبه للأخر..."

طبيعة شهرزاد لم تتغير بالثراء ولم يلوثها الحقد لعدم إنجابها وتتقبل النقد أمامها (من ميثاء) أو من وراءها بنفس راضية فهى من "النساء البناء وليس الهلاك" كما ذكر الكاتب، كما أنها تحاول أن تكون بذرة الإصلاح لكل من حولها: سهر، وردة، فقراء الشام". أما عن علاقتها بحامد فأساسها التفاهم إلى جانب المودة والرحمة لتتحول علاقتهما للحب المقدس وإن انتقص لكثير من أساسيات العلاقة الزوجية في مفهوم بلادنا العربية، فهى لم تنجب ورغم ذلك حافظت على زوجها، طبيعتها المبادرة والتي لا تتوائم من شخصية حامد إلا أنه يستمع دومًا لرأيها مما يؤكد أن أساس الحب المقدس هو: الفهم، الإحتواء والتقدير إلى جانب المودة والرحمة.

أما عن سهر فهى أنانية لا تعشق إلا ذاتها والمال الذي يجعلها تعيش عيشة مترفة وإن خسرت إحترامها لذاتها، لا تعترف بالقيم ولا تنشغل بالإيمانيات فقد كان رضى شهرزاد عنها أهم من خوفها وندمها على ما فعلت مع فتحي أو شداد، فمبررات الخطيئة لديها أكبر بكثير من إحساسها بالذنب فهى ترى أنها زوجة تعيسة تعيش مع منقذ الفقير البخيل الذي لم يقدر جمالها بالمال كما فعل شداد. فحالة سهر أشبه بالحب المرضي لكنه حب لذاتها، وحتى فتحى عندما علمت بخيانته لها مع

حياة لم تتحدث عنه طوال حديثهما بل أكتفت بكلمات الإطراء التي امتدحتها بها حياة.

حياة هى مثال لاضطراب الشخصية والهوة بين الثقافات، فهى تريد أن تكون مثال للمرأة العصرية التي لا تلتفت للقيم وفي ذات الوقت تعاود الإتصال بفتحي كلما غلبها الشوق، فهى كالحياة متغيرة وغير مستقرة.

تهاني ووردة مثال للزوجة المتفانية المكبلة بهم الأطفال وإن غادر الأزواج، لكن التفاني في العطاء دون المقابل والتغافل عن الخيانة لا يقيم العلاقة فالاحتواء والمصارحة اللاتي هربن منها كانت واجبة لتبقي العلاقة.

يقولون أن العرب عاطفيون لكنها ليست الحقيقة فنحن لم نفهم ذواتنا أو نقدرها حتى نتهيأ للحب، ولسنا عمليين للدرجة التي تجعلنا ننسى العواطف ونركز أكثر على إنتاجيتنا. رؤيتنا للجنس كونه خطيئة لم يمنع الوقوع فيها فكل ممنوع مرغوب، لكن جعل وهم الإحساس به أنه حب وهو لم يرتق لهذه المكانة. فالحب المقدس أكبر من الشهوة والتي غالبًا ما ينطفأ ليهبها سريعًا كما حدث في علاقة فتحي بتهاني وعلاقة كاظم بوردة.

لا نستطيع أن ندرك الحب ونحن في تيه من أنفسنا، فمع عودة فتحي لمصر وإنتهاء علاقاته ب سهر وحياة تاه بالفعل بسبب غياب "مسكنات" / نزواته.

فدوافع الحب المدنس وهو "أكثر" حالات الرواية ليظل الحب المقدس كطريق الحق لا يسلكه إلا القليل ويظل السؤال مطروحًا: لو لم أعشقها، فهل سيتغير مصير فتحي وكذلك باقي أبطال الرواية ؟ فالحب هو المحرك الأساسي للأحداث وإن تغيرت دوافعه.

السيرة الذاتية

أ. بسنت حسين كاتبة مصرية

صدر لها عدد من الكتب :

- أغنية لم تغنها داليدا دار فابريكا ٢٠١٤
- صناع الإسكندرية منحة المملكة المتحدة بالتعاون مع إيس ألكس٢٠١٦
- سوف أشبه جدتي متوالية قصصية ط١ دار روافد ٢٠١٨ ط٢ دار النخبة ٢٠١٨
- كتاب الأغاني (دراسة عن الأغنية المصرية من ١٩٠١ إلى ٢٠١٧) ط١ دار روافد ٢٠١٨ ط٢ دار النخبة ٢٠١٨
- كتاب ولاد طنط فكيهة (تحت الطبع)
- الجوائز :

المركز الخامس في مسابقة القصة القصيرة عام ٢٠١٢ تحت إشراف وزارة الثقافة المصرية.

لو لم اعشقها ... وذاك الكاتب المدهش ..!

بقلم د. محمود عبدالواحد عوضين
وكيل وزارة الثقافة الأسبق



لو لم أعشقها .. العلامة السابقة والأخيرة، رواية ، يختم بها الكاتب السيد حافظ سباعيته التى كتبها خلال العقد الأخير: قهوة ساده، كابتشينو، شاى أخضر، شاى بالياسمين، كل من عليها خان ، حتى يطمئن قلبي ، ما أنا بكاتب ، لو لم أعشقها. ولا يستقيم الامر ، حين نتصدي لهذة الرواية ، إذا تم ذلك بمعزل عن المنظور العام للكاتب وتجربته الإبداعية . فمنذ شبابه الباكر ، دلف السيد حافظ إلى ساحه الإبداع ، وأصبح له فيها موطئ قدم ، ورأس جسر، حينما أحرز الفوز بجوائز فى التأليف والإخراج المسرحى فى مطلع السبعينيات من القرن الماضي، ثم إنطلاقه فى بلاط صاحبة الجلالة ، والإنتماء لكيانات نقابية معينة بالشأن الثقافى ، وعمل فى مؤسسات

مرموقة ، تضطلع بالتنمية الثقافية ، وصناعة الوعى ، فكان حضورة قويًا وملموسًا على الساحة.

وفضلاً عن ذلك، كان كاتبنا ، جماع مكثف للكاتب المسرحى، والمبدع الروائي ، والفنان الخلاق .

لم ينفصل عن مجتمعه الذي ارتحل معه ، أينما ذهب ، لكنه لم يكن يمشي على الأرض وحسب ، بل حلق فى آفاق علا ، يطل منها على الإنسانية الرحبة ، فيجعل من عالمه المتخيل ، معادلًا موضوعيًا ، ومصلحًا اجتماعيًا ، لواقع يسعى إلى تغييره ، ويحل بديلاً له الواقع الذي يبتغيه ، وحين غادر وطنه ، ضاربًا فى أرض الله ، اتخذ من إبداعه "شراعًا" للإبحار نحو القيم والمثل العليا ، وحرية الإنسان ، وغزل كتاباته بخيوط حريرية ، من التراث والتاريخ والفلسفة ، وعلوم الإنسان ، فى ديناميكة مدهشة ، مشتبكًا من خلالها مع هموم البشر ، وقضاياهم الحياتية ، لينتشلهم من وهدة التهميش والضياع والحرمان. وفى كل ذلك كان "المحرض" الساعى نحو "تثوير الإبداع" كى يكون أداة "مشروعة" للرفض والسخط والاحتجاج، على كل ما يشوه إنسانية الإنسان ، ويهدم كرامة الإنسان ، كيفما تكون الكلمة سلاحًا للتغيير،

واستنفاذًا للواقع من وحل السفاهة والتفاهة، وتطهيره من الادرات ، وظلم الإنسان للإنسان .

دراسته للفلسفة ، كانت نبراسه نحو التأمل ، فتراه كاتبًا ساخطًا ليس بهدام ، وغاضبًا دوئما عداء ، وناقدًا لا يقترف إثم التضليل والبهتان ، هو فقط ، كاتب بمداد من ضمير ، خرج من ذاته الخاصة ، إلى الذات العامة ، ذات المجموع ، مستشرفًا قول أفلاطون "مواطن حر فى وطن حر"

تجربته الإبداعية ثرية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، وغنية بفيض من الخلق والإبداع ، تنقل فيها برشاقة ، من خلال التراسل بين الأجناس الأدبية ، ويصعب على الناقد يؤطر فى رؤي رومانسية وفقط ، فقط استطاع أن يرتقي بالرومانسية ، وينزل بها من عليائها إلى أرض "الواقعية"

استغرقه المسرح ، واستلبه حتى النخاع ، وغاص فيه حتى "أرنبة أنفه" ، فكتب للمسرح ، ونظر للمسرح ، وأخرجه للمسرح ، وأسس لنفسه مسرحًا خاصًا على خريطة الإبداع، فكان مسرحًا داخل المسرح .. مسرح الحياه التى تعيشه ، متوسلا بمسرحه لخلق المسرح الذي نبتغيه "وما الدنيا إلا مسرح كبير"

كتب المسرح للكبار والصغار، وعبر إنتاجه المسرحى الغزير ، خرج من شرنقة النص ، إلى منصة العرض ، تلك الخشبة الفسيحة ، فى مسارح مصر والوطن العربى .

فقد عرضت نصوصه المسرحية ، من إخراج عدد من كبار المخرجين، منهم محمود الألفى وأحمد عبد الحليم وعبد الرحمن الشافعى ومجدى مجاهد وغيرهم ، كما تم عرض وإخراج عدد من مسرحياته فى العراق والكويت وتونس والجزائر .

فى مصر كان حضورة قويًا على مسارح الثقافة الجماهيرية، من خلال بيوت وقصور الثقافة ، حيث شهدت عرض العديد من مسرحياته. ولم يكتف بالتأليف المسرحي بل مارس الإخراج ، لنصوص مسرحية، كانت مادتها لكتاب وشعراء كبار، أمثال محمود دياب (فى عرض لشباب الجامعه) وفى عروض أخرى للأطفال ، قدم أشعار صلاح عبد الصبور ، محمود درويش ، فؤاد حداد ، عبد الرحمن الأبنودى ، سيد حجاب وكان منفتحًا على الأدب العالمى ، فقدم بعضًا من المسرحيات المترجمة ولأنه متمرد على ما هو معتاد ، ويهوي الخروج على المألوف ، فقد اقتحم عرين التجريب، ليقوم بالتفكيك وإعادة "التركيب" متشحًا برداء الرواد ، وجروح

المستكشفين لعوالم جديدة ، آمن بالعمل مع الهواة ، لتخريج أجيال تنشر المستقبلية والتجديد ، فأسس جماعات تجريبية فى المسرح ، منها فرقة الصعاليك ، وفرقة ألف باء مسرح ، وجماعة الإجتياز وجماعة المسرح الطليعي التى قدمت فى أكثر من مائة ليلة، عروضاً لمسرحيه "أه يا وطن" عام ١٩٧٣ ، من أشعار سيد حجاب ، ومجدى نجيب، وعبدالرحمن الأبنودى ، وفؤاد حداد .

نالت أعماله، اهتمام وتقدير الكتاب والنقاد المصريين والعرب، فتناولوها بدراسات نقدية ووسائل علمية ، ونشرت فى صحف ومجلات عربية ، كما ترجمت بعض أعماله فى الولايات المتحده الأمريكية ، والمملكة المتحدة.

ومن المسرح، معبده المقدس ، ننتقل إلى العالم الروائي للسيد حافظ ، الزاخر بالعطاء ، نقتطف منه رواية " لو لم أعشقها .... العلامه السابعة والأخيرة ، من سباعيته التى كتبها خلال العقد الثانى من القرن الواحد والعشرين . ولأن المسرح استولى على كيانه الإبداعى ، فقد تلبسه أسلوب المسرح ، حيث يكتب الرواية فى "مشاهد" متتابعه تتداعى إلى ذهن المتلقى فى حيويه ، ومعايشه تبعث على الإحساس بالزمان والمكان ، والشخوص والأحداث ، فى صور فنية ، وكنايات

واستعارات لغوية ، تؤكد المعنى ، وتترى المبنى ، فى صرح فنى بهيج ، وهذا ما تقف عليه فى الرواية الأخيرة من المتوالية الروائية "السباعية" للسيد حافظ ، ففيها نتابع علامات ثلاثون، تعرض لأفراد المجتمع ، وَأَكثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ ، وَأَكثَرُهُم لاَ يَعقِلُون ،وَأَكثَرُهُمُ الكَافِرُونَ ،وَأَكثَرُهُم لِلحَقِّ كَارِهُونَ ، وَأَكثَرُهُم كَاذِبُونَ ، بَل أَكثَرُهُم لاَ يُؤمِنُونَ ، وَلَكِنَّ أَكثَرَهُم لاَ يَعلَمُونَ ، وَلَكِنَّ أَكثَرَهُم يَجهَلُونَ ،وَلاَ تَجِدُ أَكثَرَهُم شَاكِرِينَ ،وَمَا يَتَّبِعُ أَكثَرُهُم إلا ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغنِى مِنَ الحَقِّ شَيئاً ،وَلَكِنَّ أَكثَرَهُم لاَ يَشكُرُونَ ، وَمَا يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللّهِ إلا وَهُم مُّشرِكُونَ ، أَم تَحسَبُ أَنَّ أَكثَرَهُم يَسمَعُونَ أَو يَعقِلُونَ إِن هُم إلا كَالأَنعَامِ بَل هُم أَضَلُّ سَبِيلاً ، وَمَا كَانَ أَكثَرُهُم مُّؤمِنِينَ ، فَأَعرَضَ أَكثَرُهُم فَهُم لا يَسمَعُونَ ، هولاء هم الضالون ،وأكثرهم مستضعفون ،إن وأكثرهم عاجزون ،فهم لا يسمعون ، فأولئك هم الظالمون ، لتكونن من المرجومين ،أكثر الناس لا يؤمنون ، لتكونن من الخاسرين ،أولئك هم الغافلون ،أولئك أصحاب النار ، وربك أعلم بالمخلصين ،إن أكثرهم لايعقلون ،وأكثرهم لا يعلمون ،وأكثرهم مفترون ،وأكثرهم عاجزون ،وأكثرهم يجهلون.

وهى هذه العلامات ، تناهى مع آيات القرأن العظيم كتاب الله الكريم، وتكشف عن توظيف عبقرى، يفصح عن القضايا

المثارة فى هذا العمل الإبداعى الرائع فكما يقول الكاتب "حين لا يتوضأ الحرف ، يدخل نار البوح ، فيفضح الكون ، فيغضب الرب " معربًا عن " ليس لى وطن غير الكتابة وكل من حولى جنون ... حين غرد الطير فوق نافذتي ، تنبهت تعطرت تهيأت تؤضأت بنوى موسم الكتابه الذى آتى إلى .. بين الورق والقلم والهمزة والياء أنفقت العمر هباء !.. وفى ذلك تصوير وكناية عن الموقف المأزوم الذي يحاكى فيه الكاتب المجتمع فى رحم المعاناة من النفاق والرياء ، والزيف الذي لفت المجتمع بأستاره السوادء ، فيقول على لسان " فتحى رضوان خليل " مخاطبًا سهر : سهر أنا رجل بسيط محاصر بالأنذال والأحقاد وحظى ليس عظيمًا..

- لم أفهم ....
- أنا مخلوق من اللون الأبيض تكرهنى كل الألوان
- وأنا من أكون يا فتحى
- أنت طيف من نور إذا مر أضيئت قلوب الرجال بالحياة ..
- هههههههه يا رجل ....
- الحقيقه إنك شخص موهوب ...

أنا من يستقبلنى غالبية المثقفين بالأحضان وكلمات المديح ملك الحرف ، وسيد المسرح ، ومجدد الرواية . وفى اللجان

المخصصة للجوائز والتكريم يطعنون تاريخي وينشرون لحمى ويمنعون الماعون .. ثم يلاقوننى فيحنون.. السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمه الله .. ويستحضر الآية الكريمة : " قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى " (سورة طهـ أيه ١٣٥)

وإلى هؤلاء المنافقين، وإن المنافقين لفى الدرك الأسفل من النار، يدق لهم الكاتب الناقوس ، ويفضحهم (يتوجه بالإهداء إلى هولاء السخفاء الذين يظنون أنهم يلعبون على الرب بالصلاة والمسبحة وسماع القرآن يوم الجمعه.. الذهاب إلى الكنيسه يوم الأحد، وإلى المعبد اليهودى يوم السبت.. إلى الكذابين الوجهاء الظرفاء. هؤلاء الذين يزنون بالوطن صبحًا ومساءً دون حياء.. ويأكلون أموال الفقراء . وفى كل مشهد وفى كل فصل من فصول الرواية، يؤكد الكاتب إطلاعه الواسع وإطاحته بالأدب العالمى، حيث يمهد لذلك مهارة عاليه، بمقتطف من إبداعات كبار الأدباء والمفكرين ، تتناسب مع المتن، وتتواصل معه فى الأفكار والمعانى والدلالات، أمثال: غبار الخاطر، لأبى الكلام آزاد، البرتومواني فى الاحتقار ، وحفلة القنبلة ـ رواية غراهام غرين ، وهذه زوجتى ــ الرجل الذي حسب زوجته قبعة ــ أوليفر ساكس ورواية ــ دم ....

وخمر ! للعبيد ضمير (بوليكو شكا) فارسان ... عذراء للكاتب والفليسوف الروس الخالد ليوتولستوى، ومزرعة الحيوانات - ورواية جروج أوريل ، وغيرهم ... وغيرهم .

ويتساءل من قلب الأزمة :" أين ستذهب يا ابن رضوان .. حيث ينتظرك الغالبية من المثقفين يحملون وخناجرهم ليغتالونك مثلما اغتالوا محمود دياب ونجيب سرور ويحيي الطاهر عبدالله ومحمد حافظ رجب وقائمة طويلة من مبدعين ومبدعات قتلوا قبلك من الحسد والتهميش والتجاهل والإشاعات ..؟

" نتشابك ونتجادب – قل لى كيف خلعت جبة الحلال وآتيت إلى الحرام مهرولاً كيف تترك الفضيله لنار الخطيئة ، لا تندب حظك الشرير مع النساء وتدعى إن داخلك قسيس عابد وحاخام متجرد فى الصحراء وصوفى تائه فى بلاد الله ينشد الغفران من الرب العالمين.

آه يا بن راضوان ، كيف تحل الحرام وتحرم الحلال وتجمع النقيضين وتبرر لنفسك ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها .. قد أفلح من زكاها ، وكيف تغسل الروح من الخطيئة . ترى كيف ستقف أمام الرب وأنت تنظر للأنبياء على يمينه والأولياء على يساره وخلفه الملائكة .. يخرج طير من عنقك

ينشر كتابك كل ما فعلت وما اقترفت مع النساء . طوبى لمن زكى نفسه ونجا .. يا ويلى لحظة لقاء رب الكون فى ساعة الحساب .. قد أوارى خلف موقف أو حرف أو جملة أو دعاء أمى أو دعاء أبى لى ذات مرة وهو مريض ، أو استند على أمل رحمه الله التى ليس لها حد.

هذا بعض من المكشوف والمستور والمنسي والمتجاهل فى المسيرة الإبداعية للكاتب السيد حافظ ، ذلك الكاتب المدهش الذي يكتب على صفيح ساخن ...

٢٠٢١/١/١٠

السيرة الذاتية

دكتور: محمود عبد الواحد عوضين

- وكيل الوزارة رئيس قطاع غرب ووسط الدلتا الثقافة سابقا -الهيئة العامة لقصور الثقافة .
- بكالوريوس تجارة وليسانس حقوق . جامعة القاهرة
- ماجستير قانون
- باحث دكتوراه فى القانون الدولى الخاص - جامعة الأسكندرية.

• **أهم الوظائف السابقة :**

- مدير قصر ثقافة المنصورة
- مدير الثقافة بمحافظة الدقهلية
- مدير قصر ثقافة الغورى بالقاهرة
- أمين عام قطاع غرب ووسط الدلتا الثقافى
- مدير عام الجمعيات الثقافية
- مدير عام التخطيط بالهيئة العامة لقصور الثقافة
- عضو مجلس إدارة الهيئة سابقًا

• **الخبرات :**

- خبير فى البرمجة وتنظيم الفاعليات والمؤتمرات الثقافية والمهرجانات الفنية
- باحث فى العلوم الاجتماعية

لو لم أعشقها للكاتب السيد حافظ

رؤية نقدية بقلم

أ. هويدا رجب موسى السيد

باحثة فى مرحلة الدكتوراة

ماجستير لغة عربية – شعبة الدراسات النقدية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الإسكندرية - مصر



الزمان:

زمن أحداث الرواية:

أوائل التسعينات إبان حرب الخليج العربي، ومقتل جمال حمدان ١٩٩١م.

المكان

دبي:

أرض الأحلام والثراء، كما وصفها الكاتب من الوجهة التي يعنيها، بحر هادر من المال والأعمال نقود تجيء ونقود تذهب، دائرة مال شيطانية ليس لها منتهى.

بلد لا تنتمي للوطن العربي إلا بالموقع الجغرافي فقط وربما بل الأكيد أن تكون المكان الأنسب لطبيعة الرواية وشخوصها ومجريات الأحداث؛ إذ إنها تنفصل انفصالا تاما عن كل ما

يجري في الوطن العربي من صراعات؛ وكأنها تعيش بزمان تالٍ على زمن البلاد العربية حولها بسنوات ضوئية .

الموضوع

من قضايا الواقع الاجتماعي.

الشخصيات

برع الكاتب في إقامة شبكة العلاقات بين شخوص الرواية على اختلاف طبيعتها بين فتحي وزوجته، المصريين الوحيدين في الرواية، وبين العائلة السورية التي تجمعها صلات قرابة ونسب ووجودها كشخصيات مغتربة في غير أوطانها.

فتحى رضوان:

فتحي شخصية مريضة نفسيا؛ فقد أعطانا الكاتب أول الأدلة على خلله النفسي في المشهد الأول من الرواية؛ حين جاءه ضميره زائرًا ورآه متمثّلًا له بشرًا سويًا. هذه الصور التي يراه أمامه في صحوه دليل قاطع على مرضه النفسي؛ فهي لا تعدو عن كونها هلاوس سمعية وبصرية كما يطلق عليها علماء النفس، تتمثل له في حضور الأولياء والصالحين، وهي الصور المناسبة لنزعته الروحية الصوفية التي لا سلطان لها على شهواته. فبالرغم من ثقافته الدينة الواسعة وحبه لله وأوليائه إلا أن كل هذا لا يردعه ولا يمنعه من الوقوع في

الخطيئة والانجراف وراء شهواته التي يحبها فهو وإن كان شفو قا من عذاب الله حي يا من حسابه، محبا لأوليائه إلا أنه بنفس القدر مح با للشهوات. وقد أعطانا الكاتب هذه الإشارة في مشهده الأول حين رفض أن يُغسل صدره من الخطيئة.

الحقيقة أن شخصية فتحي في هذا الجزء شخصية لا تسعى إلى إقامة العلاقات بل تنجرف وحسب في أي علاقة متاحة تقع في طريقها كما حدث مع حياة (حين تدعوني امرأة جميلة مثل حياة.. أشعر بالاستسلام. لا مقاومة فكلما دعتني لبيت النداء).

ثم يلقي ضوء رمزيًا خاطفًا على سبب اختلاله النفسي من خلال هذا المنام الذي رآه (بيته في القاهرة/ الجريدة يقرؤها في الحمام/ الخبر المنشور عن الوطن المقتول في أحد الأحياء حافي القدمين وقد سرق قلبه وكليتاه ونُشرت أصابعه/ صراخه غير المسموع/ الناس التي تسير مقطوعة الأذنين واستمرار الحياة على الرغم من ذلك/ شعوره بأنه وحيد/ دخوله المسجد/ بكاؤه على سجادة الصلاة/ رؤيته للشيخ المهاب الذي صلى بجواره دون أن يكلمه، شكره لله الذي نجاه من كل هذا / الكلمة المكتوبة على السحب بأن الله ترك هذا الوطن لأنه زان)

أعطانا الكاتب تقريرا عن حالة فتحي المرضية في منام؛ حنينه لبيته في مصر وعمله كصحفي .. الوطن رآه مقتولا في

ضميره حافي القدمين كما الفقراء فيه ، بلا قلب كما قسوته عليه وعلى شعبه الفقير، منزوع الكليتين.

كما يسرق حياة أهله ويسممها، مبتور الأصابع كما يبتر أصابع كتابه ومبدعيه، صراخه (صوت كتاباته) الذي لا يصل إلى الناس مبتورة الأذنين التي أصابها الصمم وأنهكتها الأعباء وأثقلت كاهلها الحاجة؛ فلم تعد تأبه إلا بأن تسير بهم الحياة والسلام. شعوره الدائم بالوحدة أو فلنقل الاغتراب الذي دفعه إلى الدخول إلى المسجد الذي يمثل نزعته الروحية التي تتملكه إثر كل معصية، ثم الشيخ المهاب الذي ص ل ى بجواره، هذا الشيخ الذي يتمثل له في هلاوسه التي تعتريه في صورة أولياء الله الصالحين، ثم إشارة رمزية صريحة إلى النهاية التي تنتظره وهي الكلمة المكتوبة على السحب (أن الله ترك هذا الوطن لأنه زان) فإن الله الذي نجاه من ظلم الوطن وأكرمه بحياة أخرى في جنة دبي.. تركه هو أي ضا لأنه زان، فإن كان الله قد ترك هذا الوطن لأنه زنا بشعبه زنا نفسيًا، فإن فتحي قد زنا الزنا الأكبر.. زنا الجسد رغم العلامات ورغم نفسه اللوامة التي لم تردعه يومًا عن الانزلاق والسقوط في براثن الشهوة؛ فتركه الله وأعاده إلى الوطن الزاني جزاءً وفاَقا، فانتهى مجذوبًا ربما كما ترك الكاتب نهايته المفتوحة.

تهانى

الصورة المثالية للزوجة المصرية الطيبة، التي تفوح من بيتها رائحة البخور يوم الجمعة ورائحة الدجاج والملوخية وقت الغداء، والتي تشبه كما وصفها فتحي (قط الماو المصري الذي يمتاز بالذكاء والسرعة في التعلم والرشاقة والهدوء)، هذا الذكاء الذي تعرف به كل مرة يأتيها زوجها من أحضان امرأة أخرى وتبدي به غير ما تبطن، بل وتبكي في حضنه حين تهديها عشيقته عطرها في قميصه.

كما أغلب المصريات المحبات لبيوتهن وأزواجهن، المغلوبات على قلوبهن والمطبوعات على الخنوع، والذي أجراه الكاتب على لسانها أثناء إعداد غداء شهي لزوجها الخائن (متى يكف عن الاستهزاء بي وبعقلي وذكائي؟ أنا فاهمة كل شيء، لكن لابد أن أتحملـه لأني أحبه، نعم ذات يوم سيفهم ذات يوم سيشبع من مزاجه النسوي ذات يوم سيعتذر لي لا لا أظن إنه فتحي أعرفه جيدًا ... هل سيقول لي آسف يا تهاني على كل ما فعلته معك سامحيني.. ساعتها سوف أستريح ساعتها سأقف أمامه صامتة ولن أسامحه) ثم.. ثم ماذا؟ ثم تجفف دموعها..(أنا خلصت الفراخ والملوخية) تدعوه لتناول غدائه وعندما يتمنع (تقف تهاني وتطعمه بيديها مرة ملعقة ملوخية ومرة قطعة

دجاج ومرة ملعقة أرز ومرة قطعة خبز صغيرة...) ثم ماذا جنت في النهاية ؟ عادت معه إلى مصر مطرودا من دبي حيث ذاب في الفيض الأعظم كأنه لم يكن، تاركا لها ولدا ومصيرًا مجهولا....

سهر

فاتنة الشام المرأة المعجونة بالياسمين ، زوجة منقذ وعشيقة فتحي، التي تمارس الخيانة بأريحية كأنها ليست خطيئة، فقط لأنها تحب! ولأنها (أحيانا تشتاق إلى فتحي وأحيانا لا تشتاق إلى أحد) ، هذه المرأة التي تعطي للخيانة معن ى مزدوجا..فإذا كانت مع حبيب (فتحي) كانت عاشقة مشتاقة، لا تأخذ ولا تعطي أكثر من لقاءات جنسية مسروقة، وإذا أكْرِهت عليها وتقاضت الثمن مهما كان غاليا - كما أغدق عليها شداد- ازدرت نفسها وشعرت بوطأة الخطيئة (يا ويلي يا ويلي .. أصبحتي قحبة يا بنت سالم يا ويلي) لكنها قبل كل هذا لم تنس وهي تجمع أغراضها من بيته أن تأخذ مفتاح سيارتها الجديدة!!

تعاظم شعور سهر بالخطيئة عندما مارستها على غير رضا حتى أنها تركت دبي وسافرت وراء شهرزاد - تلك المرأة التي وصفتها سهر بأنها (أطهر من ماء الجنة) إلى الشام لتتطهر

من خطيئتها ربما، كما خاطئ يقر بالذنب ويطلب الصفح من الله بسماع كاهن، كانت تصرخ (اضربينى يا خالتي اضربيني أنا جئت إليك لتضربيني اضربيني مرة أخرى .. أنا خطية .. أنا خطية)، لكنها لم تنس قبل أن تعود إلى دبي أن تتصل بشداد ليدور بينهما هذا الحوار:

(فى الشام افتح الفاكس ببعت لك صورة جواز أبي وأخي أعملهم فيزا

عاجلة لمدة ٣ شهور

- حاضر .
- واحجز لهم تذاكر من دمشق إلى دبي رايح جاي لمدة سنة مفتوحة
- وارسل لي رقم الحجز - أبعثه على فين ؟
- على رقم الفاكس اللي عندك..!!!!)

ثم تطالعنا نفس ازدواجية فكرة الجنس لدى مارينا الخادمة ، (لم تكن مارينا غانية أرسلها زوجها من الفلبين لتعمل ولم تقل إنها متزوجة جاءت بأحلامها إلى بلاد النفط لم تنم فى أحضان رجل رغم كمية التحرش التى تتعرض لها في كل يوم بلا خجل .. تقاوم رغباتها الجنسية ولم لا فالجنس سر الحياة)

وهي على الرغم من ذلك مارست الجنس مع سيدها بنفس الأريحية التي مارست به ربتها الجنس مع عشيقها فتحي (كانت فرحة مع سيدها لأنها بمزاجها)، فعلت لا من أجل المال ولا بالإكراه، ومن نفس الوجهة التي شعرت بها سهر بالسقوط مع شداد عندما بكت مارينا حين أعطاها منقذ المال (قام وأخرج محفظته وأخرج ورقة فئة ٥٥٠ درهما وقدمها لها صرخت فى وجهه :

- نو بابا أنا لست عاهرة أنا أحبك
- ظلت تبكي بحرقة فضمها إلى صدره وهى تبكي)

أليس من الغريب أنت تتطابق ازدواجية الخادمة وربتها في فكرة الخيانة والجنس؟!

منقذ

الشخص الجبان، غير القادر على المواجهة رغم يقينه من خيانة زوجته مع صديقة الجبان أي ضا. منقذ الذي هزمه واستعبده حب الجمال وكلام الناس وحسدهم إياه على زواجه من تلك المرأة الساحرة المعجونة بالياسمين، صمت وذل العبيد؛ فالحر لا يسكت ولا يقبل الخيانة ولو وزن من خانه بالذهب. كلاهما جبان فلا أحدا منهم قادر على المواجهة لا بالاتهام المباشر ولا بالاعتراف، لذا كان الكاتب موفقا عندما

جعل التشبيه السائد في هذا اللقاء هو الفئران المذعورة، وربما كان جبن فتحي مبررًا إذ إنه سارق.. سارق عِرض ومن الطبيعي أن يجبن اللص، أما منقذ فلا مبرر لجبنه غير كونه مجبولا على الخنوع والدونية التي غالبا ما كان لسهر اليد الطولى في زرع الشعور بالنقص والدونية في صدره، هذا الشعور الذي جعله يجد راحته ولذته وكيانه ورجولته وذكورته في علاقته الجنسية بالخادمة أثناء غياب سهر (لأول مرة يقف منتصبا دون محفز أو مثير دون خوف .. دون تفكير .. جذبها من يدها إلى غرفة النوم ... حين نامت معه مارينا شعر بأنه ذكر لم تنجبه البشرية .. شعر بنشوة غريبة لم يعهدها من قبل .. حين إنتهى من الجماع ذهب إلى الحمام لحقت به بالفوطة والشامبو وأخذت تحميه بيديها الناعمتين وتدلك جسمه .. لم تفعل معه سهر هذا من قبل شدها وعاد للفراش مرة أخرى شعر أنه مراهق أو أسد قوى.

وعاش لحظات بسيطة دون احتجاجات سهر عليه بالصائب والخائب ونام فى أحضانها لم يفكر بالاتصال بسهر ولا بالسؤال عنها.. لم ينتبه لهذا ..

لذلك فقد غرق فى بحر لذة من نوع آخر (لذة الشعور بسطوته كرجل على امرأة).

يظهر البون الشاسع في رد الفعل تجاه الشعور بالخيانة بين سهر ومنقذ ، فلم تجبن سهر –الخائنة – ولم تستحِ أن تواجه زوجها بخيانته بل صرخت في وجهه وكالت له الإهانات وعيرته بأصله وفضل أصلها عليه :

(الآن لن أطردها حتى تعيش مع الخدم هم مستواك المتدني . أنت الخدم مستواك تليق بك الخادمات.. أنا أميرة تزوجتنى خطأ.. غلطة أبي وغلطتى . سامع).

ثم وآتت منقذ الفرصة ناصعة جلية لينتقم من سهر ويرد كبرياءه وكرامته المهدرة التي تبعترها سهر أنى شاءت حين رن هاتفها وسمع صوت فتحي عشيقها: (سهر أنت فين يا حبيبتي؟ وحشانى عاوز أكلمك وأشوفك ضروري ؟ أنت فين غايبة بكلمك الفجر وتهاني نايمة؟)

وهنا لم يصمت منقذ واجهها حكى لها، وبجبروت فاجرة اعتادت الخيانة كسرت الهاتف وقالت:

(أنت مجنون وخائن وأنا ضبطتك وتريد إلصاق التهمة بي لن أسمح لك. تحول الخيانة منك لي ؟

- إنه فتحي نسيت أن أخبرك أنني فتحت الهاتف وسمعته يصرخ سهر فينك وحشاني
- أنت مريض بفتحي وظنك بفتحي
- وبعد

- إما تطلقني أو تهجرني وتتركني فى حالي)
ثم ماذا؟ ماذا فعل منقذ؟..هز رأسه وسكت!!!!!

وردة وكاظم:

كاظم وعلاقته ببورد؛ الصورة المعكوسة لعلاقة سهر ومنقذ؛ فكاظم المتعالي على وردة الكاره لأخيها وعائلتها وماضيهم، الذي لا يشعر بذكورته في علاقته بها، أحد العاشقين القدامى لسهر، والهارب من خيبته الغرامية القديمة وزيجته الرتيبة إلى علاقته بالفرنسية ليزا إحدى المعلماتالأجنبيات في مدرسة شداد حيث يعمل، والذي ما إن لاحت له فرصةالتخلص من حياته مع وردة حتى فر مع عشيقته إلى غربة ثانية دون أن يلتفت، كأي عربي نذل. قد تبدو حكاية ورد وكاظم تفاصيل زائدة على الرواية غير مؤثرة في الأحداث، غير أنها من الحكايا والقضايا التي تشيع حدوثها في بلادنا العربية لا سيما في الغربة .

راغب وشداد:

شخصيات مطبوعة على حب الشهوات والاستمتاع بملذات الحياة تحركها قوة المال ونفوذه وسطوته القاهرة اللذان وجدا طرقهما في دبي بلد الثراء والاستثمار. يبدو أن رجلان بلا قلب؛ فحتى اللمحة الإنسانية التي بدا عليها شداد حين أعطى الجرسون الهندي خمسين درهما ليشتري بها حذاء لم تكن

بدافع الإنسانية أو الإشفاق أو حتى بنية صدقة الغني على الفقير، بل كانت لها مرجعية نفسية؛ لمعاناته الفقر والحفاء مع والده البخيل، وحلمه بأن يرتدي زي بحار ويشتري أغلى حذاء في العالم، فقد كان شداد كارها لكل مظاهر الفقر وما يدل عليه، رجل يعلم جيدا قوة المال وقدرته على استدراج أي صيد يشاء إلى حبائله بمنتهى السلاسة والأريحية، لكننا على أية حال لا يمكننا أن نصمه بأنه شيطان يسير على قدمين؛ فلم يكن من حوله ملائكة، ولا صيوده قديسين؛ فليس غريبا أن يدير خاتم الذهب رأس سهرعشيقة فتحي فتتبع شداد بسيارتها إلى سوق الذهب وتقبل هديته الثمينة ثم المرسيدس الرمادية الميتالك الفارهة ثم... يسير كل شيء كما رتب له تماما..، حتى شرائه لمنقذ بالعمل والراتب المغري لإلهائه عن سهر عن طريق إدخاله في دوامة من العمل المتواصل وجمع المال تم بيسر ونجاح.

أما راغب فلا يختلف عن شداد كثيرا وإن لم يعش مثله فقرا مدق عا وحرما نا ربما ،لكنه كما شداد رجل بلا قلب لا يرى غير سطوة المال وسلطته؛ أليس هو من غلب حزن أخته بشراكتها في المدرسة وبراتب كبير وشقة جديدة مقابل أن تعتبر زوجها الهارب ميتا!؟

حياة

الفاتنة العراقية الصحفية المتحررة (أشتهيك وانتهى الأمر وتنسى ما حدث هنا) حديثها الفج الصريح عن الجنس (أحب شابا سوريا في لندن/ هذا زمن النساء لا تكتفي برجل واحد/ رجل للحب ورجل للزواج ورجل للصداقة البريئة ورجل للجنس) مثال صارخ للشخصية الوجودية الانحلالية التي تعيش في بلد غريب.

وهي من الشخصيات التي تزيد تفاصيل الرواية وتسهم في تأكيد نزعة فتحي للانسياق التام وراء شهواته بلا ضابط ولا سبب ولا شعور، ولا حتى رده وازعه الديني الروحاني الذي ينتابه؛ إذ ساقته نفسه إلى الغواية عقب صلاة الجمعة مرددا" وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء" هكذا!!! وكأن هذا الاجتراء قد طاردته لعنته فمنذ ذلك اليوم بدأت النهاية.

فشخصية حياة في الرواية جاءت لتسلب فتحي كل حججه للانزلاق في براثن الغواية إلا لأنه يملك نفسا ساقطة بطبعها، كما كانت حكايته معها آخر حكاياه الشبقية إذ انتهى بعدها مطرودا إلى مصر مكرها على العودة وكأن حيا ة كانت نذير شؤم ومزلقته الأخيرة إلى الهاوية.

شهرزاد وحامد الصقر

هذان الزوجان الطيبان الذي غلب أصلهما الطيب مغريات الحياة والمال في جنة دبي، وكأنهما كل ما بقي من طيف الحكمة في عالم الجنون أو قطرات من الشهد في أيام العلقم.

فشهرزاد تلك الأم الحنون الناصحة، التي تحمل عاطفة جارفة من الحنان والأمومة تجاه سهر وورد حرمها منها العقم فلم تنجب أولادا ،والتي تحن لوطنها وبيتها في الجبل، ترفض جنة دبي بكل زينتها وملذاتها، وتعود إلى وطنها حال ما أدركت أن البنتين لم تعودا بنتيهاالصغيرتين، وأنه أصبح لكل منهما حياتها التي تريد أن تحياها بهواهابعي دا عن كنفها ونصحها، وكأن كل ما كان يربطها بدبي عاطفة الأمومة تجاه سهر وورِدة، فعادت إلى الوطن بفقره وأوجاعه وبيتها في الجبل تروي عطشها ال ن زِق إلى الأمومة والعطاء.

أسلوب الكاتب

للكاتب ثقافة دينية واسعة يوزعها على أبطال روايته بدرجات متفاوتة كل حسب طبيعة شخصيته؛ تظهر بجلاء في المنولوج الداخلي للشخصيات الذي يكشف به عن دواخل الشخصية وعالمها الروحي من ناحية، ومن ناحية أخرى يستغله الكاتب في ممارسة نوع من الكتابة الإبداعية الممتعة حين يتمادى

في طرح التساؤلات التي تنثال على خاطره من خلال الشخصية التي يجري فيها حديث النفس.

وعلى الرغم من سيطرة الجنس والشهوة على عالم الرواية نجح الكاتب في إلا يكون أسلوبه ومفرداته شهوانية أو شبقية... فلم يخض في شرح تفاصيل العلاقة الجسدية؛ إذ إنها ليست تضيف إلى نص الرواية تفصيلا مهما سوى أنها حدثت والسلام. فكان يكتفي بالإشارة إليها بصيغة خبرية عادية كمن يخبرنا عن تناول البطل لفطوره أو ذهابه إلى العمل دون أن يفقدها وهج الإثارة وتأثيرها على الأبطال وليس على شعور المتلقي.

تساؤلات حول الرواية

١- حول العنوان (لو لم أعشقها): الحقيقة لم أجد صدى قويًا للعنوان في الرواية كما يوحي به اسمها بالمعنى المعروف المباشر ولا بالتصريف المتعسف له؛ إذ إن الرواية تخلو من العشق اللهم إلا عشق الشهوة الحسية أو المال، أو ربما على تأويل شديد التعسف يمكن صرفه إلى الوطن الذي لم يطف بخاطر أي من أبطال الرواية إلا بفتحي و شهرزاد. فأما عن فتحي فصورة الوطن المختزنة في عقله الباطن والتي يراها في كوابيسه هي صورة جثة عفنة كما وضحت أكثر في كابوسه الثاني

الذي ورد في العلامة التاسعة (اقتربت أكثر فأكثر وجدتها جثة الوطن ممددة ورائحة نتنة تنبعث من قدميه التي بلا جورب وحذاؤه قديم مستهلك ملقى بجواره يشبه ذلك الحذاء العسكرى الضخم) هذا الوطن الذي عاد إليه مغصوبا مطرودا من جنة دبي على كراهة منه فلم تكن عودته عودة عاشق مشتاق بل مضطرا مزدريًا (لا وظيفة لك هنا لا مكان لك هنا، راحت أيام دبي وأفخر المطاعم ومطعم الحلبي وكمبنسكي . وعاد إلى مقهى البستان بقذارته والقزاز المطعم الشبه فاخر بجواره وعاطف الجرسون وعم أحمد وكتاب محبطون من الوطن وخرتيه معهم السواح ينصبون عليهم وطلبة هاربون من الدروس الخصوصية)

أما شهرزاد فلست أظن أن عشق الوطن أو الأمومة أو الخير أو غيرهم قضيتها المعنية في عنوان الرواية، وإن كانت العاشقة الناصعة الوحيدة فيها.

٢- عنونة الفصول بالعلامات وعنواناتها التي لا تختلف كثيرا عند تأويلها وربطها بأحداث المشاهد عن عنوان الرواية في كونها لا ترتبط بصلب الأحداث إن وجد رابط من الأساس.

٣- تذييل العلامة أو الفصل بآيات من كتاب الله وتوزيعها على ثلاثين علامة بعدد أجزاء المصحف ومن رقم الجزء ذاته بحيث أولاً تفتقد إلى الربط بالأحداث على أي سبيل، بالإضافة إلى أنه في تقديري لا يليق بآيات الله أن نتصرف بها لمجرد هيكلة سردية دون أن يكون لها أثر لافت.

٤- التعريفات المختلفة للحب تحت عنوان (روح) في بداية كل علامة لم تصل بي إلى علاقة مباشرة مع النص غير أنها ربما تصنع المقابلة بين العفة والدنس.

٥- إيراد مشاهد من الروايات العالمية المترجمة في بداية كل علامة أو فصل خلقت نوع من الارتباك والتشتت لا سيما أنها مشاهد من روايات مختلفة وليست رواية متصلة. ربما ترجع الفكرة إلى بعض كتب التراث التي نجد على هوامش الكتاب الأصل كتابًا آخرا ؛ كان يلجأ الكتاب والوراقون لهذه الفكرة قديمًا لأسباب خاصة بصناعة الورق فيفوز القارئ بمطالعة كتابين.

تمت

وما توفيقي إلا بالله

هويدا رجب موسى السيد

السيرة الذاتية

الاسم: هويدا رجب موسى السيد

الجنسية: مصرية

المؤهلات:

- ليسانس آداب من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة الإسكندرية بتقدير عام جيد (٢٠١٤م).
- ماجستير في اللغة العربية / شعبة الدراسات النقدية والأدبية(٢٠٢٠م).
- باحثة في مرحلة الدكتوراه.

الدورات:

- دورة تصحيح الأخطاء اللغوية الشائعة في رسائل الماجستير والدكتوراه، في الفترة من الثاني من نوفمبر ٢٠١٦م إلى السابع من فبراير ٢٠١٧م بواقع (ست عشرة) ساعة تدريبية.

الخبرات السابقة:

- العمل في التدقيق اللغوي للمقالات والنصوص والرسائل الجامعية.

المعلن والمضمر في الحب بين التقديس والتدنيس عند السيد حافظ رواية " لو لم أعشقها " أنموذجا

بقلم أ. أسمهان سعودي
الجزائر



إن الثنائية المتقابلة " الحب المقدس والحب المدنس " قائمة على مبدأين متناقضين يتحكمان في نسيج النص كله ، و هما مبدأ الاتصال و الانفصال و من الملاحظ أن تيمة الحب تحتوي على صفات خاصة و متناقضة ومتضادة في نفس الوقت عما يحمله المتلقي في ذهنه ؛ فهو ليس تلك الصفات الإنسانية التي تقوي روابط الصداقة و الأخوة و حب الله و رسوله و حب الوطن فقط ؛ بل هو أيضًا في شكله المدنس المتمثل في حب المال الحرام و حب السلطة القاهرة و الحب الحرام و اللهث وراء جسد المرأة.

فليس الحب بنوعيه المتضادين سوى جسرين موصلين لمعرفة طبيعة نظام الحياة الاجتماعية. فالفضاء الروائي عالم خصب تتداخل فيه الحقائق بالخيال، ليضع بذلك عالما فسيحا

يعبر عن قيم إنسانية تضرب جذورها في عمق الحقيقة الإنسانية سواء ما صرح بها السيد حافظ أو أضمرها.

قراءة في عنوان " لو لم أعشقها"

بما أن العنوان هو أول عتبة تبث شيفرة للمتلقي فإنّه يتوجب تتبع دلالاته و فك طلاسمه الرامزة ؛ ومن هنا حظيت العناوين بأهمية كبيرة في المقاربات السيميولوجية.

فالعنوان لا يوضع هكذا عبثا أو اعتباطا ؛ حيث يجهد الكاتب نفسه في اختيار عنوان يلائم مضمون كتابه لاعتبارات فنية جمالية و نفسية ؛ إذ يتعدى كونه مجرد اسم يدل على العمل الأدبي و يحدد هويته و يكرس انتماءه لجنس من الأجناس الأدبية، كما تتجلى أهمية العنوان في ما يثيره من تساؤلات مبهمة و غامضة لا تتكشف لدينا إلا مع نهاية العمل.

"لو لم اعشقها" عنوان صادم وضعه السيد حافظ ليمارس به نوعا من الإيهام و التضليل عند المتلقي ، فعندما نسقط العنوان على المتن يتبين لنا للوهلة الأولى أنه يوحي لإحدى عشيقات بطل الرواية، و لكن الحقيقة عكس ذلك فعند سبر أغوار المتن و تشعباته الوعرة نتأكد من أن العشق الذي صبّ في العنوان ؛ هو عشق السيد حافظ لمصر الذي طالما قال عنها :" عشقت مصر و هي لم تعشقني" ، فهو يجاهد بقلمه من اجلها و في اجل الوطن العربي ككل ـ لايمانه بالحب

المقدس فبعد حب الله و رسوله يأتي حب الوطن كعشق مقدس يفدى بالنفس و النفيس.

حب الوطن:

حب الوطن، هو ذلك الإحساس الخفي الذي يحركنا للتعلق به، و الإحساس بالانتماء له مهما بعدت بنا المسافات، وهو شعور فطري ينمو و يكبر مع تقدمنا بالعمر و إحساسنا بأنّ لا شيء يضاهي دفء الأرض التي خلقنا من ترابها فمهما رأينا و أحببنا من بلاد يبقى لوطننا مكانته الخاصة لأنه حب تناقلناه من الأجداد إلى الإباء إلى الأبناء؛ فاستقر في قلوبنا ولا يزال يكبر، لأنّ حب الوطن لم يأتي من العدم فلولا الوطن لما شعرنا يوما بمعنى الاستقرار والأمان فهو الملجأ من كل ما يضرنا وهو المكان الذي لو عملنا ليلا نهارا من اجله لما استطعنا ايفاءه حقه ، وهو الكيان الذي يستحق منا العمل لا القول فقط.

فالفرد الصالح هو من يعبر عن حبه لوطنه بالدفاع عنه في كل حين ،حتى لو كان ذلك بالقلم حتى و إن جار عليه مثلما فعل السيد الحافظ في صرح روايته" لو لم اعشقها" فبها يجاهد في سبيل وطنه الصغير والكبير - بداية من شخصية الصحفي فتحي رضوان التي لم تقتصر صفاتها تلك المتمثلة في الزنا و الخيانة الزوجية بل جاءت مغايرة في الوجه الأخر لشخصيته أين يذوب عشقا في وطنه و يحمل همومه و لم

يخنه، و يظهر ذلك في الرواية نحو ما يلي : " تزني بالنساء و لكنك لا تزن بأفكار الناس البسطاء ولا تنافق المسؤولين في الأوطان و غير الأوطان "[١]. لكن هاته الشخصية أضمرت في البداية حبها و أظهرت خوفها من العودة إليه لأنها شخصية مهاجرة جسدا لا روحا تعيش في دبي بكل حرية و ديمقراطية عكس ما تخافه في وطنها " لا تعرفين يا تهاني معنى وجع الروح لرجل بسيط مثلي تقولين بكل بساطة نرجع لمصر هل مصر وطن أم كفن أم سكن أم الثلاثة معا . هل للوطنية بطاقة شخصية هل للشرفاء أي سكن على هذه الأرض التي تسمى مصر"[٢].

يبدو الوطن من خلال هذه العبارة قاسيا و مدمرا لإنسانية مواطنه إذ يمارس ضده أبشع أنواع الاغتراب والعزلة والتهجير والتهميش " أين ستذهب يا ابن رضوان ؟ . إلى مصر حيث ينتظرك الغالبية من المثقفين يحملون خناجرهم ليغتالوك مثلما اغتالوا محمود دياب و نجيب سرور و يحيى الطاهر عبد الله و محمد حافظ رجب و قائمة طويلة من مبدعين و مبدعات ، قتلوا قبلك من الحسد و التهميش و التجاهل و الإشاعات "[٣]. ثمة جدل قاس مزق صورة الوطن و شطرها في ذاكرة البطل " أنا ذو الوطنين مصر التي تهينني كل لحظة... مصر التي ذاكرتها مثقوبة وخيراتها منهوبة ووطن

ثان كان في حلمي ليس له عنوان... ظللت في مصر وأصبحت وطنا سجنًا قهرًا تجاهلًا "[٤]. فالوطن هنا يقابل فتحي بقناعه القبيح.

لذا جاز لنا القول أن ما يضمره الخطاب السردي في هذه الرواية هو حقيقة التمزقات الدامية التي يعاني منها الوطن العربي والتي لامسها السيدحافظ بروحه قبل قلمه فراح يصف لنا التشققات والانقسامات داخل الوطن العربي حتى ولم تكن على الخارطة فيقول : " ذهبت إلى ليبيا وجدتها قسمت إلى ثلاث دول؛ فذهبت إلى الجزائر وجدتها أيضًا قسمت إلى ثلاث دول فرانكفونية ودولة امازيغية ودولة إسلامية عربية، ذهبت إلى المغرب وتونس قسمت إلى ثلاث دول أيضًا مثل الجزائر ذهبت إلى السعودية وجدتها قسمت إلى خمس دول وسوريا إلى ثلاث دول ... والسودان إلى ثلاث دول "[٥] فالتعمق في هذه التمزقات والاضطرابات وحالات الانفلات الأمني والقلق الجماعي نجده في مقدمة الأسباب كظاهرة التفاوت الاجتماعي بسبب العدالة غير الموزعة بالتساوي وذلك ناتج عن خلل في مقدرة السلطة ، وضعف النظم السياسية واحتكار السلطة وتغييب مؤسسات الدولة، وغياب الديمقراطية ومفهوم المواطنة كقيمة وممارسة.

إن قناع الكاتب الأقرب لوجهه في شخصيات الرواية هو شخصية الصحفي فتحي رضوان فالذي رغم ما عاناه من وطنه إلا أنّ حبه لمصر يزداد في كل حين وتحزن روحه إذا أصابها مكروه "يا قوم... يا قوم... الوطن قد مات وسرقوا قلبه وكليته ونشرت أصابع يده...صحت مرة... مرتين... ثلاث نزلت للشارع وجدت كل الناس تسير مقطوعة الآذان والمرور يسير ويتعاملون بصياح صامت كأنه لغة إشارة خاصة بهم، أدركت لحظتها أنني وحيد"(٦). فالأذان المقطوعة رمز لغياب الوعي والصياح الصامت كأنه لغة إشارة رمز لكبح حرية التعبير.

تتناسخ الرواية في حكايتها إلى أطوار متسلسلة تتجلى عبرها شخصية فتحي رضوان يرسمها السيد حافظ بإتقان "اقتربت أكثر فأكثر وجدتها جثة الوطن ممددة ورائحة نتنة تنبعث من قدميه التي بلا جورب وحذاؤه قديم مستهلك ملقى بجواره يشبه ذلك الحذاء العسكري الضخم... يا قوم يا ناس يا اهلي هذا الوطن الذي تدوسون على جثته النتنة ارجوكم ادفنوه في مقبرة تليق به فقد كنا نعيش فيه ذات يوم أكرموا مثواه"(٧). فيفيض عليها ما يعكس هموم الوطن المضمرة في السرد الحكائي فهو مدرك تمام الإدراك لما يحدث في مجتمعه

المصري وجل المجتمعات العربية مما يشكل لديه مخزونا سياسيا واجتماعيا وحتى نفسيا.
حينما يتنقل القارئ بين فصول الرواية ومقاطعها يجد في أعماقها عدة حقائق وقضايا نعايشها يوميا ، ومن بينها قضية الحب ؛ فمن عيوب مجتمعنا انه ربط مصطلح الحب بالجنس، الأول عفة والثاني شهوة - بيد أنّ الحب تواصل روحي قبل أن يكون جسدي.

الحب المدنس:

حب الجنس: لو تصفحنا رواية لو لم اعشقها لوجدنا أن تيمة الجنس قد احتلت مكانا بارزا ضمن هذا الفضاء السردي الذي حاول السيد حافظ من خلاله تعرية الواقع المتشظي الذي ظل لوقت كبير مسكوت عنه حبيس الطابو في غرفة المسكوت عنه، فهذه الرواية تطرقت إلى العلاقات التي تجمع الرجل بالمرأة في إطارها المسموح والممنوع ،ومن هنا نلمس عدة مطاردات للحب المستحيل مما أدى بأبطال روايتنا إلى الوقوع في الخيانات الزوجية بالجملة.
فالصحفي فتحي رضوان لم يفلح في التمتع بحبه المسموح مع زوجته تهاني وفي نفس الوقت لم يظفر بحبه الغائب رغم تمتعه به مع سهر وحياة " أنت متزوج وتعشق امرأة أخرى متزوجة وتغازل أخرى ثالثة".(٨) يستغل جسد الأنثى باعتباره

الفضاء المحقق للذة الذكورة أين جعل الخيانة الزوجية فسحة لتلبية الحاجات الجنسية بنكهات مختلفة، فليزا تلك الفاكهة الاستوائية النادرة حقق معها كاظم فعل الخيانة ضد زوجته وردة "معلق كاظم بليزا ليس بقلبه فقط بل بروحه وجسده الذي تعود على ملامسة الجسد الأبيض ذي الشعر الصغير الذهبي الذي يختفي في ثنايا الجلد كأنها خلقت من عرق ذهب تحت الجليد"(٩). وعليه فالجسد الانثوي هنا هو المحرك الأول للأحداث حيث عكس العوالم الداخلية واللاواعية التي سعى السيد حافظ إلى تفجيرها ضمن المتخيل السردي؛ فالعفة والفضيلة تتحقق وفق شروط متعددة من أبرزها الإيمان بالله سلوكيا ، ونلمس عكس هذا عند شخصية حياة التي استدرجت فتحي رضوان وغوته ومارست معه الرذيلة ثم قالت "اسمع يا فتحي أنا سيدة فاضلة لكن أنا منذ خمسة أشهر لم أمارس ... أنا بشر واخترتك لأنك مميز وتنسى وستنسى أنك قابلتني".(١٠) وهنا نصطدم بمفهوم العملية الجنسية والمتمثلة في إشباع الغرائز والتنفيس عن مجموع المكبوتات مع العلم أن العلاقات الجسدية كبيرة من الكبائر.

إذا فالعفة والفضيلة التي تتظاهر بها حياة ما هي إلا وقت حائل وانه لابد من مواجهة هذا النفاق وبالتالي كسر القيود.

تمثل الطرح الجنسي في الرواية عن طريق وصف المشاهد التي تحيلنا للممارسات الجنسية "في غرفة النوم جلسنا على السرير عرايا... قامت سحبت ملاءة السرير وغطت جسدها العاري وتركتني عاريا في السرير ... كنت عاريا في سرير حياة بلا حياء"(١١).

برزت المرأة في هذه الرواية كسلطة جنسية وذلك من خلال وصف مفاتنها ووضعياتها المختلفة وقت الممارسة، ولعل السبب الرئيس في تفشي الزنا والرذيلة في المجتمع يعود لتمسك الرجل بسلطته الذكورية التي تعجز المرأة وتضعف أمامها "دخلت الغرفة خلفها... ضممتها تملصت مرة ومرة ومرتين ثم استسلمت.. ما أروع لحظة الاستسلام للأنثى"(١٢).

لم تقتصر شخصية راغب على صفتها الزانية تلك، حيث ظهرت في الرواية نحو ما يلي "ذنب زهرة أنها جميلة ومصيبتها أنك جريت وراءها... أنا أحببتها... أنت لا تحب... أنت قتلت قاسم زوجها ودفنته... فساعة الجريمة ساعة الزنا... أنا لم أكن قاتلا... كنت عاشقا لامرأة... لست الرجل الوحيد الذي اشتهى امرأة متزوجة... دائما نطمع في نساء لرجال آخرين أتى إلى البيت في وقت غير مناسب لم يسكت الغبي"[١٣]. ويصرح راغب عن مكنونه المتدني الذي ورثه عن أبيه عندما قال لأخته وردة "أنا رجل مريض بعشق الجنس

وأبوك كذلك"[١٤]. وهذا القول يقودنا دون تخمين إلى قوله تعالى: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا". فالعقلية العربية متزمتة ترى من الجنس أكبر هواجسها لما تحمله من تردي للأخلاق. فقد أنعم الله تعالى على الرجل حق التمتع بأكثر من امرأة لكن في الإطار الشرعي وهو الزواج لأن الزنا يؤدي إلى اختلاط الأنساب، وفيه أذى وضياع لحقوق البشرية.

حب السلطة والتسلط:

حب السلطة فعل ناتج عن رغبات دفينة في تعويض النقائص والتجارب الفاشلة في شتى المجالات وهذا ما يسمى في التحليل النفسي بميكانيزم التعويض عن الفشل ، ويتعزز هذا الإحساس بتسلط الخوف على الفرد خاصة من التجارب الفاشلة المتكررة، وقد يتحول إلى رهاب اجتماعي على حسب الفرد وعاطفته؛ كما انه يتطور حسب الحيز البيئي خاصة عندما يتواجد في بيئة متعفنة فكريا ومتفككة أخلاقيا وقيميا، ومن صفات الفرد المتسلط شكه المفتوح في كل شيء وسوء ظنه بمن حوله ، ويمكن أن في شخصية راغب الذي تصعب محاورته واستحالة إقناعه بالحقيقة:" انتم لستم إلا لصوص وإقطاعيون واستوليتم على السلطة في القرية بعد أن قبلتم حذاء حافظ الأسد... وكمان بتسب الزعيم يا حيوان"[١٥]. حيث

يقول مصطفى حجازي في كتابه "سيكيولوجية الإنسان المقهور"، الإنسان المقهور قد يتحول إلى شخصية قاهرة متسلطة وأمر بديهي أن يفجر ويحول قهره السابق إلى سلوكات وانفعالات عنيفة.

غواية المال:

هذا الخطاب السردي ليس علامة ثقافية وفقط؛ إنما يشكل لنا قراءة تسبح ضد التيار، وتثير في أذهان المتلقي عدة تساؤلات تسلط الضوء على مناطق مسكوت عنها في واقعنا.

فمن التيمات البارزة في نص رواية" لو لم اعشقها" تيمة المجتمع المتيم بالمال إذ تغدو لغة المال وفلسفته هي الغاية والهدف الأسمى "الثعلب الأحمر الذي تعود على ان يأكل أي نوع من الغذاء المتوافر من بقايا طعام الحيوانات والقمامة والدواجن، فشداد مثله يأكل أموال كل الناس فقراء وأغنياء ويشتهي كل النساء مطلقات، أرامل صغيرات، مراهقات أو حتى عجائز جميلات قبيحات فقيرات ثريات"[١٦]. فالمال يد تمسك بعض العلاقات التي بين بعض أبطال الرواية "في احد الممرات يسير شداد وبجواره راغب كأنهما في جولة تفقدية كأنه يغويه أو يود الاستيلاء على أموال راغب بحيلة ناعمة تمكنه من الاستمرار في دبي بحر هادر من المال والاعمال ... نقود تجيء ونقود تذهب"[١٧]. ويتقرب شداد من مهرته

الشامية سهر راح يغريها ويجذبها نحوه بطرق غير مباشرة خاصة وانها راغبة في المال والثراء فهي في بلاد الثراء والأحلام دبي "اعمل عقد عمل بأعلى مرتب للمدرسات وجهزوا المدرسة الجديدة"، "بعد أسبوعين نفتتح معرض السيارات تعالي اختاري أي سيارة من أي نوع"[١٨]. فالركض وراء المال والخوف من فقده الصورة الأبهى للخراب الروحي، لم يمنحهم المال خلاصا أو حتى محاولة الغوص في غمار الطمأنينة والسلام النفسي أو التصالح مع الذات قبل الآخر بل دفع بهم نحو دوامة الخيانة المتكررة والطمع.

المتلقي لرواية "لو لم اعشقها" يجد الحديث عن السياسة منمق بشكل غير صريح؛ فراح السيد حافظ يرميها في حضن تيمة المال "كانت فوائد قروض البنوك بدت تطارد شداد في دبي الرأسمالية، نظام الرأسملية حقير لا يرحم المديون"[١٩]. فهذه صورة مدققة لنظام الحكم السياسي في ذلك البلد، وساهم هذا في تدفق وتسلسل عدة أحداث وحقائق واقعية فأصحاب المال هم أصحاب النفوذ.

خاتمة

السيد حافظ كاتب وروائي عظيم ومبدع بامتياز لأنه استطاع بفكره المتفرد أن يبدع فنا جميلا ، يحمل في طياته أحزان وطنه وكافة الأمة العربية ، محاولا معالجتها بطريقة فنية فاستطاع بهذه الرواية أن يفك الحصار عن موضوع الحب بين المقّدس والمدنّس؛ ففرض الصوت ورفع الستار عن الانتهاكات والخيانات وتصدى لها بقلمه معلنا تحديه واختراقه للطابوهات السائدة في مجتمعنا العربي.

هوامش المقال :

١- السيد حافظ : لو لم أعشقها (العلامة السابعة والأخيرة)، العنوان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٩، ص٦٦.
٢- المرجع نفسه، ص٣٧.
٣- المرجع نفسه، ص٢٧.
٤- المرجع نفسه، ص٣٤.
٥- المرجع نفسه، ص٧٦.
٦- المرجع نفسه، ص٢٢.
٧- المرجع نفسه، ص٧٥.
٨- المرجع نفسه، ص٦٠.
٩- المرجع نفسه، ص٤٢.

١٠- المرجع نفسه، ص٦١.
١١- المرجع نفسه، ص٦٠/٦١.
١٢- المرجع نفسه، ص٦٠.
١٣- المرجع نفسه، ص٤٥.
١٤- لمرجع نفسه، ص٤٦.
١٥- المرجع نفسه، ص١٠٨.
١٦- المرجع نفسه، ص٤٢.
١٧- المرجع نفسه، ص٦٨.
١٨- المرجع نفسه، ص٦٨/٨٦.

السيرةالذاتية

الباحثة : أسمهان سعودى

تاريخ الميلاد ١٣/١٢/١٩٩٤

الليسانس : دراسات أدبية

المذكرة : الزمان و المكان في روايه قدس الله سري لمحمد الامين بن ربيع

الماستر : أدب عربي حديث و معاصر.. المذكره بعنوان :

"ثنائية المخاتلة بين النص الغائب و الصوره الذهنيه في مسرح السيد حافظ حكاية الفلاح عبد المطيع أنموذجًا"

مرجعية الأهواء وانزياحات الصورة النمطية
بين الحب المقدّس والمدنّس في رواية " لو لم أعشقها " للسيد حافظ

بقلم : سناء نويوه
الجزائر



يناوش خطاب المسكوت عنه ما هو مباح ومصرح به ومشروع الافهام؛ فيختط قطيعته مع مختلف المنظومات القيمية والأخلاقية والدينية وحتى الثقافية الراسخة في المجتمع ومخياله، ليحدث انزياحا يعيد رسم الصورة النمطية الجاهزة عن عديد المفاهيم المتداولة فتظهر في صورة تحول عن مفاهيمها القائمة في الأذهان، حيث تضعنا رواية (لو لم أعشقها) أمام زخم من الأحداث المتداخلة والمتضاربة حد الاستفزاز ، أحداث شبيهة بالعقد تجعل القارئ عاجزا عن التمييز بين الواقعي والمتخيل، يمسك الكاتب جيدا بخيوط اللعبة، لكن رهانه هو أن يوقّع القارئ في فخ الحيرة والتساؤل الدائم، هذا النص الذي أراده صاحبه شركا حقيقيا ، كما يمارس السيد حافظ القطيعة الصورية مع الخطاب المقدّس المتعلّق بنوع العلاقة مع الله ومع البشر في مخيال فتحي رضوان حيث كان الله والحب

الصوفي لله تعبيرا ميتافيزيقيا عن الحب، وما النساء إلا تجسيد مادي لمفهوم الحب عنده وعند باقي الرجال في الرواية. لهذا ففتحي عاش تناقضا مع نفسه وفي الوقت ذاته لم يجد تناقضا في أن يكون المرء مؤمنا ومغرما بالجنس في آن واحد .

يقوم هذا الخطاب في هذا الجزء على دمج المدنّس الدنيوي الماثل في ممارسة الجنس، مع المقدّس المتعالي الماثل في الحب الحقيقي والحب الإلهي، فالله عبارة عن فكرة ميتافيزيقية عن الحب، أما حب الجسد في هذه الرواية فتمثّل على المستوى المادي في جسد المرأة باعتباره دالا بما يملك من مزايا حسية على ذلك النموذج المتعالي للحب، ولعلّ الحب في صورته تلك المجردة المقدّسة أم المادية المدنّسة هو الموضوع الجوهري المقصود من هذا التوصيف الرابط بين الله كخالق متعالٍ والإنسان كمخلوق أرضي، انطلاقا من اشتراكهما في صورة الحب الانشطارية التي تجمع في شقيها النقيضين في الخطاب الشرعي والعرفي ليتكاملا ويتشاكلا في الخطاب التخييلي الروائي حيث حدود المقدّس والمدنّس اللذان يتجاذبان حياة الإنسان ويصنعان سعادته وشقائه في دنياه و آخرته.

عمدت الكثير من النصوص الروائية العربية إلى استثمار موضوع الجسد وفق رؤى متباينة، وبتوظيف فني جمالي يختلف من مبدع الى أخر،وقد شغلت رواية " لولم اعشقها" بقضية الجسد،لأن وضع الجسد في الخطاب الثقافي العربي العام والخطاب الروائي خاصة له مدلولات مهمة تتعلق بالمحرم والمقدس والديني والانثروبولوجي، واعادة طرح أسئلة الذات والهوية والكينونة والعلاقة مع الأخر.
يتقاسم نص رواية "لولم أعشقها" جسدان،الأول شبقي، رغبوي دنيوي، باحث عن اللّذة والمتعة من خلال الجسد الأنثوي، والثاني الجسد المبجل أو المقدس الذي تتجلى توصيفاته بين الزوجة الحبيبة.
يتمظهر النمط الأول في شخصيات(فتحي رضوان، كاظم راغب شداد) حيث حملهم السيد حافظ بالقيم الثقافية الذكورية ذات الطابع الفحولي القائم على البحث عناللّذة بصورتها الجسدية -الحبيبة - ضمن نسق ثقافي محدود الرؤية لايؤمن بالبعد التواصلي الإنساني إلا بالوصول الى جسد الأنثى مثل شخصية راغب شداد، وشخصية فتحي رضوان.
ففتحي رضوان نصف شخصية لم يرد لها السيد حافظ أن تخرج مكتملة، لذلك جعل لها امتدادا آخر عبر شخصيات أهمها

(سهر – حياة – تهاني) وهذا اللا اكتمال في رسم حدود الشخصية ينبثق من التصرفات اللامقنعة التي تؤطر أفعالها.
ففتحي رضوان بتجربته الحياتية الجنسية الواسعة والممتدة على الجسد الإنساني غير مقتع في تصرفاته ووجوديته العدمية الخاصة به والباحثة عن الجنس والمتع والفضاءات الجديدة.

إن فعل الانغماس الجسدي في المتع الذي تمارسه الشخصيات (كاظم – منقد –راغب – فتحي – شداد)، هو الموجه الأساسي للبنيات الحكائية في النص الروائي، فهو المحرك للأحداث والعامل الرئيس في تنشيطها، وهو من رسم الأمكنة وحدّد ملامحها وفق رغبة شبقية بينها وبين الجسد الإنساني.

فالعلاقات التي تنشأ ضمن هذا المحور بين الذكر والأنثى أساسها الرغبة في امتلاك الجسد، الشهوة، وتتحكم فيها ثنائيات ضدية أهمها (الذكورة-الأنوثة) (الاكتمال-النقص) (الحضور-الغياب) (مانح-مستخدم)...الخ.

وتتولد هذه الرغبة من معطى حضاري مترسخ في الذاكرة البشرية يعمل في أغلب الأحيان بوصفه نسقا ثقافيا ثابتا، فهو يرسم صورة المرأة في ذهنية الرجل الفرد على أنها جسد شهواني حامل للذة والعلاقة بينهما تسويقية قائمة على الاشباع فالثقافة الذكورية أحادية الرؤية لا ترى في المرأة إلا

الجسد وهذا ما يتضح لنا في قول راغب: "لست الرجل الوحيد الذي اشتهى امرأة متزوجة...دائما نطمع في نساء لرجال آخرين"(١)، وأكمل حديثه قائلا: "أنا رجل مريض بعشق الجنس وأبوك كذلك"(٢).

إن التركيز في المقطع السابق لا يكون على الجسد الأنثوي فحسب بل هناك تأكيد على المشاركة في الفعل الجنسي ومحاولة اكتشاف جسد الآخر من الطرفين كحياة.

و بهذا فالفعل الجنسي يتحول إلى معركة إثبات وجود وتحقيق كينونة وطريق لسحق الآخر وتدميره وإقصائه، وهنا ينتفي البعد الإنساني وتصبح عملية بيولوجية الغرض منها اشباع الغريزة والتنفيس عن عقد ومكنونات وانعكاس للواقع المتردي المرير، مثل قول فتحي:

"أمشي مكشوف الرأس وأبتسم بلا سبب وأضحك بلا سبب وأعرف النساء وأعاشرهن ربما لسبب هام هو أنني أقاوم الاكتئاب العميق الذي لا يراه الناس في وجهي ... عندي اكتئاب شديد عميق من الوطن ... فالوطن دائما يحك رقبته وظهره بالشهداء وينساهم ... أنا لا أريد من هذا الوطن إلا

---

(١) الرواية، ص ٤٥.
(٢) الرواية، ص ٤٦.

رغيفا طازجا ساخنا وقطعة جبن وخمس بيضات مسلوقة"[1].
فضلا عن التمثيلات الجسدية ذات الغائية الرغبوية المرتبطة بمبدأتحقيق اللّذة، فإن هناك خيطا رفيعا يربط بين عهر الجسد وعهر السلطة الفاسدة، ويرى بأنهما متشابهان لكن الفرق بينهما في الغايات لا في الوسائل، فغاية الأول تنحصر إمّا في المكسب المادي أو تحقيق المتعة الجسدية أما الثاني (السياسي) فهدفه التدمير، التسلط والقمع.
فنص الرواية يتجاذبه جسدان، الأول دال على الرغبة والمتعة واللذة، والثاني جسد مقدّس يؤشر على قيم النبل والجمال والجلال.
إنّ المقدّس بمختلف تجلياته يكتسب مشروعيته عندما يضع الناس حدودا له، لا يمكن تجاوزها إلا بخرق المحرمات وانتهاكها، لهذا يبقى المقدّس خالدا.
نص رواية (لو لم أعشقها) هو نص يحتفل بالجسد على مستويين، رغبوي ومبجّل، فيستعرض الحياة الواسعة بكل تمفصلاتها بعيدا عن الرؤية الأحادية للجسد التي يمكن أن تجعل منه أنموذجا ثابتا لا يقبل التحول والتغيير.
يقدّم الجسد المبجل في النص الروائي ضمن خطين متوازيين:
الأول: جسد الأم

---

(١) الرواية، ص ٢٣.

حيث يحتفي نص الرواية بالأم ويقدمها معادلا موضوعيًا لأشياء عدّة من أهمها الوطن على مستوى الثيمات ، والفضاء الزمكاني على مستوى البناء الفني ، فجسد الأم جسد مبجل وحاضن للرجل يقوم عليه ويمنحه الحياة والحنان.

أمّا شهرزاد فتمثّل دالة مكانية زمانية تتسع دلالاتها لتشمل الوطن (الشام) – سوريا – بأكمله، وتتماهى مع الأمكنة (الجبل ــ المدينة دبي) وتبادل الأدوار الدلالية معها... المرأة / الأم، إنّ شهرزاد نموذج نسائي مغاير ومخالف للغة الجسد التي تطفح بها الرواية ، وعبر جسد الأم يختزل الوطن في المرأة والمرأة في الوطن، فشهرزاد تمثّل الوطن / الشام بامتداده واتساعه، فهي لم تنجب لكن كانت بمثابة الأم لسهر ووردة.

ثمّ نجد جسد الزوجة أو الحبيبة و هو النمط الثاني للجسد المبجل في نص السيد حافظ،

إنّ الثنائية التي تشتغل على امتداد النص هي ثنائية الطهر والعهر، فمع الجسد الرغبوي الشهوي تتضح الصورة الأولى ومع الجسد المعشوق- المحبوب تتجلى الصورة الثانية ويتضح هذا في علاقة شهرزاد وزوجها وكذلك نجده عند فتحي وزوجته لهذا فإنّ المودة والألفة هما ما يميزان العلاقة البعيدة عن اللذة والرغبة في امتلاك الجسد للجسد الإنساني

حرمة وقدسية، وهو مكان يمارس فيه وبه الفرد سلطته ويكون حميما وأليفا مثل بيت الزوجية، وانتهاك قدسية الجسد يمارس تحت ضغوط سياسية، اجتماعية، ثقافية مثل استغلال شداد لسهر.

تعمل ثنائية الطهر والعهر بطريقة معكوسة ومفارقة تحمل في ثناياها دلالات السخرية السوداء من الأوضاع الاجتماعية، والإنسان المقموع المتصل بسلطة السياسة والترهيب والقمع والانتهاك ، و أهم مميزات العلاقة بين الفرد الهش والسلطة القوية، كما تعرض لنا رواية (لو لم أعشقها) صور المجتمعات الشرقية والعلاقات المرضية (السادية ـ الماسوشية) التي تتحكم في الأفراد والسلطات.

صورة الأنثى بين التقديس والدونية:

صورة العشيقة:

إنّ الغريزة الجنسية تتولد عنها الكثير من العلاقات، والنشاطات الإنسانية فهي ترسم ثقافة الإنسان، يقول فيليب كامبي: « كل ثقافة الإنسان في جميع تنوعاتها إنّما تتصل قليلا أو أكثر بغريزته الجنسية والعلاقات المتولدة عن هذه الغريزة بين الرجل والمرأة»[١]، ومنه إنّ أساس التجمع

---

(١) فيليب كامبي، العشق ــ الجنس ــ المقدس، تر: عبد الهادي عباس، دمشق، مطبعة ألف باء ١٩٩٢ ، ص٦.

البشري، هو الاتصال بين الرجل والمرأة وهذا الاتصال يبدأ بميل أحد الطرفين نحو الآخر، كما أنّ الرواية الجديدة لم تعد تحدد الزواج كهدف وثمرة للحب، بل صار الحب يكفي وحده، بل لم يعد الحب أيضا هدفا، ونحدد هاته المرأة في شخصية ليزا والعلاقة التي تجمعها بكاظم مثل: «خرجنا من المدرسة في الظهيرة وركب كل واحد سيارته واتجهت إلى بيتها ... لا مفر من العشق الحرام الذي يحاصرك هل لأنّ هذا العشق مجنون أنت تعشقه.... نعم إنّ عطر جنون العشق يوجع الروح قبل القلب ويخجل الحرف عن التعبير...»[1]، وأيضا «حاولت أن أنساك لم أستطع كاظم لا بد أن نعيش سويا في أي مكان بعيدا عن أهلك وأقاربك والعمل... ونترك هذا الشرق المعقد من الجنس والمضطرب العقل في فهم الإيمان»[2]، فطبعًا كاظم رجل متزوج وليزا امرأة متحررة فعلاقتهما مرفوضة مثل: "ما علاقتهم بحبنا"[3] رد كاظم "أنا رجل متزوج".[4]

صورة المرأة الخائنة:

تجسّدت الخائنة في رواية (لو لم أعشقها) في شخصية سهر كونها تخون زوجها منقذ مع فتحي رضوان، كالحوار الذي

(١) الرواية، ص١٠١.
(٢) الرواية، ن ص.
(٣) الرواية، ن ص.
(٤) الرواية، ن ص.

دار بين شهرزاد وسهر:

«- المرأة لا يحميها ألف رجل من الخطيئة لو أرادت فعلتها...

- أنا أفعل الخطيئة؟

- لا... أنا.

- خالتي أرجوك لا تجلديني بسبب مشاعري... أرجوك».[1]

وحين اكتشاف منقذ خيانة سهر له مع صديقه فتحي: «ماذا تفعل يا فتحي عندما تخونك زوجتك تهاني مع شخص آخر؟ ماذا تفعل؟ رد يا فتحي.. لا تسكت»[2] و «كيف سأبدأ الحديث مع فتحي الكلب الخائن؟.. هل أدخل في الموضوع مباشرة؟ هل أشير له؟ هل أقول له أعرف أنّك على علاقة مع زوجتي؟»[3]. هكذا كان منقذ يستعد للنقاش مع فتحي -

صورة المرأة الزانية:

تجسّدت المرأة الزانية في كل من شخصية حياة، تهاني، ليزا ومارينا، مثل: خطيئة حياة مع فتحي: «قمت للجلوس بجوارها قالت وهي تتدلل بصوتها غنج خفي حاولت أن أقبّلها دفعتني مستنكرة وجرت إلى غرفة النوم... دخلت الغرفة خلفها... ضممتها تملّصت مرة ومرة ومرتين ثم استسلمت..

---

(١)الرواية، ص ٩٢.

(٢)الرواية، ص ٢١.

(٣)الرواية، ص ١٩.

ما أروع لحظة الاستسلام للأنثى بدلال...»[١]، خطيئة ليزا وكاظم مثل « حملتها من فوق الكرسي وأنزلتها ضمّتني بعنف إلى صدرها ضممتها»[٢]، إلى غاية حضور الخطيئة، وخطيئة فتحي مع سهر في سيارة مثل: « دخلت على الكرسي الخلفي أغلقت الباب... وجدتها تخلع الفستان الأسود».[٣]

صورة المرأة الزوجة:

الزواج ظاهرة اجتماعية هامة لتكوين الأسرة والربط بين الذكر والأنثى ربطا ينتج عنه التواد والتآلف والسكن وبقاء النوع بصورة منظمة، وقد خصصت له المجتمعات قوانين مدنية، وأكّدت عليه الشرائع السماوية.

رغم أنّ المرأة والرجل يكونان معا أسرة واحدة إلا أنّ العلاقات السائدة التي يرسمها السيد حافظ تجعل من الرجل سيد البيت الآمر الناهي فيها، والمرأة تمثّل التابع مثل علاقة كاظم ووردة التي لم تستطع ترك زوجها يغادر المنزل بالرغم من انّه لم يحبها مثل« انهارت وردة تحت قدمه تشبثت بها:

- حقك علي... أبوس حذاءك لا تذهب، حقك عليّ
- لا لن أجلس لحظة واحدة بعد الآن سأترك البيت».[٤]

---

(١)الرواية، ص ٦٠.
(٢) الرواية، ص ١٠٠
(٣)الرواية، ص ١٤٨.
(٤)الرواية، ص ١١١.

ومنه نجد أنّ السيد حافظ يسير بالزاوية نحو غوص أكثر عمقا، ويركّز دوما على الصراع القائم في المجتمع، فتبدو المرأة رمزا أكثر منه كائنا تابعا للرجل وظلاله.

كما أنّ من أول واجبات المرأة أن تكون امتدادا لزوجها فتنفي عن نفسها إنسانيتها وتفقد أمامه شخصيتها« وكي تكيف نفسها حسب ما تقتضيه رغبة الزوج كأن لا قيمة لها سوى رضا الزوج عنها، وتقضي نهارها في إعداد الطعام له، وتهيئة نفسها له لاستقباله».(١)

والحديث عن صورة الزوجة في رواية (لو لم أعشقها) تمثّلت في شخصية تهاني مثل: « حين وصلت البيت كانت تهاني قد جهّزت على السفرة الملوخية والدجاج المشوي والسلطة... وصح النوم يا أستاذ فتحي جهّزت لك الغداء ملوخية وفراخ مشوية».(٢)

صورة المرأة الأم:

الأم هي محور الأسرة وسر استمرارها، ولذلك لعبت دورا بارزا في المجتمعات منذ القدم، فكانت رمزا للمحبة والحنان والتضحية، ورمزا للأرض والكاهنة والعرافة في المجتمعات

---

(١)إيمان القاضي، السمات النفسية للرواية النسوية في بلاد الشام، ١٩٥٠، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور حسام الخطيب، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة رمق، ١٩٨٩، ص ٣٤.

(٢)الرواية، ص١٣٦.

القديمة، فللعلاقة المشيمية بين الأرض والأم حيزا واسعا في الروايات، ولم يكتفِ السيد حافظ بتقديم الصورة النمطية للأم وهي الصورة المشرقية التي تمثّل التضحية والصبر والعطاء، بل قدّم أيضا الصورة السلبية للمرأة الأم، مثل سهر زوجة منقذ وهي نموذج للمرأة البرجوازية الساذجة.

رواية لو لم أعشقها تحتفى بمقدساتها :

لا يمكن بأي حال من الأحوال التعاطي النقدي مع النصوص الأدبية التي تنفي استفادة أغلبها مما يرشح به الخزين الأسطوري و الديني من أنماط حكي وفنون تخييل، وهي استفادة يبررها نزوع الأدب والدين كليهما، باعتبارهما فعاليتين تتبادلان التأثر بواقع الإنسان والتأثير فيه، إلى نشر الثابت من القيم الإنسانية كالخير والعدل والحرية، واشتراكهما معا في توظيف الأسطورة لتحقيق ذلك النزوع، وبناء عليه، وجبت إضاءة دور الأدب في عضد منجزات الفكر من جهة كونه يمثل فضاء يستطيع أن يستوعب المقدس في أخلاقيته، وسبيلا إلى البحث فيه بحثا حرا وذاتيا.

ففي رواية " لو لم أعشقها" نتعرف إلى مظاهر حضور قداسة الحاكم وذلك من جهة كونها فضاء سرديا يكشف فيه الروائي عن نمط من أنماط علاقة حاكم عربي بمحكوميه، كما أنّها

رواية تقوم بتعرية المسكوت عنه سياسيا في واقعنا العربي والسخرية منه.

ومنه إنّ اتصال نص لو لم أعشقها بالنص المقدّس ساهم في إغنائه، سواء على مستوى الدلالة أو على مستوى البناء الفني، إذ وجد الأدبي في الديني كونه الأسطوري على حدٍّ فاتّسع حجم التخييل فيها، وتكثّفت رموزه، وشاعت البلاغة داخل نسيجه اللغوي، وهو ما جعلها ترقى مراقي البيان والسحر.

تنويعات خيالية لزمنية الفنية المقدّسة وتعدد أمكنتها:

يعد الزمن القاعدة التي تبني بها البنية السردية، وهو البعد الأساسي لها، إنّ وجود تمظهرات الخطاب الديني في البنية السردية مرهون بالزمن الفني، داخل هذه البنية التي تنهض أساسا على زمن ما، فهو الذي يشكّل تجربة الخطاب الديني إبداعيا، لأنّ ((الزمن هو الذي يوجد السرد))[١]، وتجربة الخطاب الديني داخل هذه البنية المختلفة.

وبناء على هذا المصوغ النقدي، تتوزع زمنية " لو لم أعشقها" عبر حقب تاريخية متباعدة (سنة ٥٩٥ه، العصر العباسي، الفاطميون، الزمن المعاصر) وهذه الأزمنة أقرتها

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،

مؤشرات نصية، انفلت زمنها من الطابع الثلاثي المتعاقب لأشكال الزمان إلى وعي جمالي يحدده البناء الفني للرواية، ما يجعل النص مفتوحا على تعدّد أزمنته واختلافها وتباعدها، (زمن مستعاد وهو زمن تاريخي، وزمن الحلم أو الرؤية، والزمن الصوفي، وزمن الحاضر) وكلها تشكّل في تضافرها حركية الزمن في أغوار النص متحررا بذلك من تعاقبية الزمن، وسكونية المكان، فالزمن الروائي لا يخضع لأي سلطة إلا سلطة جماليات النص وتفاعلاته مع القارئ، وبين القارئ ما يملك من خبرة جمالية يأتينا الزمن في هذه الرواية بطرق مختلفة ومتعددة وهم (الزمن المستعاد، وزمن التيه والضياع، والزمن الصوفي).

١ – الزمن المستعاد:

هو زمن الحلم أو الرؤية مثل الكابوس الذي شاهده فتحي حول تقسيم الوطن وكيف رآه عبارة عن جثة كبيرة يمشي عليها الناس مثل:

- فتحي استيقظ
- خير؟
- كنت تحلم وتصيح
- بماذا؟
- كنت تقول قسمتم الوطن يا أولاد الكلب

- كابوس؟
- نعم كابوس
- أرى كابوس المستقبل على هذه الأرض وهم يسيرون أمواتا أو نياما أو عميانا.(١)

ونجد أيضا حلم سهر لرابعة العدوية حيث استخدم السيد حافظ شخصية تاريخية دينية، وجعل الاتصال بين زمنين منقطعين، الزمن الواقعي المعاصر وبكل واقعيته المعتّمة ويمثله السارد والزمن المنصرم الذي تمثّله الشخصية التي صنعها الدين الإسلامي مثل: " حين أطفأت سهر نور الحجرة وجدت أمامها امرأة يشع من وجهها النور ... سألتها من أنت؟

قالت:

-رابعة العدوية... ويقولون عني أيضا أم الخير رابعة بنت إسماعيل القيسية العدوية البصرية، فأنا مثال رائع للحياة الروحية في الإسلام، ولدت في البصرة حوالي سنة ٩٥ ه ٨١٤ م في أسرة فقيرة".(٢)

٢ – زمن التيه والضياع:

وهو الزمن الراهن الذي يحياه أبطال الرواية من خلال البحث عن الذات وهو زمن صاغه تكرار سؤال أين نحن، وزمن التيه

---

(١) الرواية، ص ٧٨، ٧٩.
(٢) الرواية، ص ٢٦٦.

هذا يبعث بمؤشرات زمنية معاصرة احكي عن الواقع الراهن، تدفع بحركية النص نحو الانفتاح على أزمنة متعددة ومختلفة.

٣ - الزمن الصوفي:

يتوجه النص (رواية لو لم أعشقها) إلى الزمن الصوفي لينتقي منه رصيدا معرفيا، فتنشأ العلاقات بين ما هو سردي متخيل، وما هو صوفي ميتافيزيقي، إنّ علاقة ابن عربي والشيوخ الصوفية مع فتحي رضوان تتجلى في دور المهيب، فالعلاقة بينهم وبينه علاقة تنوير وهداية؛ ففتحي وسهر شخصيات مستغيثة.

يمثّل النص الروائي (لو لم أعشقها) البحث عن الذات والحقيقة والنور، حيث تمثّل هذه الرحلة، وما تخللها من تيه وضياع بحثا عن حقيقة هذا الواقع المأساوي و أسباب هذا التأزم، و خلفياته التاريخية، و عن أزمنة الصراعات التي لا تنتهي.

السيرةالذاتية

الباحثة : سناء نويوه

تاريخ الميلاد ١٨/٠٤/١٩٩٨

تخصص الدراسة في شهادة ليسانس دراسات أدبية

بعنوان مذكرة ليسانس البنية الزمانية والمكانية في رواية قدس الله سري.

تخصص الدراسات في شهادة الماستر أدب عربي حديث ومعاصر عنوان المذكرة :

"ثنائية المخاتلة بين النص الغائب و الصوره الذهنيه في مسرح السيد حافظ حكاية الفلاح عبد المطيع أنموذجًا"

الحب بين المفهوم الاصطلاحى و الممارسة الإنسانية
قراءة في رواية "لو لم أعشقها" للكاتب السيد حافظ

الأستاذة: سعاد جلال - الجزائر



تعد رواية "لو لم أعشقها" الجزء الأخير من سباعية السيد حافظ، وقد كتبت هذه الرواية في شكل خاص إذ قسمت إلى علامات وليس فصولاً وتلك العلامات جاءت كمؤشرات لحل لغز الرواية.

جاءت فقرات بعنوان"روح" تناول فيها الكاتب كل معاني الحب التي تصل لتفسير المشاعر الإنسانية ، وبعدها مباشرة وضع اقتباسات من روايات عديدة مما يشدّ انتباه القارئ ويزيد جاذبية لهذا الأسلوب الجديد.

فالكاتب يجعل من الحب المحور الرئيس في الرواية بجميع تمظهراته من مقدّس و مدنّس، وكل شخصية حملت معها جانبين من الحب المناقض (فتحي، كاظم، سهر، حياة، تهاني، شهرزاد، شداد، حامد وغيرهم...)

وهذه هي الطبيعة الإنسانية التي ترتاح مع المشروع وتجرّب المحرم.
فالرواية تتحدث عن حياة العديد من الشباب من جنسيات مختلفة في غير أوطانهم لكل من هؤلاء الشباب حياته العاطفية الخاصة.
تنطلق أحداث الرواية مع الاتصال الهاتفي من "حياة " "لسهر" ليكون بذلك أول لقاء بين عشيقتي *فتحي* الذي مثل الرجل الشرقي الصريح المتحرر، العاشق لجميع النساء، الغارق في الخطيئة (بعض النساء هلاك وكل النساء نجوم في السماء بعضهن تضيء وبعضهن باردات ومظلمات ومعتمات عنيدات).
فتحي هو النفس العاشقة للوفاء، للجمال، للحرية وفي نفس الوقت خائنة وكاذبة ، لم تكن تقتصر علاقة فتحي *بسهر* المرأة المتزوجة أو حياة زميلة العمل بل كان متزوجًا أيضًا بتهاني التي مثلت رمز الوفاء أو الحب الحقيقي .
تسير أحداث الرواية إلى بيت كاظم الذي لا يختلف حاله عن حال فتحي وهو الذي عشق * ليزا* وامتلكت قلبه وظلت روحه معلقة بها بعد أن هدده شداد للامتناع عن مقابلتها، فيبقى مع عائلته جسدا بلا روح إلى أن يعود راغب شقيق وردة فجأة.
وهو الذي يمقته ليجد بمضايقته حجة للهروب مع ليزا بعيدًا.

كان راغب رجلًا مريضًا بالجنس لا يعرف للحب مسلكًا ولا للأخلاق.
وكذلك هو الحال مع شداد شريكه في العمل و الذي لم يكن هدفه العمل مع راغب ؛ وإنما نهبه كما يفعل كل مرة ـ وداخل هذه الدائرة كانت سهر -الفتاة الشامية- حلم كل هؤلاء الرجال، فجمالها الأخاذ يستهوي عقول الرجال وقلوبهم .
يستمر فتحي في الخطيئة مع حياة بعد مغادرة سهر للحاق بشهرزاد إلى أن يكتشف أمره و يطرد من العمل ويعود إلى مصر مفلسا وينتهي به الأمر مختفيا إلى المجهول.
سهر وبعدما نال منها شداد ما يريد تحتلها حالة الندم و بعد لحاقها بشهرزاد إلى موطنها ، تصدم عند رجوعها بخيانة زوجها لها مع الخادمة الفلبينية فتعلن توبتها؛ لكن في النهاية غواية المال تنتصر وتعود إلى حالتها الأولى ، وبعد مرور السنين يسوق القدر ابن فتحي ليعمل لديها .
يبرع الراوي في إثارة فضول القارئ لإكمالها فقد قدمها له كأجزاء كل جزء يدفع به لقراءة الجزء الآخر وبإتحاد أجزائها تتشكل الصورة الكلية كلوحة فنية ـ و فيها تطرق الكاتب للعديد من متناقضات الحب ،منها حب الوطن وحب الشهوة ،وهذا ما تجسد في شخصية فتحي رضوان الذي عشق بلده رغم تخليه عنه وخذلانه إلا أن مشاعر الانتماء و الحنين له ظلت و بقيت

كنبض سار يأبى التوقف ، ومن جهة أخرى فهو يرى في النساء الحب والملجأ الذي يعوضه عن اغتراب وطنه .بالإضافة إلى حب الخطيئة والخيانة التي يراها تسود جميع النفوس مع عدم وجود مبرر لها حتى في نفسه (أنا أحبك يا تهاني ولكن قلبي يفيض حبا يكفي نساء كثرا ولكني حتى الآن لم أفهم سر الخيانة في العشق). وهنا يضع الكاتب مفارقة بين الحب الأزلي الطاهر الذي يتجذر في ذات الإنسان ، والحب الشهواني الذي تقوده الغريزة وتفضى نهايته إلى الفساد .

ففي شخصية *فتحي* اتضح صوت الضمير الحي الذي يدعو إلى الاستقامة والترفع بالذات عن المعصية من خلال الشخصيات التي كانت تتهيأ له وتكلمه . وهنا تجلي لحب الذات بين العصيان والطاعة .

أيضًا تمظهر الحب في شخصية شهرزاد كحب صادق إنساني وتمثل في الإحساس بالجميع ومساعدتهم دون مقابل ،فهي التي وهبت نفسها لبلدها وفقرائه وأطفاله على حساب نفسها وزوجها .وبذلك فهي رمز الإنسانية .

(أنا عشت بالناس وخدمة الناس صغيرهم قبل كبيرهم وضعيفهم قبل قويهم أنا عشت بالناس ...)

تجلى الحب بين الذات والحياة في شخصية *سهر *التي استغلت جمالها للوصول إلى الحياة المثالية التي تريدها .وفي

نفس الوقت فقد كانت أكثر امرأة يريدها معظم الرجال فقد مثلت رمز الجمال (سيدة لطيفة جميلة لها حضورها الطاغي .لها عطر فواح خاص)

فلم تعرف الحب حقيقة وإنما جعلته مقابلا لحياة الرفاهية التي هاجرت وتزوجت من أجلها (أنا هربت من سجن القرية من أجل أن أتي إلى هنا كي أعيش الحرية والجمال المطلق) .بذلك أرضت رغباتها لكنها دمرت كيانها .

لا تختلف شخصية شداد عن سهر كثيرا فقد مثلت النفس المحتالة الشريرة التي طغى عليها الجشع وحب المال .وقد تجلى الحب لديها في التملك و تريد الوصول لأي شيء ترغب به مهما كان الثمن .كما فعل مع سهر(أريد أن أدللها أن أثمنها أن أعرفها أنها جوهرة وأنا الجواهرجي) وكما خطط لنهب راغب (يود الاستيلاء على أموال راغب بحيلة ناعمة تمكنه من الاستمرار في دبي).

أما عن شخصية تهاني فقد تجلى معها معنى الحب الحقيقي وهو حب دون مقابل حب للروح فقط .

لذا قررت الاستمرار مع فتحي بالرغم من علمها بخيانته لها ، وهنا كانت رمزا للمرأة الشرقية الصابرة والوفية من أجل عائلتها .(تهاني أيقونة مصرية بسيطة وجميلة جمالا هادئا ليس صاخبا ولا يلفت الأنظار ... وكل ما تعرفه عن عالم

الرجال هو عالم فتحي ... كل أحلامها أن تسعده أن يهتم بها أكثر)

تمظهر الحب لدى منقذ لا يختلف كثيرا عن تهاني ، فقد كان حبا مقدسا من زوج لزوجته بالرغم من علمه بخيانة زوجته له مع صديقه ،كيف لا وهو الذي نال أجمل زوجة . (لم أتخذ قرار الطلاق لأنني أحبها ....كيف أطلقها و أهل القرية والجبل الذين يحسدونني على زواجي من تلك المرأة الجميلة)

ارتبط الحب عند جل شخصيات الرواية بالممارسة الجنسية مما دل على الفساد أكثر منه على الحب ،فالجنس حاجة الجسد والذي يكون دافعه بالدرجة الأولى الجمال الذي يثير الشهوة الجنسية عند الرجل والحب حاجة الروح والذي يكون نابعا من القلب.فالرواية قسمت الأدوار بين الرجل المهتم بالجمال والجسد والجنس في حين أعطت للمرأة دور الحب الجمال والغواية .

تناولت أيضًا علاقة الجنس وتأثيرها في الحالة النفسية للرجل والمرأة على حد سواء .من كل هذا كانت الممارسة الجنسية غير الشرعية التي قادتها الشهوة تارة والحب تارة أخرى سببا في الاضطراب النفسي للعديد من الشخصيات .

طرحت فكرة الشرف بمفهوم ضيق في الرواية كما اتضح لدى شخصية "سهر " فلم تتذكر الشرف إلا بعد الاعتداء عليها من طرف "شداد "

بالمقابل لم تحسب للشرف حسابا عندما مارست الجنس مع" فتحي " ووضعت مبررا لنفسها تحت مسمى الحب .(ركبت السيارة وهي تجهش بالبكاء وتصرخ بعد أن أغلقت زجاج السيارة ... يا ويلي يا ويلي أصبحتي .... يا بنت سالم ..)

فالحب هو البعد عن الخطيئة والحب هو التقديس والحياة والتعلق بالخالق للارتقاء بالروح إلى الجنة

إذن فالعشق يتحول من إحساس وسلوك إنساني إلى تصور عام يعكس ما تخفيه النفس البشرية من متناقضات وراءه (الحب /القسوة)(الشر /الخير)(الحياة /الموت)

سافرت بنا الرواية عبر العديد من المحطات من أماكن مختلفة مع شخوص مثلوا الذات الإنسانية لتلخص العديد من المعاني الحسية للعشق أو الحب كشعور إنساني وكخطيئة وكإحساس مؤقت . و لم يكن لها بطلين بالمعنى الواضح فقد جعل الكاتب معظم الشخصيات تسير في فلك واحد إلا أن المتتبع لأحداثها يعي التميز في شخصية فتحي رضوان الذي أراد إثبات ذاته في دبي بعدما خذله وطنه إلا أنه لم يتميز في شيء سوى في علاقاته مع نساء كثر . فيما مثلت سهر التمرد على المجتمع

أو على الوطن ككل فتنتقل إلى دبي مدينة الأحلام لتحقق ما تريد مستغلة في ذلك جمالها

جمّل الكاتب محور الحب في الرواية بقالب أدبي فني بديع .جمع فيه بين جمالية الأسلوب وعمق المعنى الذي يفتح للقارئ سبل التحليل والاستيعاب وتقديم العديد من القراءات .لتظهر أهمية الرواية وكل خصائصها الجمالية في إبداع الكاتب لأساليب الحوار من مونولوج (الحوار الداخلي للشخصيات) وكذلك ادماجه للشخصيات التاريخية المتخيلة وذلك من بداية العمل لنهايته بالإضافة إلى تعدد اللهجات التي تنوعت بين الشخصيات (اللهجة سورية مصرية عراقية خليجية) ، وهذه الخاصيات تعكس رواية ما بعد الحداثة وكذلك خاصية تنوع المواضيع فضلا عن موضوع الحب الذي يطغى عليها .

كما أن الكاتب كان يستحضر الآيات القرآنية لتعرية ما تحمله النفس البشرية من عصيان للأوامر الربانية .وتبيان الخطيئة (أكثرهم منافقون) (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) وبهذا إستطاع بحنكته أن يعري الذات الإنسانية "الروح "(الدنيئة .المقاتلة .الأصيلة .البريئة .الخائنة الفاسدة ...)، كما أنه كشف عن فكرة الفساد الأخلاقي الذي ساد معظم النفسيات والمجتمعات .

و بالحديث عن البعد الروحي فقد نجده من خلال استحضار شخصيات تاريخية إسلامية ضمن الحوار والتي كان هدفها معاتبة الشخصيات المخطئة والدعوة إلى الاستقامة مثل (رابعة العدوية ويقولون عني أيضًا أم الخير بنت إسماعيل القيسية العدوية البصرية .فأنا مثل رائع للحياة الروحية في الإسلام).

و ختاما كان لعنوان الرواية دلالات كثيرة و احتماليات أكثر. فمن هاته التي بعشقها انقلبت الموازين ؟ قد تكون زوجة أو أما أو عشيقة أو وطنًا .

وكيف ستكون الحياة لو لم يعشقها ؟.

السيرةالذاتية

الاسم واللقب : سعاد جلال
تاريخ الميلاد ١٥/٠٤/١٩٩٧
تخصص الدراسة في شهادة ليسانس دراسات أدبية
تخصص الدراسات في شهادة الماستر أدب عربي حديث ومعاصر
عنوان مذكرة الماستر "**النص الموازي في مسرح العبث مسرحية يا طالع الشجرة لتوفيق الحكيم .أنموذجا.** "

نبذة عن الكاتبة

- د. نجاة صادق الجشعمى
- من مواليد البصرة – العراق
- عملت بسلك التدريس في وزارة التربية والتعليم
- حصلت على رسالة الدكتوراة من الجامعة الأمريكية في التاريخ.
- حاصلة علي دبلوم تنمية بشرية "دبلوم منهجية الرعاية الخاصة مهارات ومهارات حسية"
- تكتب دراسات حول الأدب والمسرح العراقى ونشرت في عدة صحف أهمها جريدة "مسرحنا" جمهورية مصر العربية.

لها العديد من الكتب :

١- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء أول)
٢- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء ثانٍ)
٣- التنوع الدلإلى في مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج
٤- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل في الوطن العربي
٥- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة
٦- ديوان لست مؤهلة للعشق

٧- حكايات نساء بغداد والبصرة بين الندم والحسرة
٨- عواطف البدر رائدة مسرح الطفل في الكويت
٩- المشاكس "رحلة في رحاب الكاتب السيد حافظ
١٠- السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين
١١- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب (جزء ١ ، ٢)
١٢- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج أول)
١٣- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج ثان)
١٤- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية.
١٥- فرسان المسرح العربي "من أجل النهوض بفن المسرح"
١٦- إشكالية وتمازج ملامح العشق المقدس والمدنس نموذجًا "رواية لو لم أعشقها" للكاتب السيد حافظ.

لها تحت الطبع

١- شذى سالم نجمة العراق

فهرس